مَناهجُ البَحث الحَديث للدَراساتِ الدينيّه



دکتر محمد جواد رحمتی

مناهج البحث الحديث للدّراسات الدينيّة

الدّكتور
محمّد جواد رحمتي

سرشناسه: رحمتی، محمد جواد، ۱۳۳۸-
عنوان و نام پدیدآور: مناهج البحث الحدیث للدراسات الدینیه/ محمد جواد رحمتی
مشخصات نشر: مشهد: سخن گستر، ۱۳۹٤
مشخصات ظاهری: ۲۸٤ ص.
شابک: ۹- ۵۰۳ - ۲٤۷- ۶۰۰ - ۹۷۸
فهرست نویس: فیپا.
موضوع: دین پژوهی - روان شناسی
یادداشت: کتابنامه: ص. ۲۶۸ - ۲۷۵؛ همچنین به صورت زیرنویس.
یاداشت: عربی
ردهبندی کنگره: ۱۳۹٤ ۸م ۳ر /٤۱ BL
ردهبندی دیویی: ۲۰۰/۱
شماره کتابشناسی ملی: ۱۷۰۰۲۰۶

انتشارات سخن گستر
نام کتاب: مناهج البحث الحدیث للدراسات الدینیه
گردآورنده: دکتر محمد جواد رحمتی
نوبت چاپ: اول
سال چاپ: ۱۳۹٤
شمارگان: ۲۰۰۰ نسخه
قیمت: ۱۵۰۰۰ تومان
چاپخانه: میثاق
شابک: ۹- ۵۰۳ - ۲٤۷- ۶۰۰ - ۹۷۸

نشانی: مشهد - خیابان ابن سینا - مقابل ابن سینا ۱۲ - شماره ۱۹۱
تلفن: ۳۸٤۳۹۹۵۵



احذروا ضياع الأعمار فيما لا يبقى لكم،
ففائتها لا يعود[1]

مقدمة

شهد حقل الأبحاث الدينيّة في عالمنا تحوّلات متباينة منذ مطلع القرن الماضي والتي تأثّرت بالتّحولات العالميّة الطارئة منذ القرن التاسع عشر، حين تبدّت الثورة الصناعيّة والتطوّر المتسارع لتقنيّات الاتّصال، ولا سيّما ظاهرة العولمة، جعلت العقل واللّغة عرضة للتّغيير نحو الأفضل.

إنّ الحرص على كون البحث الديني مجديًا وعمليًا في عصر العولمة، يفتقر إلى تطوّر كمّي ونوعي في هذه الأبحاث على مستوى مناهجها وأدواتها. من خلال التنوّع فى اتّجاهات البحث ومناهجه، والتّوظيف الصّحيح لها، إضافة إلى الاستثمار الأمثل للمناهج في الموضوعات الرئيسيّة التي تدور حول بلورة تصوّر واضح للبحث واتّجاهاته الأساسيّة، وتكوين رؤية لعمليّة البحث وتحديد

---

[1] – الآمدي، عبدالواحد بن محمد تميمي، **غررالحكم ودرر الكلم**، نشر دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٣٦٦ ش.، ص ١٦٠.

الخطوات العلميّة لكلّ من الاتّجاهات والآليّة الخاصّة بكلّ من المناهج الرئيسيّة.

تنطوي كلّ محاولة فكريّة جادّة بتشعّبها في اتّجاهات متنوّعة وتوسيع الانتشار في القضايا حتى تكون مليئة بالمضامين الفعّالة، وهو أمر يفتقر دومًا إلى الانضباط في تنسيق المواد وتقديمها. يتطلّب عالمنا اليوم بمستجدّاته اليوميّة جديّةً في التّفكير والإنتماء الفاعل بكلّ المكوّنات الحضاريّة؛ من لغة التّعبير المستجدّة، حداثويّة، تحليلات نظريّة معرفيّة – دينيّة، و... حتى تستطيع مواجهة التحديّات أو المستجدّات في عصر التقنّية الحديثة والحداثة. فعلى هذا يحتاج الباحث المسؤول إلى الدّخول والتعرّف إلى جميع هذه الأطر التي تعرف بـ "المنهج".

ثمّة تنوّع كثير في مجالات البحث الدّيني وشتّى فروعه التخصصّية، وعلى هذا لدينا مسألتان فائقتا الأهميّة في هذا السّياق :

١- الهويّة والمنظومة المعرفيّة في مجالات البحث الديني.

٢- مناهج البحث في الدراسات الدينيّة.

يتساءل الباحث في بداية كلّ دراسة عن المناهج التي يمكن اعتمادها في البحث الديني، وعن الخطوات العمليّة للبحث في ضوء كلّ من تلك المناهج ؟

إنّ التأمّلات المنهجيّة في حقل البحث الديني تتناول مناهج من قبيل : البحث التجريبي للدّين، والبحث التاريخي حول الأديان، وعلم الأديان المقارن، وظواهر الدين، والدّراسات التحليليّة في البحث الدّيني، والتّمييز بين البحث الدّيني الدّاخلي والبحث الدّيني الخارجي، إلى جانب تحديد ماهيّة هذه المناهج والخطوات العمليّة للبحث فيها، بالاضافة إلى دراسة خياراتها ومعوّقاتها وحالات الخطأ التي تتطرّق إليها.

إنّ التعرّف على الاتجاهات في الدّراسات البينيّة للتخصصّات[1] في مجال الأبحاث الدينيّة، يمثّل ضرورة لا يمكن تجاهلها بالنّسبة للمراكز البحثيّة والأكاديميّة، وقد خصصّنا الفصل الأخير من الكتاب للحديث عن هذا الاتجاه.

تتناول الفصول بالتّرتيب تقديم تصوّر واضح لماهيّة البحث ومرتكزاته الأساسيّة، الأبحاث الدينيّة والقراءتين التقليديّة والحديثة لها، أساليب تقييم البحث وزيادة جدواه، البحث المتمحور حول المسألة ومواصفاتها وأنماطها، سياقات الأبحاث الدينيّة وأقسامها ومناهجها وأساليبها، المناهج الدينيّة الداخليّة والتحليليّة، الدّراسات التاريخيّة وخطواتها، الدّراسات المقارنة ومراحلها، الظّواهر، العلوم التجريبيّة، وفي النّهاية قمنا بالحديث عن العلوم المتفرّعة البينيّة.

استفدنا كثيرًا فى تاليف هذا الأثر من كتاب الدكتور أحد فرامرز قراملكي، "روشهای مطالعات دینی" أي "مناهج البحث في الدراسات الدّينيّة"، حيث جعلناه أرضيّة لتأليفنا، ولكن بالأحرى ما ألّفناه هو إعداد أثر في ثوب قشيب، ممزجًا بالدراسات العلميّة الحديثة، والأساليب التعليميّة الجديدة، كما إرتأيناه مناسبًا للباحثين في اطار العلوم الدينيّة بأجمعها، حتى ينالوا بعون الله تعالى ما ينبغي لهم في دراساتهم الجامعيّة والعلميّة وغيرها.

وفي النهاية اقدم شكري الى الله تعالى مولى الدارين الذي منحني جميع وسائل الحياة ومتطلّباتها الماديّة والروحيّة؛ الذي ربّاني وهداني الى طريق الحقّ والسّلام بإرساله الرّسل والكتب السّماويّة.

والى الأنبياء الخمسة أولي العزم وسائر إخوتهم الذين شاركوا في طريق الهداية.

---

[1] - نستعمل هذا المصطلح كمعادل عربي لمفردة الإنجليزي Interdiscplinary ويستعمل بعض الأكاديميّين عبارة "بينيّة التخصصّات" كمعادل لها.

والى الأخ العزيز علي عسّاف أيضًا، الذي بذل قصارى جهده بإخلاص وتفانٍ، وساهم في هذا العمل الآكاديمي، سائلًا الله تعالى دوام التّوفيق والنّجاح له.

محمّد جواد رحمتي

الفصل الأوّل

البحث، ماهيّته ومرتكزاته

تمهيد

يتطلّب نجاح أيّ لون من التّعامل مع موضوع معيّن، الإحاطة به أولًا، حتى لو كان ذلك على نحو إجمالي. هذا لأنّ الباحث سيتعامل مع أدواته ومناهجه في ضوء التصوّر الذي يحمله عن طبيعة البحث، فلابدّ أن نتساءل في بداية الأمر: ما هو البحث وما هي مقوّماته ومرتكزاته ؟

نتولّى دراسة الغايات المرتقبة من الباحث ومشروعه للبحث، للتعرّف على الفرق بين البحث العلمي والبرامج التعليميّة وغيرها.

هل تعدّ كلّ دراسة بحثًا ؟

هل يدخل في حقل الأبحاث مجرّد جمع المعلومات وتصنيفها ؟

هل نمتلك مبررًا لإطلاق سمة الباحث بسخاء على كلّ من يمارس لونًا من ألوان الدّراسة ؟

إنّ البحث يختلف جوهريًا عن النّشاط التّعليمي أو التّبشيري والدّعائي، سواء في الأهداف والبنية أو المنهج والأدوات. كثيرًا ما نلاحظ غيابًا للتّمييز بين مشروع البحث والبرنامج التّعليمي، المقالات العلميّة وأيضًا في تقييم رسائل الماجستير والدكتوراه. ويشيع ذلك في مجال الأبحاث الدينيّة بنحو أكبر مقارنة بالمجالات العلميّة الأخرى.

على أساس أيّ مقياس يمكننا القول بأنّ النصّ الفلاني تعليمي أو دعائي أو بحثي ؟ فتحديد طبيعة البحث وماهيّته هو الذي يزودنا بمقياس كهذا.



تحديد المفهوم

أهداف التعلّم :

- تحديد مفهوم البحث ومرتكزاته الستّة، مع ما تحتوي كلّ منها : المعلومات، المعالجة، التّنظيم، تحديد النّطاق، الهويّة العامّة والإبداع.
- تعريف المعالجة ومستوياتها الأربعة : التّعريف، الوصف، التّبرير والتّفسير.
- الغايات المرتقبة من الباحث ومشروعه للبحث، للتعرّف على الفرق بين البحث العلمي والبرامج التعليميّة وغيرها.

١ - تعريف البحث :

يتولّى التّعريف تحديد الإطار النّظري للبحث، بهدف العثور على مواصفات تميّزة وتخلّصه من الغموض، للتّباين بين البحث والدّراسات المشتتّة الرّتيبة، إلى جانب تباين البحث مع البرامج التعليميّة والدعائيّة.

١ - ١. نماذج لتعريف البحث :

أ. إنّ البحث نشاط منظّم ينتهي إلى اكتشاف قضايا معيّنة، سواء كانت معطياته أساسيّة[١] أو وظيفيّة[٢]، وبكلمة أخرى فهو نشاط منظّم مسجّل يؤدّي إلى الكشف عن الحقائق ومراكمة المعرفة.[٣]

ب. يحاول جون ديوي تقديم مفهوم عام للبحث يجري تعميمه بالكامل ويمكن تقديمه بنحو منطقي ويقول : إنّ البحث عبارة عن فعل خاضع للسّيطرة أو

---

١ - fundamental

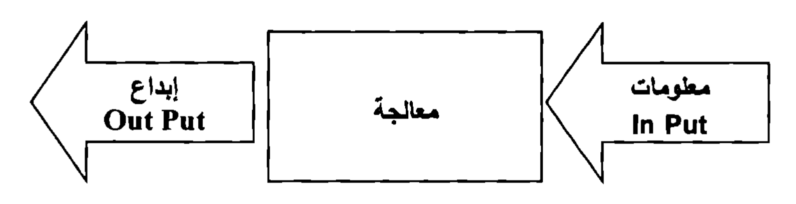
٢ - applied

٣ - نراقي، سيف، ونادري، **روشهاي تحقيق در علوم انساني (مناهج البحث في العلوم الإنسانيّة)**، طهران، ناشر مؤلف، ١٣٥٩ ش.، ص ١١-١٢.

موجّه، يتولّى تحويل موقف مبهم غير محدّد إلى موقف يتّسم بالوضوح والثّبات الكامل على مستوى خصائصه وعلاقاته، وبنحو يصبح في ظرف تتحوّل خلاله عناصر الموقف أو الحالة السابقة الأصليّة، إلى كلٍّ متوحّد.[1]

فالبحث عبارة عن معلومات منظّمة، تتّصل بنطاق علمي محدّد وتمتلك هويّة مشتركة، على نحو يتمخّض عن إبداع في نهاية المطاف.

والبحث أيضًا عمليّة تبدأ بالمعلومات وتنتهي إلى اكتشاف جديد :



الشّكل ١-١ : عمليّة البحث

٢ – مرتكزات البحث :

بناءً على ما تقدّم يمكن القول بأنّ البحث يقوم على ستّة مرتكزات نتولّى إيضاحها فيما يلي بإيجاز :

٢- ١. المعلومات :

المعلومات هي نقطة البداية في البحث ويلعب نوعها دورًا مهمًا في تشكيل نتائج البحث، وهي عنصر يحدّد حجم فائدة البحث وجدواه. إنّ أهمّ نقطة بالمعلومات هي كونها مناسبة للبحث، حيث تشمل الملاحظات التالية :

أ: معلومات، لا معطيات :

ينطلق البحث من المعلومات التى جرى تحليلها ومعالجتها دون المعطيات أو البيانات الخام، فجمع المعلومات أمر يتطلّب متابعة ممنهجة تتيح للباحث الوصول إلى المعطيات وتحويلها إلى معلومات.

---

[1] – ديوي، جون، **منطق تنوري تحقيق (المنطق النظري للبحث)**، علي شريعتمداري، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٩ش.، ص ١٣٤.

ب : المعلومات ذات الصلة بالموضوع :

ومن الأخطاء الرّئيسة في منهج البحث اللّجوء إلى طرح موضوعات لا ترتبط بالمحور الأساسي للموضوع. فيكون الدّافع غالبًا بدافع تضخيم حجم البحث وينتهي إلى الأخطاء التي سيعانيها الباحث في سياق معالجة المعلومات.

إنّ تحديد صلة المعلومات بمحور البحث، بحاجة إلى وجود خبرة في المعلومات، إلى جانب تعامل الباحث مع فروع علميّة متعدّدة في إطار الدّراسات البينيّة للتخصصاتوقدرته على التّفكير المنهجي داخل منظومة متّسقة. فعلى هذا يخضع انتقاء المعلومات خاضع لعقليّة الباحث. كلّما كانت أفكار الباحث أكثر تعقيدًا وأغزر على مستوى معلوماته المتنوّعة، سيكون أوفر حظًا في جمع المعلومات وتحديد مدى صلتها بموضوعه.

ج : معلومات كافية ومتكاملة :

من أهمّ أسباب الفشل في مشروع البحث، هو الاكتفاء بتلك المعلومات التي يمكن الوصول إليها بسهولة والميل إلى الاقتناع بالحدّ الأدنى في جمع المعلومات. يدفعه ذلك إلى إصدار تعميمات غير مبررّة واستنتاج معطيات كليّة عبر معلومات ناقصة.

إنّ الجهل بالقدر الكافي من المعلومات، يؤدّي إلى إخفاق البحث وعقمه. بينما نجد أنّ الحرص على أن تكون المعلومات بالقدر الوافي، سيجنّب الباحث الوقوع في التّسطيح والتّبسيط.

د : صدق المعلومات :

يعتبر صدق المعلومات واحدًا من معايير عمليّة انتقاء المعلومة وفرزها. إذ أنّ المعلومات الخاطئة التي لا تمثّل سوى تخمينًا جزافيًا، تؤدّي إلى عقم البحث. لابدّ للباحث أن يختبر درجة الصّدق في المعلومات بواسطة الأدوات

المتّعارف عليها في مجاله. وحيث أنّ "النّتيجة تتّبع أخسّ المقدمات"،[1] فإنّ وجود مقدمة كاذبة أو مقدّمة لم يتأكّد صدقها، يؤدّي إلى الشّك في نتيجة الدّليل.

---

[1] – يرى منطق أرسطو أنّ الطريقة الصّحيحة للاستنتاج هي النّزول من العام إلى الخاصّ، بعكس الاستقرائيّين، ففي الاستقراء نتابع بعض الظّواهر (الملاحظة)، أو نقوم بإجراء بعض الاختبارات (التّجربة)، وعندما نلاحظ الحالتين (التّجربة أو الملاحظة) أنّ (أ) عندما كانت توجد كانت (ب) توجد وراءها، فنعمّم الأمور، ونقول : (كلّما) وجدت (أ) وجدت (ب)، وهذه قفزة من الخاصّ والجزئي إلى العام والكلّي والقاعدة. يقول الأرسطيّون بأنّ الاستقراء يحتاج إلى قياسٍ خفي لكي يُنتج. وعندما تتبلور عناصر هذا القياس، يتحوّل الاستقراء إلى (تجربة) بالاصطلاح المنطقي وهناك يمكن الخروج بنتيجة. فعندما نعلم مسبقاً أنّ كلّ إنسان فانٍ، ونقول : محمدٌ إنسان، ثم نضيف القاعدة العامّة التي تشكّل بالاصطلاح المنطقي ما يسمّى بكبرى القياس، فنقول : وكلّ إنسان فان، وهنا نخرج بالنّتيجة، وهي أنّ محمّدًا فان، ففي هذه العمليّة المسمّاة بالقياس، نأخذ قاعدة مسبقة وهي فناء كلّ إنسان، ثم نطبّق هذه القاعدة على هذا الإنسان أو ذاك، فنخرج بنتيجة تتعلّق بهذا وذاك. فنعرف لماذا تكون النّتيجة في المنطق الأرسطي تابعةً لأخسّ المقدّمات؛ لأنّ أخسّ المقدّمات تؤثّر في النّتيجة، فلو كانت هناك مقدّمة جزئيّة فلا يمكن أن تكتسب نتيجةً أوسع منها؛ لأنّ هذا معناه القفز من الخاصّ إلى العام، فتبعيّة النتيجة للمقدّمات من هذه الناحية مردّه إلى النّظام البنيوي للمنطق الأرسطي، ولهذا عندما نقول : محمد إنسان، وكلّ إنسان فان، فلا نستطيع أن نقول : محمد وسعيد فان؛ لأنّ هذه النّتيجة ولو كانت في نفسها صحيحة، لكنّها بالنّسبة لمقدّمات هذا القياس تشكّل قفزةً من محمّد إلى ما هو أوسع منه، ولهذا أيضًا لا نستطيع أن نقول (من خلال هذا القياس) : الحيوان فان؛ لأنّ هذه النتيجة أوسع من الصغرى والكبرى معًا في هذا القياس؛ فعقليّة القياس هي عقليّة السّير من الأوسع إلى الأضيق، وهي لا تتناسب أبدًا مع عقليّة اتّباع أقوى المقدّمات. فمن يريد أن يسجّل نقدًا على هذه القاعدة في المنطق الأرسطي عليه الذهاب نحو قضيّة القياس والاستقراء، فإذا أثبت أنّ الاستقراء يوصل إلى يقين من دون حاجة لقياس خفي، فتكون هذه القاعدة عنده قد انهارت بهذا المعنى لها. وبالملخّص فالمقدّمات إن كانت قطعيّة أو ظنيّة فالنّتيجة كذلك، وإن كان بعضها قطعيًا وبعضها ظنيًا فهي ظنيّة، والنّتيجة دائمًا تتبع أخسّ المقدمتين في الكمّ والكيف جميعًا.

فنلاحظ أولًا : أنّ كذب المقدّمات في النّماذج التى جرى تناولها تفصيليًا في كتب المنطق، يؤدّي حتمًا إلى كذب النّتائج.

وثانيًا : أنّ صدق المقدّمات هو المقياس الذي يتاح للبحث المنظّم على ضوئه، أن يكتسب مواصفات الجهد العلمي.

هـ : الدقة في المعلومات :

إلى جانب صدق المقدّمات لابدّ من توافر الدقّة فيها كشرط في تحقّق جدوى البحث. ويؤدّي غياب الدقّة أحيانًا إلى تجريد المعلومة من صدقها، ومن أهمّ الأمثلة على هذا، ذلك الخطأ الذي يدعى عند علماء المنطق المسلمين بـ «مغالطة سوء اعتبار الحمل»[١] وينتج غياب الدقّة عن التّعميم في القول وتجاهل القيود التي تتضمنّها أجزاء النصّ.

---

[١] - الخطأ في البرهان إمّا لأجل مادّته أو لأجل صورته. والأوّل قد يكون في اللّفظ، وقد يكون في المعنى. والذي يكون في اللّفظ إنّما هو بسبب اشتباه دلالته. إمّا الاشتراك في أحد جزئي القول بحسب جوهره كالعين، أو بحسب تصاريفه، كالمختار، فإنّه مشترك بين الفاعل والمفعول بحسب الصّيغة. أو في حرف العطف، مثل : الخمسة زوج وفرد، فإنّ الواو للجمع، فيصدق قولنا : زوج وفرد حالة الجمع، فيتوهّم صدقه حالة الإفراد، فيقال الخمسة زوج. كما إذا كان زيد ماهرًا في الخياطة، غير ماهر في الطّب، فيصدق حالة الإفراد : زيد طبيب، زيد ماهر، فيتوهّم صدقه حالة الجمع، فيقال : زيد طبيب ماهر.

وإمّا لاستعمال الألفاظ المتباينة مثل المترادفة، كاستعمال السّيف مقام الصّارم وبالعكس، فإنّ السّيف اسم الذّات، سواء كان قاطعًا أو لا، والصّارم اسم له باعتبار القطع، فيتوهّم أنّهما مترادفان، فيستعمل أحدهما مقام الآخر.

والخطأ الذي يكون في المادّة من جهة المعنى، لالتباس المادّة الكاذبة بالصّادقة، كالحكم على الجنس بما حكم به نوعه. كقولنا : الفرس حيوان، والحيوان ناطق، فإنّه قد حكم على الحيوان الذي هو الجنس بالنّاطق الذي يحكم به على الإنسان الذي هو نوعه، وهذا من النّوع الذي يسمّى في باب المغالطة بسوء اعتبار الحمل، وهو أن يؤخذ مع الشيء ما ليس منه،

و : الوضوح والتّحديد في المعلومات :

تتطلّب دقّة النصّ تجريد معلومات البحث عن أي لون من الغموض. وسواء كان الغموض على مستوى المفهوم والذّهن، أم المصداق والواقع، فإنّه يحول دون أن تلعب المعلومات دورها المفترض.

يمكن أن تعاني معلومات البحث غموضًا بأنماط ثلاثة :

١ - فثمّة غموض في اللّغة.

٢ - غموض في الدّلالة.

٣ - غموض في المصداق.

يتصّل الأوّل باللّغة ومفرداتها، والثّاني بالذّهن والتصوّرات. أمّا القسم الثّالث فهو ذو صلة بالمصاديق والواقع الموضوعي. والغموض على مستوى اللّغة يدعى بالاشتراك اللفظي، أمّا في العبارات والجمل فهو ما يعرف بـ "المماراة".[1]

يتطلّب الوضوح والتّحديد دقّة بالغة متواصلة، على نحو يتيح للمرء أن يتوغّل في ماوراء الكلمة الواحدة واللّفظ المشترك المؤدّي إلى الخطأ، ليهتمّ بتفاوت المفاهيم واختلاف الأشياء.

أمّا الغموض في المصداق فهو يتّصل بالواقع الموضوعي، وهو ما يقع من خلط بين مصاديق المفهوم الواحد. إذ نجد في بعض الأحيان أنّ اللّفظ واضح لا غموض فيه، كما أنّ المفهوم محددّ، غير أنّ ثمة غموضًا في تحديد المصداق، أي أنّنا نخفق في تمييز مصاديق ذلك المفهوم عن سواها.

وهكذا فإنّنا غالبًا ما نواجه خلال انتقائنا لمعلومات البحث، ثلاثة أنواع من الغموض، وتتطلّب معالجة كلّ من هذه الأنواع أداة خاصّة.

أو لا يؤخذ معه ما هو منه. (الأصبهاني، محمود، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، دار المدني، ١٤٠٦هـ، ٣ أجزاء، ص ١٤٦- ١٤٧).

[1] - أي المجادلة.

فشرح الاسم، أو السّؤال عن معنى اللّفظ يكفل لنا تخطّي الغموض اللّغوي والاشتراك اللّفظي. كما أنّ التّعريف يعالج الغموض على المستوى المفهومي التصوّري، بينما يعمل كلّ من تحليل المفهوم[١] وتحليل القضيّة[٢] على معالجة الغموض في مستوى اللّغة ومستوى المفهوم معًا. أمّا معيار التمييز[٣] فهو يعالج الغموض في مستوى المصداق.

ز : معلومات حديثة :

يتّسم العلم بأنّه كينونة تدريجيّة، وليس في وسع الباحث أن يقتصر على المعلومات القديمة. فهي أحيانًا تصبح بلا قيمة، كما أنّ المعلومة الجديدة في بعض الحالات تضفي دقّة أكبر على المعلومة السّابقة.

على سبيل المثال إنّ الثّغرة الأكثر أهميّة اليوم في أبحاث علم الأخلاق (لا فلسفه الأخلاق) تتمثّل بغياب المعلومات الحديثة فيما يتّصل بالمهن والأعمال، الأمر الذي يفسّر عدم توفّر أبحاث تستحقّ الطّرح في مجال الأخلاق المهنيّة[٤] على نحو يناسب مجتمعنا.

ح : معلومات موثّقة :

من مسؤوليّات الباحث الوصول إلى المصدر الأصلي للمعلومة ونقد الوثائق التي تدعمها. "إنّ الخطوة الأولى في البحث الموضوعي هي النّظر في المصادر والرّجوع إلى سائر المواطن التي يحتمل أنّها تناولت ما يدور حوله البحث من موضوعات.

حيث أنّ البحث لون من الدّليل المنطقي وكلّما استعان الباحث بمراجع أكثر، كانت حجّته أقوى واستقراؤه أكمل. ليس العنصر الكمّي أو العددي مقياسًا في

---

١ - Conceptual Analysis

٢ - Propotional Analysis

٣ - Criteria

٤ - Professional Ethics

العودة إلى المراجع والاهتمام بالوثائق؛ بل يتمثّل المعيار الأكثر أهميّة بتوفّر عنصري «الأصالة» في المراجع و«الامانة» في النقل".[1]

يؤدّي استيعاب أهميّة الوثائق في عمليّة البحث، إلى تفادي صدور أحكام متعسّفة تنشأ عن عدم الإطلاع، حيث سيتخلّي الباحث عن جرأته وتساهله حين يدرک حجم الوثائق والمخطوطات التي عليه أن يعود إليها حين يكون في صدد التّدليل على موضوع معيّن."[2]

تتمثّل المرحلة الأكثر صعوبة، بجمع ما يتطلّبه من الوثائق والمراجع الاصليّة المعتدّ بها على نحو كاف، الأمر الذي يمكن أن لا يتاح للبحث نتيجة للتّساهل والحرص على السّرعة والميل إلى تجنّب المشاق والتّعويل أكثر ممّا ينبغي على الذّاكرة، إضافة إلى عدم تلقّى الباحث لتعليم يسبق مزاولته للبحث.

يحتاج الباحث إلى الدقّة أكثر من أيّ شيءآخر في عمليّة انتقاء المعلومات. وهذه الدقّة تكون عرضة للخطر نتيجة لعاملين أساسيّن :

التسرّع والغرور.

وغالبًا ما يعاني الباحثون الشّباب من تأثير العامل الأوّل، بينما يخضع الباحث الشّهير ذوالخبرة الطويلة، إلى تأثير العامل الآخر.

ط : عدم توفّر المعلومات هي معلومة :

لا ينبغي الاقتصار على ما هو متوفّر من المعلومات خلال عمليّة جمعها، بل لابدّ أن نهتمّ كذلک بما هو غير متوفّر. إنّ عدم توفّر البيانات سيتحوّل لدى الباحث عبر عمليّة التّحليل، إلى معلومة مفيدة. فإنّ المعلومات التي تستحقّ المشاركة في عمليّة البحث، تتحلّى بتسع مواصفات هي :

---

[1]- زرّين کوب، عبد الحسين، **يادداشتها و انديشه ها (ملاحظات وافكار)**، طهران، اساطير، ١٣٧١ش.، ص ١٤-١٥.

[2] - زرين کوب، **يادداشت ها و انديشه ها (ملاحظات وافكار)**، ص ١٤- ١٥.

٢ – ٢. المعالجة :

وجود المعلومات لا يكفي لوحده في تحقيق المشروط، فالبحث يبدأ منطلقًا من المعلومات لينتهي بالإبداع وثمّة مسار يمرّ به البحث وينتقل عبره من المعلومات إلى المعطيات الجديدة، وذلك هو معالجة المعلومات وتحليلها على أساس منهجي؛ حيث تتحوّل إلى معطيات جديدة من خلال تحليل منهجي ومعالجة منظّمة. يقدّم فرانسيس بيكون تصوّرًا تشبيهيًا معروفًا حول أهميّة المعلومات ودور التحليل في البحث، فهو يقسّم الباحثين إلى ثلاثة أصناف : الدّيدان، والعناكب، والنّحل. ويمكن تعميم تصويره هذا إلى أربعة مجموعات كما يلي :

الباحثون في المجموعة الأولى بمثابة ديدان، حيث يكتفون بجمع المعلومات وحسب، فإنّهم إنّما يحولون البيانات إلى معلومات فقط. أمّا المجموعة الثّانية فهم العناكب الذين يخوضون في المعالجة والتّحليل دون جمع المعلومات ودون توفّر رصيد معلوماتي، ممّا لن ينتج سوى تهويمات أو حديثًا لا أساس له. وفي المجموعة الثّالثة نلاحظ النّحل وهو يبدأ بجمع المعلومات أولًا ثم يقوم بتحويلها إلى عصارة علميّة من خلال التحليل والتّفكيك. إنّ تصوير بيكون يحدّد بوضوح طبيعة الفرق بين نتيجة المعالجة والتّحليل (العصارة)، ونتيجة جمع المعلومات.

أمّا المجموعة الرّابعة فهي تشبه الذّباب حيث تتجمّع حول طاولة بحوث الآخرين وتأخذ في انتحال الأبحاث وتلويثها، ولكن «ليس ثمّة عاهة يبتلى بها الباحث أسوأ من أن يعتاد سرقة أعمال الآخرين وانتحالها».[١] يمكن أن تكون

---

[١] – قراملكي، احد فرامرز، **مناهج البحث في الدراسات الدّينيّة، سرمد الطّائي**، معهد المعارف الحكميّة، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ٥٧.

السّرقات هذه على أشكال مختلفة ولها أسبابها المتعددّة، من قبيل السّرقة الصريحة[1] والسّرقة المتخفّية التي تقترن بالمكر والاحتيال.[2]

هنالك من ينتحل كتابًا علميًا كاملًا ويقدّمه باسمه بوصفه رسالة ينال بها درجة الماجستير، وربّما جاء أحدهم بالكتاب ذاته وادّعى أنّه له ايضًا، ولكن بعد أن يجري عليه تغييرات لا تقوم على مبرّر ويتصرّف فيه بنحو عشوائي. ويختلف المثالان في أنّ الثّاني أضاف إلى السّرقة خطيئة أخلاقيّة أخرى حين شوّه البحث المسروق وبعثره.

إنّ المعلومات حين تتجّرد عن التّحليل والمعالجة تكون حصيلة عقيمة لا طائل منها، كما أنّ المعالجة أو عمليّة التّحليل عندما تفتقد الرّصيد المعلوماتي فإنّها تصبح جوفاء لا قيمة لها. إنّ معالجة المعلومات تمنحها دلالتها وجدواها، وإنّما يتأكّد دور الباحث من خلال ذلك وحسب. وللمعالجة هذه أربعة مستويات متباينة : التّعريف، والوصف، والتّبرير، والتّفسير. وتقوم المعالجة وعمليّة التّحليل في ضوء المستويات هذه، على شكل محدّد من المناهج والأساليب والأدوات.[3]

قراءة اضافيّة : نظرية معالجة المعلومات

نظرية معالجة المعلومات :

استثارت الحاجة إلى البحوث المعرفيّة زيادة الاهتمام بالمهارات الإنسانيّة المعقدّة وثورة الكمبيوتر. تهتمّ معالجة المعلومات بنمط التّفكير البشري على غرار نموذج الحاسوب الحديث وتركّز اهتمامها على المدخلات، وطريقة الاختزان، وطريقة الاسترجاع.
تستند نظريّة معالجة المعلومات إلى ثلاثة افتراضات أساسيّة، وهي :

---

[1] - Plagiarism

[2] - Paraphrase

[3] - كانط، عمانوئيل، **نقد عقل محض، (نقد العقل المجرّد)**، ج٢، ص ٧٥.

١- أنّ معالجة المعلومات تتم من خلال خطوات أو مراحل.

٢- لا يستطيع الانسان الاّ معالجة كميّة محدودة من المعلومات في آن واحد.

٣- نظام المعالجة الإنساني نظام تفاعلي.

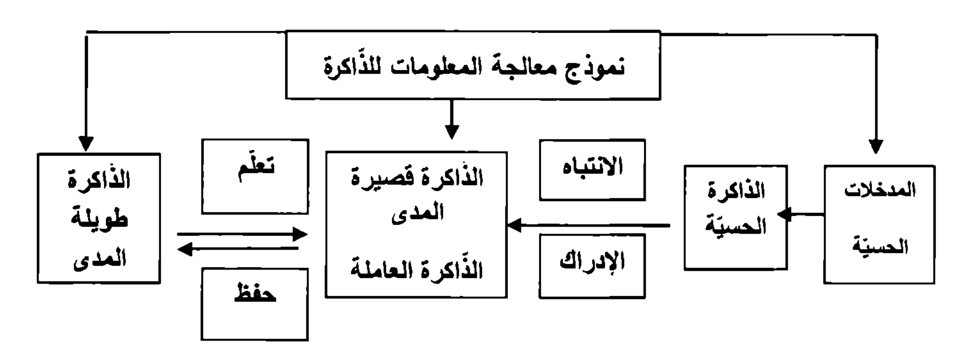
نموذج معالجة المعلومات :

١ - الاستقبال (Receiving) : يتمثل في عمليّات تسلّم المنبّهات الحسيّة المرتبطة بالعالم الخارجي من خلال الحواسّ.

٢ - التّرميز (Encoding) : عمليّة إعطاء معاني ذات مدلول معيّن للمدخلات الحسيّة في الذّاكرة.

٣ - التّخزين أو الأحتفاظ (Storage) : عمليّة الاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة.

٤ - الاسترجاع أو التذكّر (Retrieval) : تتمثّل في ممارسة استدعاء أو استرجاع المعلومات والخبرات السّابقة التي تمّ ترميزها وتخزينها في الذّاكرة الدّائمة.



شرح نموذج معالجة المعلومات للذّاكرة

- الذّاكرة الحسيّة (السّجل الحسّي) ويستقبل المعلومات من البيئة الخارجيّة عن طريق الحواسّ الخمس ويدخلها على شكل تخيّلات حسيّة.

- الذّاكرة القصيرة أو العاملة، وهي قيام الفرد بنقل بعض من هذه المعلومات إلى الذّاكرة قصيرة الأمد والاحتفاظ بها لفترة قصيرة من الزّمن.

- الانتباه : هو استجابة موجّهة نحو مثير معيّن نتيجة لعمليّة الانتقاء، نحو المعلومات التي يلتفت لها الفرد أو يشعر بأنّها مهمّة.

- الإدراك : المعنى الذي نلصقه بالمعلومات الخام التي يتم استقبالها من خلال حواسّنا.

- الذّاكرة قصيرة المدى : يخزن المعلومات، في معظم الأوقات لمدّة تتراوح بين ٢٠ إلى ٣٠ ثانية. سعته للمعلومات محدودة بمتوسّط سبع وحدات مستقلة. يخزّن المعلومات بأنماط إدراكيّة : لفظيّة أو بصريّة وليس تخيلات.

- الذّاكرة طويلة المدى : تحتفظ بالمعلومات التي سبق تعلّمها جيّدًا، ويحدث التعلّم عند انتقال المعلومات من الذّاكرة قصيرة المدى وتستقرّ في مخزن الذّاكرة طويلة المدى. فهي عبارة عن مكان تجمّع خبرات الفرد طيلة حياته، ومن أهمّ وظائفه القيام بتفسير المعلومات وإعطاؤها معاني، وتنظيمها، وربطها بغيرها، وتحليلها، لكي يحتفظ بها. فبناءً على هذا خصائصها هي :

- سعتها للمعلومات غير محدودة.
- تحتفظ بالمعلومات لأطول فترة ممكنة من الزّمن.
- تدخل المعلومات إليها على شكل صور ذهنيّة ورموز.
- تفقد المعلومات في هذه الذّاكرة بالنّسيان، ولكن يمكن استرجاعها بسهولة.

ملاحظة :

يميّز علماء النّفس المعرفيّون بين ثلاثة اصناف من الذّاكرة طويلة المدى : الدلاليّة، الحديثة، الإجرائيّة :

أ. **الذّاكرة الدلاليّة** : هي ذاكرة المعنى، وفيها تخزّن الذّكريات على شكل افتراضات، وصور ذهنيّة، ومخططّات عقليّة.

ب. **الذّاكرة الحدثيه** : هي ذاكرة المكان المرتبطة بمكان محددّ، وتشمل جميع الخبرات التي مرّ بها الفرد خلال مراحل حياته المختلفة.

ج. **الذّاكرة الإجرائيّة** : هي مختصة بكيفيّة عمل أو أداء الأشياء.

الاحتفاظ بالمعلومات في الذّاكرة :

- التّسميع المحافظة : طالما نقوم بتكرار المعلومات يمكننا الاحتفاظ بالمعلومات في الذّاكرة قصيرة المدى بشكل غير متناه.

- التّسميع الموضّح : يتطلّب ربط المعلومات المراد تذكّرها مع شيء معروف سابقًا ومخزون في الذّاكرة.

يمكن التغلّب على محدوديّة سعة الذّاكرة قصيرة المدى بواسطة عمليّة التّحزيم أو التّجميع.

-التّنظيم : يقوم الفرد بتنظيم المعلومات على أساس العناصر المشتركة التي تجمع بينها.

تخزين المعلومات في الذّاكرة :

- السّياق : يتمّ تعلّم المظاهر الفيزيائيّة والانفعاليّة للسّياق كالمكان والمزاج والمشاعر مع المعلومات، فللاحتفاظ بها ينبغي تذكرّها إذا كان السّياق الرّاهن مشابهًا للسّياق الأصلي.

- النّسيان : هو عجز طبيعيّ، جزئيّ أو كليّ، دائم أو مؤقت، عن تذكّر ما كسبناه من معلومات متى توافرت جميع الظّروف التي يحدث فيها التذكّر.

نظريّات تعليل النّسيان :

١- نظريّة التّرك والضّمور : أنّ الذكريات والخبرات السّابقة تضعف آثارها وتضمر نتيجة لعدم استعمالها.

٢ - التّداخل القبلي : عندما تعيق الخبرات المتعلّمة سابقًا عمليّة تذكّر الخبرات المتعلّمة حديثًا. أي التعلّم القديم يعيق التعلّم الجديد.

٣- التّلف : تلاشي المعلومات بمرور الزّمن.

٤- نظريّة الكبت : أنّ نسيان المواعيد والأسماء والأحداث قد ينجم من رغبات مكبوتة.

ارشادات للتعلّم والاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة :

١ - التعلّم المبني على المعنى يدوم، ويجب ربط ما نتعلّمه بخبراتنا السّابقة وأن نميل بالمعلومات الجديدة إلى الأمور الحسيّة التي ندركها وأن نستخدم فيها النّماذج الحقيقيّة.

٢ - تحضير المواد الدراسيّة في البداية وعرض أهداف النصّ ورسم خطّة متكاملة للوصول إلى المعرفة المطلوبة.

٣ - التّدريب الموزّع أكثر فاعليّة من التّدريب المكثّف.

٤ - الاعتماد على التّكرار اللّفظي للمادّة المتعلّمة والمفاهيم الجديدة التي نسمعها أو نتخيّلها لأوّل مرّة.

٥ - الاهتمام بالتّداخل الذي قد ينتج من وجود مثيرات تشويش التعلّم الجديد.

٦ - الاهتمام بتطبيق الأمور التي نتعلّمها عمليًا.

٧ - استخلاص التّعميمات وتكوين المفاهيم. فكلّما كان مستوى المعالجة اكبر يكون استرجاع المعلومات ايسر.

٨ - تنظيم المعلومات بشكل يساعد على التذكّر، وتطبيق ذلك في حياتنا العمليّة اليوميّة بأن نرتّب أمورنا والتزاماتنا وفق سلسلة منظّمة يؤدّي بعضها إلى تذكّر الآخر، سواء بالتّجزئة أو التّرميز أو بأيّ وسيلة تساعد على تذكّرها.

٩ - تنظيم شرح المادّة التعليميّة تطرح فيه الأسئلة في بداية الدّرس وخلاله وفي نهايته.

٢ – ٣. التّنظيم :

إنّ تحليل المعلومات الذى يمثّل العنصر الأساسي في البحث، يعكس ما يتطلّبه هذا من التّنظيم والتّحديد المنضبط. إذ أنّ البحث بوصفه عمليّة محددّة، يمتلک اطارًا وضوابط وقواعد معيّنة. وما يميّز البحث عن الدّراسات المشتتّة هو خضوعه لإطار منهجي عام، الأمر الذى يمثّل أهمّ خصائصه.

إنّ الضّوابط والتّنظيم المناسب يحددّان مسار البحث واتّجاهه، وإنّما يمكن أن تحظى نتائج البحث بترحيب الأوساط العلميّة، فيما لو اعتمد الباحث المعايير والضوابط المتداولة المتعارف عليها.

٢ – ٤. الاختصاص بنطاق محدّد :

لا نستخدم مصطلح البحث في دراساتنا على نحو مطلق، بل غالبًا ما نستخدمه مضافًا لفرع من المعرفة البشريّة فنقول : الأبحاث الفلسفيّة، أو الأبحاث الكلاميّة، أو النفسيّة، ... الخ. وهذا هو النّطاق الذى يتحرّک في البحث. إنّ السّر في اختصاص البحث بواحد من العلوم يكمن في أنّ الممارسة البحثيّة لا تمثّل سوى معالجة منهجيّة لمسألة محددّة.

يتطلّب هذا مرانًا وتعليمًا مسبقًا يتلقّاه الباحث، ولا يمكن للمرء أن يخوض حقلًا علميًا ويتناوله بالبحث دون أنّ يتعلّم ذلک الحقل. إنّ البحث في علم معيّن يتطلّب الإحاطة بمبادئه وموضوعاته ومناهحه وبنيته.

٢ – ٥. الهويّة العامّة :

كلّ مشروع بحثي، وفي ضوء اختصاصه بنطاق محددّ، هو جزء من هويّة العلم العامّة يمتلک موقعه الخاصّ في مجموعة العلوم، ويلعب دورًا معينًا بوصفه عنصرًا في منظومة محددّة وشبكة خاصّة. إنّ أيّ بحث هو في حقيقة الأمر جزء من الممارسة العامّة للباحثين في نطاق معيّن ضمن تاريخ العلم المأخوذ بنظر الاعتبار، كما أنّه يحتلّ نقطة في مسار تطوّر العلم هذا.

إنّ اهتمام الباحث بالهويّة للبحث يؤدّي به منذ بداية عمله، إلى العثور على موقع بحثه في مسار العلم المعني. حين نتساءل : أين موقع البحث الكذائى من جغرافيا العلم ؟ فإن سؤالًا كهذا سيحدّد لنا ضرورة البحث وراهنيّته، أو يعكس عدم جدواه ويكشف لنا أنّه عمل مكرّر اجتراري.

٢ – ٦. الإبداع :

يمثّل الإبداع، أهمّ ما يميّز البحث عن برامج التعليم أو الجهد العلمي. فحين يهدف الباحث إلى تعليم المعطيات وإشاعتها، يحاول البحث أن ينتج المعرفة العلميّة. إنّ الباحث في صدد اكتشاف أمر لم يجر اكتشافه بعد. ثمّة جوانب متعددّة للإبداع، فحصيلة البحث تكون تارة صياغة سؤال جديد وقضيّة مستحدثة، أو عن نظريّة جديدة، أو بما يؤسسّه من منهج جديد.

يمكن أن نتساءل : على أيّ أساس حكمنا وقلنا بحداثته ونتائج البحث ؟ في وسعنا أن نقدّم إجابة حيال السّؤال هذا من خلال العنصرين الرّابع والخامس (الاختصاص بنطاق محدّد، الهويّة العامّة) في تعريف البحث. إنّ المعيار هو النّطاق الذى يتحرّك فيه البحث، أي أنّه ينبغي أن يكون البحث قد جاءنا بجديد ضمن مسار العلم والمسار التّاريخي.

وعلى هذا الأساس يتّسم البحث بالتّعقيد والصّعوبة، ويحتاج الباحث إلى معلومات دقيقة حول آخر ما تضمنتّه الأبحاث في مجال تخصصّه. أزمة جعلت الباحثين في الغالب أقرب إلى مترجمي النظريّات المتداولة وشارحيها، منهم إلى من ينتج نظريّة جديدة.

نتوقّع أن يتولّى البحث طرح موضوعات جديدة، أو أن يقوم بمعالجة موضوعات لم تخضع للمعالجة سابقًا، أو أن يقدّم طريقة جديدة في اكتشاف الموضوع ومعالجته. وتأسيسًا على ما مضى فإنّ البحث يتقوّم بستّة مرتكزات أساسيّة، ويؤدي اختلال كلّ منها إلى تشويهه.

قراءة اضافيّة : التّفكير الإبداعي

التّفكير الإبداعي :

الإسلام روح التّفكير حيث ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تخصّ التّفكير والعقل بصيغ وألفاظ ومعان مختلفة، جميعها تدعو العقل إلى النّظر والتأمّل دعوة صريحة، تكمن فيها وظائف العقل ومشتقّاته، ويخاطب الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز أصحاب العقول بقوله : "**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**" (الزمر / ٩) "**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**" (البقرة / ٢٦٩) "**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" (الحشر / ٢١)[١]

برز عدد كبير من العلماء في شتّى ميادين المعرفة فأنشأوا علومًا واستخدموا مناهج البحث التّجريبي والاستقراء والتّجارب العلميّة. منهم ابن خلدون الذي أولى عناية فائقة بالرياضيّات، لأنّها تنشط العقل وتعلّمه التّفكير السّليم ويرى أنّ العقل في تفتّح مستمرّ. وجابر بن حيّان الذي أعطى الجبر حقّه واستخدم التّجارب العلميّة التي سمّاها بـ "التّدريب". كما ربط الخوارزمي بين الجبر والهندسة وبهذا أنشأ الهندسة التحليليّة. أمّا الكندي اهتمّ بالعقل والتّفكير، ومن مؤلّفاته كتاب "العقل" الذي كان له أهميّة خاصّة في تاريخ علم النّفس لدى المسلمين.

الإبداع لغةً ابتداء الشّئ أو صنعه على غير مثال سابق. جاء في القرآن الكريم : "**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**"(البقرة / ١١٧) و"**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**" (الأنعام /١٠١).

وفي اللّغة الانجليزيّة تشتقّ كلمة إبداع (Creativity or Creativeness) من كلمة الخلق (Creation)، والفعل يخلق (Create) أصله اللّاتيني (Creare) ومعناها يخرج الى الحياة أو يصمّم أو ينشيء أو يخترع أو يكون سببًا.

---

[١] – هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم، أشرنا الى بعضها واليك المزيد : (آل عمران/١٩٠) (ص/٢٩) (البقرة/١٦٤) (يونس/٢٤) (الرعد/٣) (النحل/١١) (النحل/٤٤) (النحل/٦٩) (الروم/٢١) (الزمر/٤٢) (الجاثية/١٣) (الأعراف/١٧٦) (آل عمران / ١٩٠–١٩١)

لا يوجد تعريف محدّد جامع لمفهوم الإبداع، وحصيلة الآراء تنظر إلى الإبداع بأنّه عمليّة عقليّة، أو إنتاج ملموس يتميّز بأكبر قدر من الطلاقة الفكريّة، والمرونة التّلقائيّة وأصيلة لم تكن معروفة سابقًا.

عناصر التّفكير الإبداعي :

– الأصالة : التميّز والقدرة على النّفاذ إلى ما وراء المباشر والمألوف من الأفكار.

– الطّلاقة : وهي القدرة على إنتاج أفكار عديدة لفظيّة وأدائيّة لمشكلة نهايتها حرّة ومفتوحة.

ويمكن تلخيص الطّلاقة في الأنواع التالية :

– طلاقة الألفاظ : وهي سرعة تفكير الفرد في إعطاء الكلمات وتوليدها في نسق جيّد.

– طلاقة التّداعي : وهو إنتاج أكبر عدد ممكن من الكلمات ذات الدّلالة الواحدة.

– طلاقة الأفكار : وهي استدعاء عدد كبير من الأفكار في زمن محددّ.

– طلاقة الأشكال : وهي تقديم بعض الإضافات إلى أشكال معيّنة لتكوين رسوم حقيقيّة.

المرونة : وهي تغيير الحالة الذهنيّة لدى الفرد بتغير الموقف. للمرونة مظهران هما :

أ – المرونة التّلقائيّة : وهو إعطاء عدد من الأفكار المتنوّعة التي ترتبط بموقف محددّ.

ب – المرونة التّكيفيّة : وهي التوصّل إلى حل مشكلة، أو الموقف الذي تأتي منه.

– الحساسيّة للمشكلات : وهي قدرة الفرد على رؤية المشكلات في الأشياء والعادات، أو النّظم، ورؤية جوانب النّقص والعيب فيها.

– التّفاصيل : هي مساحة الخبرة والوصول إلى تنميات جديدة من خبرات.

الخطوات التدريبيّة لإدراك التفاصيل وتوسيع الخبرة :

١ . التفكّر في الهدف الذي نريد أن نستعمل المادّة التي نقوم بمعالجتها، مع مثال.

٢ . ربط الفكرة التي نتفكّر فيها بخبراتنا السّابقة، مع مثال.

٣ . ربط الفكرة التي نتفكر فيها باعتقاداتنا واتّجاهاتنا، مع مثال.

٤ . التفكّر في استجاباتنا العاطفيّة للمحتوى المتضمّن في الفكرة، مع مثال.

٥ . ربط ما نتفكّر فيه بالأفراد المحيطين بنا، مع مثال.

٦ . التفكر في الآراء الذي حققّناها عند قراءتنا للمحتوى، مع مثال.

٧ . التفكّر في استجابات الآخرين للمحتوى الذي قرأناها، مع مثال.

٨ . ربط الاستجابات والأفكار بما يوجد لدينا من مخزون معرفي، مع مثال.

٩ . رعاية المعاني والخبرات المرتبطة بالمواضيع والأفكار، مع مثال.

١٠ . التفكّر في تضمينات ما تم صياغته، مع مثال.

١١ . النّظر إلى المعنى والإحساس العام، أو العلاقات المنطقيّة للأفكار، مع مثال.

١٢ . ربط المحتوى مع الفكرة التي بدأنا التّفكير فيها أو موضوع اهتمامنا، مع مثال.

١٣ . ربط الكلمات المفتاح أو المفاهيم بالأفكار، مع مثال.

١٤ . مناقشة ما توصلنا إليه مع الآخرين، مع مثال.

يسهم التّفكير الإبداعي في تحقيق الأهداف الآتية :

١ . زيادة الوعي بما يدور حولنا.

٢ . معالجة القضيّة من وجوه متعددّة.

٣ . زيادة فاعليتنا في معالجة ما يقدّم لنا من مواقف وخبرات.

٤ . زيادة كفاءة العمل الذّهني لدينا في معالجة الموقف.

٥ . تفعيل وتسارع في تطوير اتجاهات إيجابيّة نحو الخبرات التعلميّة.

٦ . زيادة الحيويّة والنّشاط في تنظيم المواقف أو التخطيط لها.

التدرّب على التّفكير الإبداعي :

إنّ هدف التدرّب على التّفكير الإبداعي تشغيل الذّهن بطريقة أسرع ويتضمّن :

١ . النّظر إلى الأشياء المألوفة نظرة جديدة.

٢ . إبداع أفكار جديدة وأصيلة.

٣ . معالجة القضايا بطريقة أكثر مرونةً.

٤ . تقليب الفكرة بعدة وجوه.

٥ . تفصيل الفكرة ورفدها بمعلومات إضافيّة واسعة.

٦ . إطلاق الأفكار المتعلّقة بالفكرة الواحدة.

٧ . التّفكير في مهارة التّشغيل التي يستخدمها الذّكاء في أثناء القيام بالعمل، مستندًا على عامل الخبرة واعتمادًا على ذلك. (الذّكاء، طاقة وقوّة – التّفكير، مهارة القدرة على القيادة).

أساليب التدرّب على التّفكير الإبداعي :

١ – محاولة قضاء بعض الوقت مع أفراد متّصفين بالفكر الإبداعي وكتابة أيّة فكرة تخطر على بالنا.

٢ – تدريب النّفس على الفكاهة بافتراض أنّ كلّ شيء ممكن الحدوث.

٣ – كتابة الإيجابيّات عن نفسنا على سبيل المثال : "إنّي أنسجم مع الآخرين بسهولة".

٤ – نبتسم، نستخدم استعارات، وتشبيهات وغيرها.

٥ – نخترع حلولاً جديدة لمشكلات معقدّة.

٦ – نلعب مع نفسنا لعبة افتراضيّة كأنّي اريد تنظيف السيّارة باللبن.
٧ – الانتباه للأفكار البسيطة والتي يمكن أن تكون كبيرة عند الأخذ بالإعتبار.
٨ – التفكّر في أساليب مختلفة للتّعبير؛ كالرّسم، الكتابة، الطبخ، لعب رياضيّة.
٩ – اطلاق التّفكير بالتجوّل فيما حولنا.
١٠ – إذا كنّا نستخدم يدنا اليمنى، فنستخدم يدنا اليسرى.
١١ – اعتماد على تقدير قياس الأشياء التي نواجهها تخمينًا قبل استخدام أداة القياس.
١٢ – اجراء الحسابات دون استخدام الحاسوب اليدوي.
١٣ – كتابة قوائم عن الأسماء المترادفة للأشياء التي نعرفها، وحث ذاكرتنا على ذلك.
١٤ – التخيّل في الذهن حول عوائق ومشاكل صعبة ومعقدّة على فرض مواجهتنا معها.

التّفكير الإبداعي من وجهة نظر جان بياجيه :

التّفكير عمليّة يوميّة مستمرّة مصاحبة للإنسان بشكل دائم وأداء طبيعي يقوم به باستمرار. إنّ الهدف الرّئيس للتّربية هو خلق رجال يتمكّنون من عمل أشياء جديدة، وليس إعادة الأشياء القديمة التي أدّتها الأجيال السّابقة وتشكيل العقول التي لا تقبل كلّ شيء يقدم لها من دون تمحيص وتدقيق وتحليل. ويرى بياجيه إنّ عمليّة التّفكير تتطلّب فهم أو معرفة أربعة مفاهيم رئيسيّة :

١ – **المخططّات** (Schemata) : إنّه الفعل البسيط الذي يطوّره الفرد خلال عمليّة نموّه الى بناء عقلي معقد.[1] إنّ المخططّات العقليّة تشكّل حجر الأساس للتّفكير، وهي أنظمة مشتقّة من الأفعال والأفكار التي تسمح للفرد بتمثّل الأشياء والأحداث من حوله ذهنيًا لتصبح جزءًا من مكوّناته.[2] المخططّات هي البنى التي ينبع منها السّلوك وكلّ مخططً يضمّ تجمّعًا كليًا لسلسلة من أفعال متميّزة ومتناسقة مع جميع المخططّات الأخرى.

٢– **التمثّل** (Assimilation) : هو العمليّة التي بواسطتها تتوحّد عناصر البيئة مع البناء المعرفي للفرد، ويعني أيضًا تقبّل معلومات جديدة تدمج ببنائه المعرفي الذي يحددً

---

[1] – توق، محيي الدّين وعبد الرحّمن عدس، **أساسيّات علم النّفس التّربوي**، ١٩٨٤م.، دار جون للطّباعة والنّشر، الأردن، ص ٤٦.

[2] – البيلي، محمّد عبد الله وعبد القادر والصّمادي، **علم النّفس التّربوي وتطبيقاته**، ١٩٩٧م.، ط١، مكتبة الفلاّح للنّشر والتّوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ص ٢٥٤.

السّيكما(Schemas) أي البناء المعرفي الموجود في الدّماغ. يحدث التّمثّل عندما يستخدم النّاس المخططّات الموجودة لديهم لفهم الأحداث والمثيرات المحيطة بهم.[1]

٣ - **المواءمة** (Accommolation) : هي الإجراءات التي يقوم فيها الدّماغ بمزج المعلومات الجديدة بالقديمة، أو إعادة تنظيم التّراكيب المعرفيّة الموجودة مسبقًا لتناسب الخبرات الجديدة. يصعب الفصل بين عمليتيّ التّمثل والمواءمة عن بعضهما، لأنّهما تحدثان معًا في آن واحد لدى معالجة الأفكار وتشكلّان عمليّة الاحتفاظ والتّوازن. فالمواءمة عمليّة عقليّة عليا تتضمّن قدرات "التّنظيم والتّحليل والتّركيب والاستدعاء" وإدراك العلاقة بين موقفين أو أكثر. وهنا يكون حلّ المشكلة مشروط بمعرفة المبادئ والمفاهيم والقدرة على التّميز والتّعميم وإنّه إذا وصل إلى حلّ للمشكلة فمن الممكن أن يصل إلى درجة الإبداع.

٤ - **التّوازن أو التّعادل** (Equilibrium) : إنّ الموازنة هي الذّكاء في عمليّة تعادل بين التمثّل والمواءمة والتّنظيم التي يصفها بياجية بالتصرّفات المعقدّة التي تهدف لتحقيق التّوازن وأنّ التغيّرات الحقيقيّة في التّفكير تحدث من خلاله.[2]

يرى بياجيه أنّ الإنسان ينمّي معرفته بالعالم الخارجي من خلال التّفاعل بين عوامل النّضج الطبيعي وعوامل الخبرة المكتسبة وتنظيم الإنسان هذه المعرفة في تكوينات أو بناءات (constructs) تيّسر له التّفاعل مع البيئة. وبذلك فإنّ العقل البشري منظومة كبرى مكوّنة بناءات يخلقها الإنسان ثمّ يدرك البيئة من خلالها. وهذه البناءات ذات طبيعة مرنة ولذلك فهي قابلة للتّعديل والتّغيير مع عوامل النّضج وعوامل الخبرة المتجددّة.[3]

مراحل العمليّة الإبداعيّة :

اختلف الباحثون في تحديد مراحل العمليّة الإبداعيّة والأهداف التي يسعون لتحقيقها، فإنّ العمليّة الإبداعيّة تمرّ بمراحل متباينة تتولّد خلالها الأفكار الجديدة، وهي :

---

[1] - المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

[2] - الازيرجاوي، فاضل، **أسس علم النّفس التّربوي**، ١٩٩١م.، وزارة التّعليم العالي، جامعة الموصل، دار الكتب للطّباعة والنّشر، الموصل، ص ٧٣.

[3] - Piaget, J., ١٩٥٧, **Logic and Psychology**, New York, Basic Books, p ٣١٢.

١ - **مرحلة الإعداد أو التّحضير (Preparation)** : يتمّ فيها تحديد المشكلة وفحصها من جميع الجوانب، ويشمل ذلك تجميع المعلومات والمهارات والخبرات. ثم يتمّ تصنيفها عن طريق ربط عناصر المشكلة مع بعضها.

٢ - **مرحلة الكمون (Incubation)** : هي مرحلة انتظار، وفيها يتحرّر العقل من الشّوائب والافكار التي لا صلة لها بالمشكلة، ويحدث فيها التّفكير العميق والمستمرّ بالمشكلة.

٣ - **مرحلة الإشراق (Illumination)** : وفيها تنبثق شرارة الإبداع، وولادة الفكرة الجديدة التي تؤدّي الى حلّ المشكلة.

٤ - **مرحلة التّحقيق (Verification)** : يختبر فيها المبدع الفكرة ويعيد النّظر فيها، ثم يجرّب الحلّ، ويتحقّق من نجاحه.[١]

استراتيجيّات تنمية التّفكير الإبداعي :

عرض موجز لبعض الطّرق والاستراتيجيّات التي تعمل على تنمية التّفكير الإبداعي :

١ - **أسلوب الحلّ المبدع للمشكلات** : يعدّ أسلوبًا إجرائيًا مماثلاً لخطوات حلّ المشكلة مع التأكيد على الجانب الإبداعي. ويقوم على مجموعة من الأفكار الرئيسة أهمّها ما يأتي :

أ - تتضمّن عمليّة الحلّ المبدع لأيّ مشكلة ثلاث عمليّات متعاقبة هي :

١ - ملاحظة المشكلة والإحاطة بها.

٢ - معالجة المشكلة والتوصّل الى الحلّ.

٣ - تقييم الأفكار التي تمّ التوصّل اليها.

ب - يعطي السّلوك المبدع ناتجًا يتصّف بالأصالة، والقيمة العمليّة أو الوظيفيّة.

ج - توافر درجة عالية من القدرة على استشفاف المشكلات المحيطة بالفرد.

د - تحديد مختلف جوانب المشكلة في مراحل متعاقبة تشمل :

١ - جمع الحقائق المتصّلة بالمشكلة.

٢ - تحديد المشكلة.

٣ - التّفكير في الحلول المحتملة للمشكلة.

٤ - اختيار الحلّ الملائم.

٥ - اختبار فاعليّة الحلّ.

---

[١] - قطامي، نايفة، **تعليم التّفكير للمرحلة الأساسيّة**، ٢٠٠١م.، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، الأردن، ص٩١.

٢- **طريقة العصف الذهني** (Brain Storming) : تستخدم هذه الطّريقة عندما تفشل الطّرق الأخرى في حلّ مسألة، أو عندما نعجز عن التّفكير بإستراتيجيّة معيّنة لنستخدمها في حلّ المشكلة. تعني طريقة العصف الذهني النّظر الى المشكلة بطريقة جديدة وخلاّقة.

فالعصف الذهني مجموعة من الإجراءات لاستخدام العقل في دراسة مشكلة وتقديم كلّ الحلول الممكنة حولها بجمع كلّ الأفكار حول المشكلة.

يقوم أسلوب العصف الذهني على افتراض القائل أنّه إذا أتيح للذّهن بأن يطلق العنان للتّفكير في مسالة أو قضيّة مّا، فإنّ الأفكار تتدفّق دونما كابح. تقوم هذه الطّريقة على مجموعة من المبادئ منها :

١- تأجيل النّقد لأيّة فكرة أو رأي إلى مرحلة ما بعد توليد الأفكار.

٢- التّأكيد على مبدأ كمّ من الأفكار يرفع ويزيد كيفها ويستند على افتراض أنّ الافكار والحلول الإبداعيّة للقضايا تاتي بعد عدد من الحلول أو الأفكار غير الجيّدة.

٣- تشجيع الدّوران الحر بين الأفراد بخصوص طرح الأفكار.

٤- محاولة الرّبط والتّطوير للأفكار المعطاة.

٣- **طريقة التّحليل المورفولوجي (الشّكلي)**Morphological Analysi : وهي طريقة تقوم على أساس تحليل المشكلة إلى أبعادها الأساسيّة، ومن ثمّ تحديد الفئات المختلفة التي تنتمي إليها هذه الابعاد، ثمّ نقوم بربط هذه الفئات بالطّرق المحتملة للحلّ. ومن خلال ذلك نحصل على طرق أخرى جديدة.[١]

٤ - **طريقة تغيير الخواصّ** (Attribute Listing) : طريقة لتوليد الافكار تهدف إلى تحسين منتج مّا، وتقوم على حساب وحصر الخصائص الاساسيّة لموضوع أو فكرة، ثمّ يتمّ تغيير كلّ خاصية على حدة، لانتاج مجموعة من الافكار والتي يتمّ تقويمها كلّ على حدة.

٥ - **نموذج سكامبير** : يستعمل في تفعيل التّفكير باستخدام أسئلة تطرح حول موضوع معيّن أو ظاهرة معيّنة، وهذه الأسئلة تمثّل مدخلات النّموذج التي يعتمّد عليها في إجراء عمليّات الاستدلال والاستقراء والاستنباط والتّصنيف والتّنظيم، أمّا المخرجات هي التي

---

[١] - عبدالهادي، نبيل ويوسف شاهين، **تطوّر التّفكير عند الطفل**، ٢٠٠٠م.، عمان، ط١، مركز غنيم للتصّميم والطّباعة، ص ٧٨.

تستخلص منها الأفكار التي تستخدم في بناء منظومة معرفيّة متكاملة عن الموضوع المطروح، وهي تمثّل التّفكير الإبداعي.[1]

برنامج قبّعات التّفكير الستّة لتنمية التّفكير الإبداعي (Thinking Hats Six)

هذه الطّريقة مفيدة للتفوّق والنّجاح في المواقف العمليّة والشخصيّة وفي نطاق العمل أو المنزل وتقوم هذه الطريقة بتوجيه الشّخص إلى أن يفكّر بطريقة معيّنة ثمّ يطلب منه التحوّل إلى طريقة أخرى أي إنّ الشّخص يمكن أن يلبس أيًا من القبّعات السّت الملوّنة التي تمثّل كلّ قبّعة منها لونًا من ألوان التّفكير. اليكم ملخّصًا لهذه الطّريقة[2] :

١ - القبّعة البيضاء : (التّفكير المحايد)

وهي تفكير المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاء دون إعطاء ذلك كلّه صبغة معيّنة أو محاولة استغلالها للانتصار لفكرة أو دفع أخرى، ويجب أن تكون هذه المعلومات متّصلة تمامًا بالموضوع. يرمز اللّون الأبيض إلى النّقاء والسّلام، ولذلك فإنّ هذه القبّعة هي قبّعة التّفكير المحايد، أو قبّعة الحقائق المجرّدة.

٢ - القبّعة الحمراء : (التّفكير العاطفي)

يرمز اللّون الأحمر إلى الحرارة والخطر، ولذلك فإنّ هذه القبّعة هي قبّعة التّفكير العاطفي، أو قبّعة المشاعر والعواطف. وتعني التّعبير عن الانفعالات والمشاعر التي تصبّ في قالب مشروع العمل المتآول بالدّراسة ولا تتضمّن مشاعر فرديّة شخصيّة.

٣ - القبّعة السّوداء : (التّفكير السّلبي)

يرمز اللّون الأسود إلى اللّيل والحزن والكآبة، فإنّ هذه القبّعة هي قبّعة التّفكير السّلبي أو التّشاؤمي والمنطق الرّافض، فتدلّ على الحكمة والحذر في التّفكير وتطرح الحقائق العكسيّة للموضوع، وجلب جميع الأفكار السلبيّة وطرحها على طاولة المناقشة ورؤية مدى تأثيرها على العمل؛ والتّفكير بهذه القبّعة يمنعنا من ارتكاب الأخطاء، وتعدّ أكثر القبعات أمانًا.

---

[1] - غانم، محمود محمّد، **التّفكير عند الأطفال**، ٢٠٠٤م.، ط١، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الأردن، ص٩٥.

[2] - دي بونو، ادوارد، **تعليم التّفكير** (Thinking Hats Six)، ترجمة؛ عادل عبد الكريم ياسين وإياد احمد ملحم، ١٩٨٩م.، الكويت مؤسسّة الكويت للتقدّم العلمي، ص ١٤٣-١٤٧.

٤ - القبّعة الصّفراء : (التّفكير الإيجابي)

يرمز اللّون الأصفر إلى الشّمس والنّور، ولذلك فإنّ هذه القبّعة هي قبّعة التّفاؤل والتّفكير الإيجابي، وهي رمز التّفكير المشرق بالنّظر إلى الايجابيّات؛ وإطلاق العنان للفكرة لتسبح في خيال الآمال والرّجوع بمردود جيّد، والتّفكير بهذه القبّعة يتّسم بالنّظرة الطموحة المستقبليّة.

٥ - القبّعة الخضراء : (التّفكير الإبداعي)

يرمز اللّون الأخضر إلى النّبات والحياة الجديدة، ولذلك فإنّ هذه القبّعة هي قبّعة الإبداع، وتعني بدورها الانبساط والخضرة؛ وتدلّ على نمط التّفكير الإبداعي الاستكشافي وطرح آراء وأفكار جديدة لم تطرح من قبل. يكمن في هذا النّوع النّشاط والحيويّة والمقترحات المبتكرة.

٦ - القبّعة الزّرقاء : (التّفكير الموجّه)

يرمز اللّون الأزرق إلى السّماء والبحر، ولذلك فهي قبّعة القوّة والتّفكير المنطقي المنظّم أو الموجّه. وهي تعدّ بمثابة الخاتمة لجميع القبّعات ويتمّ مزج جميع القرارات في هذه القبّعة.

الملخّص :

البحث، عبارة عن معلومات منظّمة، تتّصل بنطاق علمي محدّد وتمتلك هويّة مشتركة، على نحو يتمخّض عن إبداع في نهاية المطاف.

يتقوّم البحث بستّة مرتكزات :

١ – **المعلومات** : ومواصفات المعلومات المناسبة هي :

أ. معلومات لا معطيات

ب. ذات صلة بالموضوع

ج. كافية ومتكاملة

د. صادقة

هـ. دقيقة

و. واضحة ومحددّة

ز. حديثة

ح. موثّقة

ط. عدم توفّر المعلومات، هو معلومة في حدّ ذاته.

٢ – **المعالجة**، ولها أربعة مستويات متباينة :

أ. التّعريف

ب. الوصف

ج.التّبرير

د. التّفسير

٣ – **التّنظيم**

٤ – **الاختصاص بنطاق محدّد**

٥ – **الهويّة العامّة**

٦ – **الإبداع**

تمرين :

١ – اشرح مفهوم البحث ومرتكزاته.

٢ – اشرح المعالجة ومستوياتها الأربعة.

٣ – ماهي الملاحظات التي يجب على الباحث مراعاتها ؟ اشرح كلّ منهما.

الفصل الثّاني

مجالات البحث الدّيني

تمهيد

يهتمّ العلماء المسلمون بتكوين تصوّر إجمالي حول العلم قبل الخوض فيه، ولهذا نجدهم قد تحدّثوا عن موضوع الرؤوس الثّمانية، وكانت هذه الموضوعات الثّمانية في واقع الأمر جانبًا من علم مناهج البحث في الثّقافة الإسلاميّة.

لكلّ علم مستويان :

١ - مستوى التّعريف والمفهوم.

٢ - مستوى الواقع والمنجّز والمتحقّق. ونريد بالأوّل هويّة العلم بالنّحو الذي ينبغي أن تكون عليه. غير أنّ العلم في مستوى تحققّه وواقعه يتمثّل بالتّراث العلمي والمصنّفات والآراء والأنشطة التعليميّة والبحثيّة، ممّا هو شائع في محافل العلم.

يتعيّن على الباحث في الدراسات الدينيّة، أن يدرك الفجوة أو المسافة الفاصلة بين راهن العلوم ذات الصّلة بمجال اهتمامه، وما ينبغي أن تكون عليه هذه العلوم، وذلك من خلال الإحاطة بالجانب القيمي للأبحاث في هذا المجال المعرفي، والتّعرف بنحو دقيق على الرّاهن القائم للدّراسات الدينيّة في عصره. لن يكون في وسع الباحث أن يساهم في تطوير مسار الأبحاث ما لم يكن قد استوعب تلك الثّغرات أساسًا.

إنّ أهميّة الوعي بالحقل العلمي تدفع الباحث في القضايا الدينيّة إلى تقديم إجابات حيال ما يلي من الأسئلة :

١- ما هي هويّة الأبحاث الدينيّة وما هو تعريف هذا اللّون من الدّراسات ؟

٢- ما هو المقياس في كون العلم دينيًا ؟

٣- ما هي الفروع المعرفيّة الرّئيسة التي تشتمل عليها الدراسات الدينيّة ؟ ما هي النّطاقات العلميّة التي يستوعبها البحث الديني ؟

٤- ما هو الهدف من الأبحاث الدينيّة ؟ على أيّ نحو ينبغي أن تكون العلوم ذات الصّلة بهذه الأبحاث ومجالاتها ؟ وما هي الحالة المثلى المتكاملة للبحث الديني ؟ وما هي أهدافه وقيمه ؟

٥- ما هو راهن الأبحاث الدينيّة اليوم؟ وهل تتمتّع مجالات البحث الديني بالحيويّة ويزدهر فيها العطاء ؟

٦- ما هي المسافة بين راهن هذه الدّراسات وما ينبغي أن تكون عليه ؟

٧- كيف لنا أن نفسّر تكوّن الوضع الراهن أو ظهور تلك المسافة بين الحالتين المنوّه إليهما، ومن خلال أيّ عوامل ومؤثّرات ؟

٨- ما هو الدّور الذي لعبه الباحثون في المجال الديني في تأسيس الحالة الراهنة، وما هي طبيعة المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم في تقليص الهوّة بين ما هو قائم وما ينبغي أن يكون في مجال الأبحاث ؟

٩- ما هو دور المناهج المتداولة في الدراسات الدينيّة في تقليصها ؟ هل يلعب منهج البحث دورًا إستراتيجيًا في تطوّر الأبحاث الدينيّة وتقدّمها ؟

إنّ جدل العلم والدين من أهمّ الموضوعات في قضايا الكلام الجديد وأكثرها تأثيرًا. فمن خلال الرّد على هذه الأسئلة، ندرس في هذا الفصل ماهيّة الأبحاث الدينيّة وفروعها المعرفيّة والمرجوّ منها.

ماهيّة الأبحاث الدينيّة

أهداف التعلّم :

– التعرّف على أنّ الدّين يؤدّي إلى ظهور علوم الكلام والفقه والأخلاق بوصفها علومًا وسائطيّة بين الوحي والعقل واللّغة لدى المتلقّي.

– دراسة ظهور العلوم المنسوبة إلى الدّين في ضوء القراءة الحديثة له؛ كعلم نفس الدّين وعلم اجتماع الدّين وتاريخ الأديان وفلسفة الدّين، لقد تمّ التعرّف إلى كلّ هذه العلوم، ما عدا الأخير، ضمن الدّراسات الدينيّة التجريبيّة التي ترى الدّين حقيقة نفسيّة أو اجتماعيّة أو تاريخيّة.

– تتولّى فلسفة الدّين دراسة الفكر الدّيني مستعينةً بالتّحليل المنطقي.

١ – ماهيّة الأبحاث الدينيّة :

نطلق وصف الأبحاث الدينيّة بنحو عام على تلك الدّراسات التي تعني بالأديان، والتّعاليم الدينيّة، والأبحاث التي تتناول السّلوك والطّقوس والظواهر الدينيّة. إنّ فلسفة الدين وعلم نفس الدين، وعلم اجتماع الدين، وتاريخ الأديان، تمثّل حصيلة الحداثة.

أمّا ما يوصف بعلم كلام جديد أو لاهوت معاصر، فهو علم الكلام أو اللّاهوت ذاته، رغم أنّهما يتباينان في الهيكليّة والنّظام المعرفي. وإنّ علومًا مثل التفسير والحديث ونحوهما هي في حقيقة الأمر أدوات للعلوم المذكورة أعلاه.

فروع البحث الدّيني هي :	
١	علم الكلام، سريان الدّين في الزّمان
٢	الفقه، فقه الدّين
٣	الأخلاق

٤	علم نفس الدّين
٥	علم اجتماع الدّين
٦	فلسفة الدّين
٧	تاريخ الأديان

الشكل ٢-١ : فروع البحث الدّيني

تنقسم الدّراسات الدينيّة إلى علوم تقليديّة وحداثويّة. فانّ تباين فروع البحث الدّيني يقوم على التّفاوت بين رؤيتين للدّين وتعاليمه. ولا يعني التّقليدي أو التّراثي أمرًا بائدًا استنفد جدواه، كما لا يدلّ تعبير الحداثوي على قيمة تمنح الشيءأهميّته وجدواه.

٢ – القراءات الدينيّة :

٢ – ١. القراءة التقليديّة للدّين :

ليست هويّة الدّين طبقًا للقراءة التقليديّة، سوى رسالة الله إلى الإنسان وردّ فعل الإنسان حيالها واستجابته لها أولًا. وهو في حقيقته ثانيًا رسالة السّماء التي يجري إبلاغها إلى النّاس عبر أنبياء الله المصطفين. أى إنّه كلام الله واتّصاله من خلال الكلام بالإنسان.[1] وفي ضوء هذا التصوّر لهويّة الوحي، فإنّ الإيمان بوصفه موقفًا إيجابيًا من قبل متلقّى الوحي، ويفسّر بأنّه تصديق يقينيّ، بالمفهوم الشّائع في علم المنطق[2]؛ النظريّة التي تقرّر أنّ الإيمان هو التّصديق بقضيّة محدّدة.

---

[1] – ايزوتسو، توشي هيكو، **خدا و انسان در قرآن، (الله والانسان في القرآن)** ترجمة؛ أحمد آرام، طهران، نشر مكتب فرهنگ اسلامي، ١٣٨٦ش.، ص ١٩٢-٢٨٤.

[2] – يطلق كلّ من الحمل الاوّلي والشّايع بمعنيين : أ ـ الحمل الاوّلي : الحكم على مفهوم الموضوع فحسب دون تعدّي الحكم وسريانه الى افراد أو مصاديق الموضوع. ببيان آخر : إنّ معنى الحمل الاوّلي هو الحكم على الموضوعات المجرّدة التي لا يراد تعدّية الحكم من خلال الموضوع بحيث يغدو الموضوع قنطرة يعبر عليها الحكم ليصل إلى افراده أو مصاديقه الخارجيّة، وإنّما هدفنا من الحكم هو الموضوع بما له من صورة ومفهوم ومعنى وبما يحمله

ومن السّمات الهامّة للتصوّر التقليدي، أنّ الوحي وتعاليم الدّين بوصفهما رسالة وخبرًا، يعترفان للمتلقّي بحقّه في طرح تساؤلين :

١ – ماذا تقول ؟

٢ – لماذا تقول ذلك ؟

إنّ التساؤلين المهمّين حيال الوحي، يطرحان في ثلاثة مجالات مهمّة :

عنوان الموضوع من معنى كائن في ذهننا. المثال : (الكلّي هو كلّ ما لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين) فتحليل القضيّة هذه كما يلي :

الموضوع : (الكلّي)

الحكم : (عدم امتناع انطباقه على كثيرين)

فهل هذا الحكم على الكلّي يراد منه العبور من الكلّي في الموضوع في القضيّة اعلاه إلى مصاديقه أم على الكلّي بما له من معنى في عقولنا ؟ لا شكّ في صحّة الفرضيّة الثانية. حبس الحكم وحصره على الكلّي بما له من معنى ومفهوم في الذهن. والسّبب في ذلك أنّ الحكم بعدم امتناع الصدق على كثيرين هو من خصائص الكلّي المحبوس في قفص الذهن، فلا يمكن أن نحضر موجودًا ونجعله ماثلاً امامنا ونقول : هذا الموجود امامنا لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين وهلّم جرّا.

ب ـ الحمل الشّايع : وهو الحكم على الموضوع المتخذ وسيلة وآلة للوصول إلى مصاديقه، فلا يقصد لذاته وإنّما يؤخذ كممثّل لمصاديقه التي تشترك جميعها فيه وتدخل تحت سقفه بحيث يغدو الموضوع المجعول في القضيّة مجرّد عنوان للمصاديق التي عقدت القضيّة لأجل الحكم عليها لا أكثر، فالموضوع بحدّ ذاته وكمفهوم لا يراد الحكم عليه. ببيان آخر : بما إنّنا في القضايا التي نريد اثبات حكم لافراد تبلغ من الكثرة، بحيث لا يمكن حصرها وجعلها في قضيّة واحدة ولهذا نضطرّ إلى أخذ صورة مشتركة عنها تغنينا عن احضار كلّ هؤلاء الافراد. مثال ذلك : نريد أن نحكم على كلّ الفضائيّات الاسلاميّة بأنّها تخدم الدّين الحقّ. فمن الصّعب جدًا أن نذكر أسماءها كلّها. فالبديل أن نأخذ العنوان المشترك بين هذه الافراد المتكاثرة وهو عنوان "الفضائيّات" وبذلك نختصر الطّريق ونحقّق هدفنا من الحكم. وهذه العمليّة هي التي يستخدمها المشرّعون والذين يسنّون القوانين، اذ لا يمكنهم أن يحضروا افراد كلّ موضوع والاّ لأستغرق سنّ قانون واحد الى سنوات.

١ – واجبات الجوارح.

٢ – طباع الجوانح وخلقها.

٣ – الأفكار النظريّة التي تشير إلى الواقع.

إنّ القضايا والمقولات الدينيّة تتوزّع في النّصوص الدينيّة على ثلاثة أقسام :

١ – إنّ بعضها تلاحظ الواقع، كالعقائد.

٢ – ويتولّى بعضها الآخر توصية الإنسان بواجباته، كالأحكام.

٣ – ويتضمّن نوع ثالث منها، بيانًا لقيم الأخلاق والمناسک.

يقوم هذا على أساس ثلاثة أمور يتوقّع المرء من الدّين أن يتولّى الوفاء بها، ويتحدّث إليه حولها.[١] فإنّ من يتلقّى الوحي سيطرح سبعة أسئلة رئيسة حيال ذلک، في ضوء التصوّر التقليديّ :

١ – ماذا يقول الوحي فيما يتّصل بواجبات الإنسان البدنيّة حيال الله والبشر؟

٢– ماذا يقول الوحي حول الفضائل والرّذائل وما ينبغي وما لا ينبغي أخلاقيًا ؟

٣ – ما هو التصوّر الذي تطرحه رسالة السّماء حول الكون والإنسان والطّبيعة والقدر... ؟

٤ – لماذا يتحدّث الوحي بهذه الطريقة فيما يتعلّق بواجبات الجوارح (الجسد) ؟

٥ – لماذا تحدّث بتلک الطّريقة حول واجبات الجوانح ؟ لماذا يعدّ الحسد من الرّذائل، ولا تعدّ الغبطة منها ؟

٦ – على أيّ أساس يطرح الدّين تصوّره حول الكون ؟

٧ – كيف يتمّ تقييم التّفسير الذي قدّمة الوحي للكون والإنسان، وما هي المفاضلة بينه وبين التّفاسير الأخرى ؟

---

[١] – لغنهاوزن، محمّد، اقتراح، **مجلّة نقد ونظر**، العدد الثاني، ربيع ١٣٧٤ش، ص٣٤.

إنّ تقديم إجابات مناسبة ووافية حيال الأسئلة المذكورة، لا يتيسّر دون الاستعانة بعدّة معرفيّة وأدوات تتناسب والغرض، وذلك لسعة دائرة التلقّي زمانيًا أو تاريخيًا، وجغرافيًا إلى جانب ما يتمتّع به الخطاب الإلهي من عمق.

إنّ شعار "حسبنا كتاب الله" و"الإكتفاء بالظّواهر" يعنى رفضًا للعدّة المعرفيّة التي تتيح فهم النّصوص على نحو عميق ودقيق، ولن يؤدّي شعار كهذا سوى إلى الابتعاد عن خطاب الوحي وتجاهله.

من الموكّد إنّنا بحاجة إلى وسائط وأدوات تدلّل على حقيقة الآيات والرّوايات وحقانيّتها وادراك مقاصدها. تنتمي هذه الأدوات إلى مقولة العلم والمعرفة؛ وبتعبير أدقّ إنّها لون من الدراسة المنهجيّة والبحث المنظّم.

إنّ العلوم المنهجيّة والدّراسات المنظّمة ذات الصّلة بتعاليم الدّين، والتّي تتحدّث حول الدّين، أخذت تتطوّر تدريجيًا، واستعانت بعدّة معرفيّة أخرى، كما تطوّر في ظلّ هذه الثّقافة العديد من علوم الوسائل الأخرى، أو تلك التّي تكوّنت وتأسّست في إطار الثّقافة الاسلاميّة.

إنّ الاجتهاد المنهجي في تقديم الإجابة حيال السّوال الأوّل (ماذا يقول الوحي فيما يتصّل بواجبات الإنسان البدنيّة حيال الله والبشر) أدّى إلى ظهور علم الفقه الذي يوضّح لمتلقّي الوحي ما حدّده من الواجبات للجوارح.

إنّ السّؤال "ما هي واجبات الجوانح ومناهج الأخلاق في تصوّر الوحي" ؟ وأسئلة من قبيل : "ما هو المعيار النّهائى للقيم في تصوّر الوحي والسنّة" ؟ "ما هو الشّكل الذي في وسعنا بلورته لترتيب الفضائل والرذائل في ضوء الوحي" ؟ إضافة إلى ما يتّصل بتحديد الواجبات الأخلاقيّة وموضوعات مشابهة أخرى، حظيت بمعالجات كثيرة؛ وأدّت الى ظهور علم الاخلاق.

أمّا الواسطة الأخرى فهي علم الكلام. عندما ترغب في التّسأول عن علّة الأمور والعثور على مبرّر مقنع لها؛ فإنّ علم الكلام يفتح لنا الطّريق. وهكذا نواجه أسئلة تتعلّق بمبرّر ما يقوله الوحي حول واجبات الجوارح والجوانح،

وتصوّره حول الكون والإنسان، وما يستند إليه من مبرّرات في ذلك، وهي أسئلة تنتمي إلى علم الكلام.

وهكذا في ضوء طابع الإخبار من الوحي والمستويات الثّلاثة لما ينتظره الإنسان من تعاليم الوحي، نكون بحاجة إلى ثلاثة علوم. أمّا سواها من العلوم التي تكاملت في نطاق الفكر الدّيني، فهي وسائل وأدوات للعلوم الثّلاثة المذكورة، نظير علمَيْ الحديث والتّفسير. إنّ هذه العلوم إسلاميّة حقًّا، لأنّ المقياس في إسلاميّة العلوم، كونها آلة وواسطة فحسب.

إنّ كلًا من العلوم الثّلاثة هذه يمكن أن يتطوّر ويتجدّد في ضوء تعريفها، لأنّ تحوّلها يخضع لتجدّد متلقّي الوحي وتغيّرهم، وهذه التبعيّة تنشأ عن كون العلوم المذكورة واسطة بين الوحي ومتلقّيه.

٢ – ٢. القراءة الجديدة :

أدّى عصر الحداثة إلى ظهور رؤية جديدة حيال الدّين. فمعالجة تلبية الحاجات المعاصرة تحتاج إلى الاستعانة بأدوات ومناهج ومبادئ جديدة؛ الأمر الذي دفع المتكلّمين إلى الإقبال على الموضوعات الكلاميّة الجديدة وأدّى إلى الشّعور بالحاجة لتأسيس منظومة كلاميّة جديدة.

ثمّة عاملان رئيسان لعبا دورًا في تكوين تلك الرّؤية؛ هما ولادة العلوم التجريبيّة وتطوّرها المذهل، إلى جانب شيوع الأفكار المدرسيّة نظير السّايكولوجيا[١] والاجتماع في القرن التّاسع عشر.

ورغم أنّ القراءة الجديدة لا تتقاطع مع القراءة التقليديّة، وأنّ التّوفيق لا يمتنع بين هذين التصوّرين على المستوى المنطقي، بيد أنّ القراءة الثّانية لطالمًا أصحبت بديلًا عن القراءة الأولى، رغم أنّه لا يعدّ الدين في ظلّ هذه القراءة رسالة من قبل مصدر آخر.

١- sociology

ومن الأسئلة الأساسيّة التي تثيرها الرّؤية الحديثة هذه، ما يتّصل بماهيّة الدين وهويّة الظّواهر الدينيّة وأبعادها، وأهداف الطّقوس الدينيّة وجوانبها وآثارها، إضافة إلى منطلقات االايمان ومنشئه ومكانته، وتعدّد الأديان وما يطرأ من تغيّر على الحالة الايمانيّة.

إنّ وصف الظّواهر الدينيّة وتفسيرها من أهمّ أهداف البحث في الرّؤية الجديدة للدّراسات الدينيّة، بينما نجد في الرّؤية التقليديّة أنّ البحث الدّيني يستهدف فهم تعاليم الدّين وتفسيرها وتبريرها والبرهنة على صدقها.

لا يطرح الباحثون في هذا الاتّجاه أسئلة حول صدق التّعاليم الدينيّة، بل يقتصرون على اكتشاف الظّواهر الدينيّة. بدلًا عن التّسأول حول صدق القضيّة التي تقرّر "إنّ الله رحيم" أو كذبها مثلًا بوصفها خبرًا سماويًا، نجد إنّ الاتجاه هذا يتساءل حول منشأ الايمان برحمانيّة الله وآثار ذلك وما يتحرّك عنه من منطلق.[١]

فالموقع الذي احتلّه مصطلح (الله) بوصفه مفردة أساسيّة لصالح مفردة أخرى هي مصطلح "الدّين" الذي أصبح هو المصطلح الرئيسي،[٢] وبكلمة أخرى فإنّ الإلهيّات "علم معرفة الله" تحوّلت إلى علم معرفة الدّين [أو علم الأديان].

كان التّسأول التّقليدي يستفهم طبعًا فيما يتّصل بالله :

هل ثمّة وجود لله ؟

أو هل يمثّل الله أمرًا حقيقيًا ؟ غير أنّه ليس في وسعنا طرح سوال كهذا حيال الدّين، إذ من الواضح أنّ الدّين موجود. تتمثّل أهمّ الأسئلة بتلك التي تتّصل بغايات الدّين وأهدافه في حياة الإنسان.[١]

---

[١] – يونغ، غوستاف، **روان شناسي و دين**، **(الدّين وعلم النّفس)**، ترجمة؛ فؤاد روحاني، طهران، شركت سهامي كتابهاي جيبي، ١٣٧٠ش، ص ٤.

[٢]– هيك، جون، **فلسفة دين**، **(فلسفة الدّين)**، ترجمة؛ بهرام راد (سالكي)، طهران، انتشارات بين المللي الهدى، ١٣٧٢ش، ص ١٨٥.

قراءة اضافيّة : الهويّة

١. الهويّة :

١-١. تعريف ومفهوم الهويّة :

الهويّة هي الخصوصيّة والذاتيّة، وهي ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه، تميّز شخصًا عن غيره أو مجموعة عن غيرها، وهي لاتعتبر ثابتة وإنّما تتحوّل تبعًا لتحوّل الواقع. الهوية جزء لا يتجزأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتى ولم يكن اصله من نفس المنشأ.

١-٢. الهوية في اللّغة :

الهويّة في اللّغة مشتقّة من الضّمير هو. أمّا مصطلح الهو هو المركّب من تكرار هو، فقد تمّ وضعه كإسم معرّف ب أل ومعناه (الإتّحاد بالذّات).

ويشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشّئ هو هو، أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته وتميّيزه عن غيره، فهو وعاء الضّمير الجمعي لأيّ تكتّل بشري، ومحتوى لهذا الضّمير في نفس الآن، بما يشمله من قيم وعادات ومقوّمات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

١-٣. مبادىء الهويّة :

أن تكون الهويّة منسجمة مع معطيات الفكر الاعتقادي من الاحكام والاخلاق والقانون والسّياسة، بوصفها معايير جوهريّة لتحقيق المساواة. وأن تعبّر الهويّة عن الواقع، أي أن تكون انعكاسًا لتصوّر فئة ما دون غيرها.

١-٤. مكونات الهويّة :

مكوّنات الهويّة هي : معتقد مشترك، ذاكرة تاريخيّة مشتركة، ثقافة موحّدة، حقوق وواجبات مشتركة، قيم مشتركة، قوانين مشتركة، روح دستوريّة مشتركة، تراث علمي مشترك، لغة مشتركة؛ وبكلمة واحدة السّمات والخصائص المشتركة التّي تميّز أمّة أو مجتمع معيّن عن غيره، يعتزّ بها وتشكّل جوهر وجوده وشخصيّته المتميّزة.

١-٥. المفهوم الفلسفي للهويّة :

الذّات هي ما يسميّه الفلاسفة بالهويّة، فذات الانسان هي هويّته، وهي كلّ ما يشكّل شخصيّته من مشاعر واحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك، بل وكلّ ما يميّزه عن غيره من

---

[١] - م . ن، ص ١٨٦.

النّاس. وقد عرّف الهويّة الشخصيّة، أو الذات، بأنّها الوعي الذاتي، ذو الاهميّة بالنّسبة للاستمراريّة الايديولوجيّة الشخصيّة، وفلسفة الحياة التي يمكن أن توجّه الفرد، وتساعده في الاختيار، بين امكانيّات متعدّدة، وكذلك توجّه سلوكه الشّخصي.

١-٦. تعريف الهويّة الدّينيّة :

يمكن القول أنّ مفهوم الهويّة قريب من مفهوم الانسانيّة، وبذلك يكون أوسع من مفهوم الدّين، لأنّه يشمل الجنس والعرق والدّين واللّغة والوطن، وأحيانًا يستعاض عن مفهوم الهويّة الدّينيّة بالأمّة الدّينيّة، وقد يعتبر البعض ذلك تقليصًا لمفهوم الهويّة بمعناه العام إذ يصبح الفرد الذي لا ينتمي لهذا الدّين من الدّرجة الثّانية، لأنّ هويّته بهذا المنظور هويّة منقوصة أو حتى منعدمة، ويصبح بالتّالي خارج هذه المنظومة.

نرى في الهويّة الإنسانيّة أنّ – الفرد– كإنسان، سيظلّ إنسانًا أيًا كان دينه أو إيمانه، لكن في الهويّة الدّينيّة نرى أنّ الانسان يكتمل وجوده فى الدّين فقط وليس فى كونه إنسان.

نرى إنّ الاسلام كمنظومة عقيديّة وفكريّة وسلوكيّة أجتماعيّة تأبى أيّ نوع من التّمييز، بل وتعتبره مخالفة وخروجًا عن الأطار الاسلامي العام.

فقد جاء في عهد الإمام علي بن ابي طالب (عليه السّلام) لواليه على مصر؛ مالك الأشتر؛ وصيّته له : (... وَأشْعر قَلْبَكَ الرَّحْمَة لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُم، وَاللُّطْفَ بِهِم، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِم سَبُعاً ضَارِيًا تَغْتَنِم أُكُلهم، فَإِنَّهُم صِنْفَان : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدّين، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ..) (**نهج البلاغة**، عهد مالك الأشتر، تحقيق؛ صبحي الصّالح، ص ٤٢٧)،

وهذا ما دفع بعض المفكّرين غير المسلمين بوصفه رجل العدالة الانسانيّة. (انظر كتاب جورج جرداق : **علي صوت العدالة الإنسانيّة**).

---

٣ – المجالات الهامّة في البحث الدّيني :

فالدّين حقيقة معيّنة ظهر في حياة الإنسان كحقيقة وظاهرة اقترنت بظهور الإنسان وواكبته. وبأنّها قضيّة شخصيّة مهمّة[١]، وأيضًا ظاهرة اجتماعيّة وحقيقة تاريخيّة، أخذت مسارها في حضارة الإنسان واكتسبت هويّة تاريخيّة. فإنّ الفكر

[١] – يونغ، **روان شناسي و دين، (الدّين وعلم النّفس)**، ص ١.

الدّيني أدّى تدريجيًا إلى ظهور علوم دينيّة نظير الكلام والإلهيّات، وظهور فروع جديدة في البحث الدّيني ضمن الدّراسات الدينيّة.

والدّين بوصفه حقيقة فرديّة في الإطار الانساني، يمثّل موضوعًا للدّراسة عند علماء النّفس. فهم يتناولون السّلوك الدّيني على أساس قوانين السّلوك العامّة.[١] وقد حظي هذا العقل من الأبحاث الدينيّة باهتمام الباحثين المسلمين كذلك.[٢]

إنّ الموضوع الرّئيسى في علم اجتماع الدّين هو علاقة الدّين بالجتمع، ويقوم الباحثون في هذا المجال بمقاربة الآثار الاجتماعيّة للدّين في تعزيز التّكافل الاجتماعي واستقرار الحياة الاجتماعيّة.

وهذا النّطاق من الأبحاث الدينيّة يتحرّك في إطار موضوعين مهمَّيْن :

١ – الدّور الهامّ الذي تلعبه المعتقدات والسّلوك والطّقوس الدينيّة في كلّ من الثّقافة والمجتمع.

٢ – التحوّل والتطّور الذي يطال أشكال المعتقد والسّلوك الدّيني في المجتمعات الإنسانيّة.[٣]

غالبًا ما يغيب التّمييز بين علم نفس الدّين[٤] وعلم النّفس الدّيني،[١] وعلم الاجتماع الدّيني.[٢] إنّ الالتفات إلى التّباين المعرفي بين هذه الحقول يساهم بنحو أساسي في فهم شتّى مجالات البحث الدّيني.

---

١ - Wulf.D,**Psychology of Religion:** Chassic and Contemporary, New York, ١٩٩١, p.١٨-٢٠.

٢ – واطسون، بل، وقرباني، نيما، **روان شناسي دين در جامعه مسلمين، (علم نفس الدّين في المجتمعات الإسلاميّة)**، ترجمة؛ بونه بناكار، قبسات، اعداد ٨-٩، ١٣٧٧ش، ص ٥٣- ٧٢.

٣ – راجع للمزيد : هلتون، ملكم، **جامعه شناسي دين (علم اجتماع الدّين)**، ثلاثة مترجمين، طهران، تبيان، ١٣٧٥ش.

٤ - Psychology of Religion.

كانت الدّراسة التاريخيّة للأديان تعدّ يومًا ما بحثًا حول تاريخ المعتقدات والسّلوك الدّيني، وعلى هذا الأساس كانت برامج البحث في الاتّجاه التّاريخي تنطلق من الماضي لتتحرّك نحو المستقبل. أمّا اليوم وفي ظل الاتّجاه الحديث العلمي والدّراسات التاريخيّة، فقد اكتسب تاريخ الأديان مفهومًا جديدًا.

ومن أهمّ موضوعات الدّراسات التاريخيّة للدّين، وحدة تجارب الإنسان الدينيّة، والتطوّر التاريخي للإيمان، وما يعلبه الدّين والتطوّر الثّقافي والمتغيّرات الإنسانيّة وأشكال الإيمان المختلفة، من دور في هذا الإطار. وكما يجعل الإنسان ظواهر الطّبيعة موضوعًا للمعرفة، فإنّه يجعل من المعرفة الإنسانيّة ذاتها موضوعًا للدّراسة.

يطلق اسم فلسفة الدّين على أبحاث مماثلة تدور حول الفكر الدّيني وتكون المعرفة الدينيّة موضوعها، بوصفها واحدًا من العلوم البشريّة.

إنّ فلسفة الدّين هي من حقول الابحاث الدينيّة.[3] تتولّى فلسفة الدّين دراسة الدّين بوصفه حقيقة إنسانيّة، غير أنّ موضوع فلسفة الدّين لا يتمثّل بالايمان في مفهومه النّفسي أو الاجتماعي أو التّاريخي، بل موضوعها علم بشري هو علم الدّين (نظير علم الكلام أو الإلهيّات). وهكذا فإنّ التّمييز بين فلسفة الدّين وعلم الكلام والإلهيّات أمر أساسي. فإنّ فلسفه الدّين مستقلّة عن موضوع البحث فيها؛ أي إنّها علم لا وسائطيّ على العكس من علم الكلام.[4]

---

١ - Religion Psychology.

٢ - Religion Sociology

٣ - Mitchell, Basil (ed), **The Philosophy of Religion**, Oxford University Press, ١٩٨٦, p١.

٤ - هيك، جون **فلسفة دين، (فلسفة الدّين)**، ترجمة؛ بهرام راد (سالكي)، طهران، انتشارات بين المللي الهدى، ١٣٧٢ش، ص ٢٢.

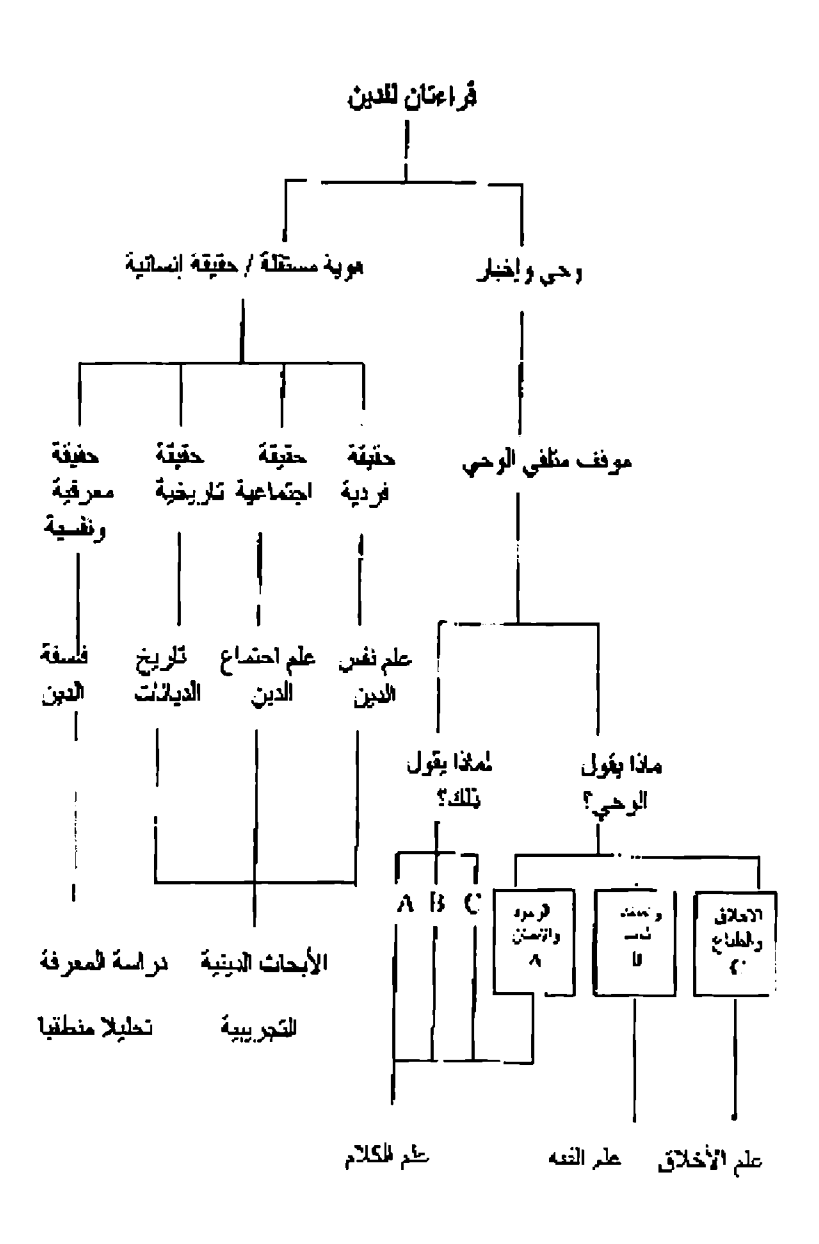
ثمّة آصرة تجمع بين المجالات السّبعة للبحث الدّيني. فالعلوم التّي تتأسّس على القراءة الحديثة للدّين، إنّما تتحدّث حول الدّين (بمعنى الايمان أو الفكر الدّيني).

هنالک تداخل بين موضوعات الحقول السّبعة في الأبحاث الدينيّة إذ نجد إنّ قضيّة واحدة في التّجربة الدينيّة مثلًا، تكون موضوعًا للبحث الكلامي والفلسفي والنّفسي والتّاريخي.[1]

لقد بلور اتّجاه العلوم البينيّة للتخصصّاتالفرعيّة اليوم آصرة مفيدة موثرة بين المجالات المتنوّعة للابحاث الدينيّة، وسنقوم في الفصول القادمة بتناول نهج هذه العلوم وبحث طبيعته وأهميّته في الدّراسات الدينيّة.

---

[1] - م. ن، ، ص ١٨٥- ١٨٦.



يتكفّل الشّكل الفوق باستعراض ترتيب المجالات السّبعة

الملخّص :

إنّ الدراسات الدينيّة أبحاث تتّصل بالدين وتعاليمه وظواهره، وفي ضوء القراءة التقليديّة يؤدّي اعتبار الدين رسالة وخبرًا، إلى ظهور علوم الكلام والفقه والأخلاق بوصفها علومًا وسائطيّة بين الوحي والعقل واللّغة لدى المتلقّي. وهذه علوم اسلاميّة لا تخلو من التّسامح والمجاز.

وفي ضوء القراءة الجديدة للدين، ظهر علم نفس الدين وعلم اجتماع الدين وتاريخ الأديان وفلسفة الدين. وتصنف الحقول الثلاثة الأولى ضمن الدراسات الدينيّة التجريبيّة، التي تتولّى معالجة الدين باعتباره حقيقة نفسيّة أو اجتماعيّة أو تاريخيّة.

أمّا فلسفة الدين فهي تتولّى دراسة الفكر الديني وتستعين في ذلك بالتّحليل المنطقي.

المقياس في وصف علوم الكلام والفقه والأخلاق بالدينيّة، هو طابعها الوسائطي وكونها تتحدّث عن الدين.

أمّا فيما يتّصل بسواها من العلوم، فالمقياس هو كونها تتناول الدين وتمارس البحث في هذا الإطار.

ثمّة تداخل بين المجالات المذكورة في القضايا والأبحاث الدينيّة وعلى مستوى التأثير العلمي المتبادل، رغم ما بينها من تباين معرفي.

تمرين

١ – اشرح الرؤوس الثّمانية مع أمثالة تطبيقة.

٢ – ماذا ينبغي على الباحث في الدراسات الدينيّة لتطوير مسار الأبحاث ؟

٣ – ما هي الأسئلة التي تدفع الباحث في القضايا الدينيّة بالحقل العلمي إلى تقديم إجابات حيالها ؟

٤ – ما هو الدّور الذي لعبه الباحثون في المجال الديني في تأسيس الحالة الراهنة، وما هي طبيعة المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم في تقليص الهوّة بين ما هو قائم وما ينبغي أن يكون في مجال الأبحاث ؟

٥ – هل هناک جدل بين العلم والدين ؟

٦ – هل الدين يؤدي إلى ظهور علوم الكلام والفقه والأخلاق كعلوم وسائطيّة بين الوحي والعقل واللّغة لدى المتلقّي ؟ اشرح ذلک.

٧ – ما هي فروع البحث الديني ؟ عرّف كلّ منها مع ذكر أمثلة.

٨ – ما هي الأسئلة لمن يتلقّى الوحي في ضوء التصوّر التقليديّ للدين ؟

٩ – ماهي الأسئلة الأساسيّة التي تثيرها الرّؤية الحديثة للدّين وماهيّته ؟

١٠ – اختر موضوعًا للدّراسة مع تقديم بحث له من السّلوک والطّقوس الدينيّة والدور الهامّ والتحوّل والتطّور الذي تلعبه في كلّ من الثّقافة والمجتمعات الإنسانيّة.

الفصل الثّالث

جدوى مشاريع البحوث

تمهيد

إنّ الحرص على جدوى البحث ومدى فائدته هو السّر في نجاحه، وحين يستهدف البحث نتيجة محدّدة فإنّه سيكتسب معناه ويكون مجديًا، وهذا ما يتحقّق عبر حرص الباحث على نتيجة جهده. يظلّ نجاح المشروع البحثي مرتبطًا بعوامل وظروف متعدّدة، ومنوطًا بالتخلّص من معوقّات متنوّعة. فما هي عوامل إخفاق البحث ؟

ما هو السّر في كثرة عدد الباحثين وندرة البحوث الجديّة ؟

لماذا لا تتوفّر لدينا موشّرات مُرضية حول الأبحاث ؟

ما بال الأبحاث غالبًا ما تكون مكرّرة عديمة الفائدة أو بعيدة عن حاجات المجتمع الملموسة والأساسيّة ؟

ما هو البحث الصّحيح وما هي مقاييسه ؟

يتقوّم البحث الصّحيح اليوم بعنصرين هما : "أن يكون عمليًا" و"أن يكون مثمرًا". ما هي طبيعة هذين العنصرين وعلى أيّ عوامل وظروف يتوقّفان ؟

يسلّط زرين كوب الضّوء على سبعة نماذج لأخطاء البحوث السّائدة وهي :

١ – تجاهل مناهج البحث المحدّدة.

٢ – تقيّد الأداء بقالب محدّد.

٣ – الرّتابة.

٤ – الخواء.

٥ – عدم الجدوى.

٦ – غياب تقاليد البحث.

٧ – عدم الاعتماد على المصادر الكافية.

إنّ اللّامبالاة والتّسرع والتّساهل فيما يتّصل بالبحث، هي ثلاثة عوامل نفسيّة يجري التّأكيد عليها في معالجات زرّين كوب، وهي تودّي إلى الضّياع وفقدان العمل لقيمته.[1]

إنّ المناهج هي أكثر عوامل النّجاح أهميّة، ونسعى في هذا الفصل إلى معالجة تلك العوامل التي تقع خارج عمليّة البحث، أي الظّروف والشّروط التي تؤدّي إلى جعل البحث منتجًا ومجديًا، ونتساءل كيف لنا أن نستثمر تلك المناهج ؟

كيف لنا توجيه عمليّة البحث وفريق الباحثين نحو مسار صحيح ؟

كيف يسعنا ضمانة تكفّل جدوى مضمون البحث، وتأمين تحقيقه للهدف أو الأهداف المحدّدة ؟

في تعاملنا مع قضيّة النّجاح يمكننا أن نتساءل حول أسبابها وعواملها أي : ما هي العوامل التي يتوقّف عليها نجاح المشروع البحثي ؟

إنّ الأسباب والعوامل، وعلى العكس من الأدلّة، تتولّى تبيين النّجاح. ويلعب طرح هذا السّؤال دورًا في تيسير عمليّة توفير الشّروط الملائمة والتوصّل إلى بحث مثمر.

نتساءل أخيرًا كحصيلة لما سبق : ما هي العمليّة التّي توفّر لدى الباحث ضمانه فيما يتّصل بثمرة بحثه وجدواه ؟

---

[1] – زرين كوب، **يادداشتها و انديشه ها (ملاحظات وافكار)**، ص ١٤–١٥.

جدوى مشاريع البحوث

أهداف التعلّم :

التعرّف على :

- عوامل نجاح المشروع البحثي والتخلّص من معوقّاته المتنوّعة.
- عوامل إخفاق البحث.
- الموشّرات المرضيّة حول الأبحاث.
- البحث الصّحيح ومقاييسه.
- الأخطاء السّائدة في البحوث والعوامل النفسيّة في معالجتها.
- كيف يتمّ التعرّف على العوامل التي تقع خارج عمليّة البحث حتى تؤدّي إلى جعله منتجًا ومجديًا، وتأمين تحقيقه للأهداف المحدّدة.

١ - جدوى مشاريع البحوث :

كون البحث مجموعة خطوات على شكل مشروع، ووجود فريق العمل يلقّي ضوءًا أفضل على حاجة البحث إلى عنصر الإدارة، وذلك لما يلي :

أولًا : يتطلّب العمل الجماعي في مشروع البحث، تنسيقًا بين الجميع لتحقيق الهدف المأخوذ بنظر الاعتبار بغية تحقيق أهداف تنظيميّة.

ثانيًا : يصبح المشروع في ضوء تعريف الإدارة، أمرًا لا مناص منه، وهو يتكوّن من أنشطة منطقيّة مرتبطة ببعضها، ويجري تنفيذها تحت إشراف إدارة محدّدة لأجل تحقيق هدف أو أهداف معيّنة في إطار برنامج زمني وميزانيّة محدّدة مسبقًا.[١]

---

[١] - نادري بور، محمود، **برنامه ريزى و كنترل پروژه، (خطة المشروع والإشراف عليه)**، طهران، منشورات سازمان برنامه و بودجة، ١٣٧٢ش.، ص ٢٣.

ثالثًا : لا يمكن تحقّق جدوى عمليّة البحث وإنتاجيّتها، إلاّ من خلال عنصر الإدارة الذي يجعل الأمر عملاً مجديًا. ما هو دور كلّ من الأساتذة في كتابة الرسالة ؟

كيف جرى تقسيم مراحل هذا المشروع، وكيف يتمّ التّنسيق بين أدوراهم من خلال الأستاذ المشرف أو شخص آخر ؟

إنّ ملاحظة الدقيقة تدلّ على أنّ مشروع البحث يتطلّب لونين من الإدارة : تنفيذي وعلمي. وغالبًا ما يلتزم الطالب بمسوولیّة الادارة التنفيذيّة، بينما تكون الادارة العلميّة من حصّة الأستاذ المشرف. إنّ التّمييز بين نمطي الادارة هذين يعلب دورًا أساسيّاً في زيادة جدوى البحث. ونستعرض بشكل سريع أهمّ مسؤوليّات الإدارة التنفيذيّة والعلميّة في مشروع البحث.

٢ – **التّنفيذ** :

من أهمّ مسووليّات هذا المستوى تأمين ما من شأنه أن ييسّر عمليّة البحث ويساهم في تسريعها، إلى جانب التخلّص من معوّقاتها. وفي هذا الإطار هنالك ثلاثة اتّجاهات رئيسيّة هي :

التّنظيم والسّرعة والدقّة.

إنّ المسؤوليّات الأساسيّة في المستوى التّنفيذي من ادارة البحث هي :

٢ –١. **التّخطيط** :

أي التّحديد المسبق لتلك الأمور التي لابدّ أن تنجّز، وتعيين طريقة لتّنفيذها.

٢ – ٢. **التّنظيم** :

وهو توفير المصادر البشريّة والماليّة والماديّة والتّنسيق بين هذه المصادر على نحو يحقّق الأهداف المسبقة.[١]

---

[١] – جزني، نسرين، **مديرييت منابع انساني، (ادارة المصادر البشريّة)**، طهران، نشر ني، ١٣٧٨ش.، ص ٢٥.

٢ – ٣. تشكيل الفريق :

أو المجموعة يهدف إلى مضاعفة جدوى البحث وتوفير الظّروف التي تضمن لعمل هذا الفريق أن يسير على نحو جيّد ويتطوّر باستمرار على مختلف الصّعد.[١]

٢ – ٤. ادارة عنصر الوقت :

أي الاستفادة المثلى من الزّمن بما يحقّق أكبر قدر من الجدوى. يتطلّب التّوظيف الأمثل للوقت إعداد جدول زمني لتنفيذ مختلف مراحل البحث وإهمال الخطوات التي تستهلك الوقت، وتوجيه مشروع البحث نحو القضيّة المركزيّة مع تجنّب حصر البحث في موضوع مقيّد.

إنّ كلًا من الافراط والتّفريط يؤدّي إلى الإضرار بالبحث، فالتّسرع في العمل يتسبّب في تقليص مستوى الدّقة وضياع المعلومات اللاّزمة وتطرّق الخطأ إلى التّحليل ومعالجة المعلومات، كما يؤدّي تبديد الوقت وهدره من جهة أخرى إلى تأخّر العمل وينعكس سلبيًا على جدوى البحث. ويدلّ المثل العربي المعروف "الوقت كالسّيف، إن لم تقطعه يقطعك" على أهميّة الوقت والزّمن لدى العلماء.

٢ – ٥. خدمات البحث :

أي إعداد ملفّ علمي وتوفير مصادر البحث وأدواته. يقع على عاتق فريق البحث العلمي إعداد قوائم البيبلوغرافيا ونقد المصادر والوثائق، وهذا من خطوات البحث الأولى، بيد أنّ توفير المصادر تلك أمر يقع على عاتق الإدارة التنفيذيّة للبحث.

سيفتقد البحث لجدواه وأثره ويصبح عقيمًا حين يبدأ من نقطه مجهولة ويتجاهل الرّصيد العلمي السّابق للموضوع. وهكذا فإنّ تاريخ البحث ورصيده

---

[١] – كهر، ساسان، **مقدمه اى بر بهبود سازمان، (تمهيد لتطوير المؤسّسة)**، طهران، مركز آموزش مديريت دولتي، ص ١٣–١٤.

السّابق من المرتكزات الأساسيّة في الملف العلمي للبحث. إنّ تنظيم الملف العلمي على نحو منطقي تاريخي، يساعد على إعداد بطاقات المعلومات بنحو أسرع ويسهّل معالجة المعلومات.

٢ – ٦. بطاقة المعلومات :

هنالک عنصران أساسيّان في تصميم أسلوب هذه البطاقات :

أولًا : التّركيز.

ثانيًا : ترشيد استخدام عنصر الوقت.

إنّ بعض أساليب إعداد البطاقات، يؤدّي إلى عقم في معالجة المعلومات، وحين تقوم هذه العمليّة على أساس الموضوعات، فانّها تكون على حساب عنصر التّركيز كما تؤدّي إلى هدر الكثير من الوقت. أمّا اتّجاه العلميّة هذه في ضوء مسائل محوريّة فإنّه يحافظ على التّرتيب التّاريخي المركّز، ونلاحظ إنّ جمع المعلومات بهذا الأسلوب، سيكون في هامش المسائل الفرعيّة، محددًا ومركزًا (لا على أساس تنوّع المصادر)، ويتمّ تنفيذه وفقًا للتّرتيب التّاريخي، والمهمّ أنّه لا ينبغي لإعداد البطاقات هذه أن يفصل بين المعلومات والمنظومات الفكريّة ذات الصّلة بها، على نحو يجرّدها من دلالتها المنهجيّة.

٣ – الادارة العلميّة :

يمكن أن نجمل ما يقع على عائق الإدارة العلميّة لمشروع البحث في سبع حالات : تحديد الهدف، مقاربة الموضوع، تقديم فرضيّة البحث، تحديد اتّجاهات البحث المساعدة، تعيين مقياس لانتقاء المعلومة وأسلوب تقييم المعلومات، إضافة الى بلورة أساليب ومناهج للتّحليل والتّقييم العلميّين في مشروع البحث. إنّ موضوع البحث ومسائله ونطاقه، إضافة إلى مستوى التّقييم والإدارة التنفيذيّة للمشروع، هي جميعًا على صلة بهدف البحث. ويمثّل تحديد

الهدف واحدًا من أبرز القرارات الاستراتيجيّة في البحث. ليس الاداء الجيّد بشكل عام، سوى نتيجة لتحديد الهدف على نحو صحيح.[١]

٤ – مواصفات البحث :

ينبغي أن يتمتّع هدف البحث بالوضوح والتّحديد، وأن يكون قابلًا للتّحقيق والتّقييم، ويقع على سلّم الأولويّات كما يلي :

٤ – ١. أن يكون محددًا[٢] : إنّ أهداف الأبحاث ذات الصّلة بنطاق خاصّ، تمثّل غايات محدّدة تلتقي في نهاية المطاف مع تلك المبادئ. فإنّ التّمادي في تحديد الهدف وتأسيسه على طموحات مبالغ فيها، يؤدّي إلى إخفاق البحث وعقمه.

٤ – ٢. قابليّة التحقّق[٣] : سيتحوّل البحث إلى جهد عقيم وتعب لا طائل منه، حين يأخذ بنظر الاعتبار أهدافًا لا يمكن تحقيقها. هناك مجالات تؤدّي بالباحث إلى الحيرة والضّياع كلّما حدّدها كأهداف لبحثه.

٤ – ٣. إمكانيّة التّقييم[٤] : يتوقّف تقييم مراحل البحث المختلفة على تحديد مقدار ما تحقّق من أهداف، وهذا ما لا يمكن إلاّ في تلك الأهداف التّي في وسعنا قياسها. إنّ إمكانيّة تقييم الهدف منوطة بموضوعيّته، إذ إنّ الأهداف غير الموضوعيّة لا تتوفّر لها إمكانيّة التّقييم. وهكذا ينبغي للباحث أن يحدّد مستوى ما تحقّق من أهداف.

---

١ – بلانتشارد، كن، **مديريت بر قلبها، (ادارة القلوب)**، مترجم؛ عبدالرضا رضائي نجاد، طهران، ١٣٧٩ش.، ص ١٠.

٢ – specific

٣ – attainable

٤– measurable

٤ – ٤. **أن يكون مفيدًا**[١]: من المهمّ أن يلبّي حاجة محدّدة وأن ينطوي على فائدة وقيمة، وليس تناول الموضوعات المكرّرة الاحترازيّة سوى فعل رتيب يستهدف إسقاط الواجب وحسب. الهدف من البحث على مستوى المبادئ، تطوير المقولات النظريّة في حقل معرفي محدّد. ومن الأهداف الجديّة في هذا المستوى من البحث، اكتشاف ألوان التّناقض والثّغرات في المبادئ المعرفيّة، وبلورة رؤية جديدة أو منهج مستحدث؛ أو تأسيس تصوّر جديد في نطاق خاصّ. أمّا أهداف البحوث التطبيقيّة فهي تناول السّلوك وما يطاله من تغيير في شتّى مجالات الحياة، في ضوء المبادئ النظريّة.

٤ – ٥. **ان يكون من الأولويّات**[٢] : لابدّ لهدف البحث أن يكون ضروريًا، أو أن يلبّي أكثر الحاجات إلحاحًا، ويتخطّى الثّغرات الأكثر احتياجًا للمعالجة في البحث. إضافة إلى كونه متناسبًا مع المؤهّلات والميول الشخصيّة للباحث.

هنالك عوامل متعدّدة تتدخّل في اختيار هدف مناسب :

٤ –٥ –١. **تراكم المعرفة وسعة الإطلاع على النظريّات ومتابعة الجديد:** إنّ عمق الرّؤية والقدرة على اكتشاف الاستراتيجيّات، هما حصيلة عقل مشبع بالمعلومات والنظريّات.

٤ –٥ –٢. **القدرة على صياغة المسائل** : إنّ تحديد الثّغرات والأخطاء والحاجات الموضوعيّة أمور تنتج عن التّعامل بدقّة مع الأشياء. فلو كنّا من أولئك الذين يحسنون اكتشاف المسائل وصياغتها في تعاملهم مع الأشياء سوف ننجح في هدفنا. والمراد بالمسألة هنا معناها العام الشامل لكلّ من الاشكاليّة والمسألة.

١– fruitful

٢ – priority

٤ -٥ -٣. **روح الإبداع** : تلعب روح الإبداع والابتكار الشّخصي، الدّور الأكثر أهميّة في تحديد أهداف مناسبة. يرى آلبرو مارتن[١] إنّ الشّخص الخلاّق لن يكون مبدعًا بالضّرورة، لأنّ المبدع لا يجدّد من خلال أفكار خلاّقة، بل يتجسّد تجديده في اكتشاف قيمة الأفكار وممارسته لتوظيفها.

٥ - تحديد حاجات المجتمع :

تمثّل الاحاطة بحاجات المجتمع الملموسة من خلال دراسة منظّمة، واحدًا من أساليب تحديد هدف للبحث. أمّا تناول الموضوعات الشّائعة، فهو نتيجة لعدم تحديد حاجات ومشاكل المجتمع. فإنّ الشّعور بوجود مشكلة مّا، هو الخطوة الأولى للبحث.[٢]

إنّ المشكلة تتّسم بالإبهام ولا تفرض منهجًا معينًا للبحث، وسينهار البحث حين يكون المرء مهووسًا بالانتقال من المشكلة إلى الحل مباشرة، أي أنّ الخطوة الأولى في عمليّة البحث هي الانتقال من تحديد المشكلة إلى صياغة المسألة. فحسن السّؤال نصف التعلّم، أو فهم السّؤال نصف الجواب.

٦ – فرضيّة البحث :

تعدّ الفرضيّة لونًا من التصوّر التخميني الظنّي، يجري تقديمه لمعاجلة مسألة البحث، ويستهدف البحث اختبار الفرضيّة وتقييمها. فلابدّ من التّمييز بين فرضيّة البحث[٣] وبين ما يعرف بالفرضيّة الجوفاء أو اللاّغية، إذ إنّ هذه الأخيرة

---

١ - عالم معاصر متخصّص في علم الإجتماع.

٢ - ديوي، جون، **منطق تئورى تحقيق، (المنطق النّظري للبحث)**، ترجمه؛ علي شريعتمداري، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٩ش.، ص ١٣٥.

٣ – hypothesis

تلعب دور الفرض المساعد في برهان الخلف[1]، وتتولّى تكذيب أو دحض ما يعارض فرضيّة البحث، كما تتضمّن صياغة البحث استعراضًا لفرضيّة البحث ذاتها، بينما يتجاهل الفرضيّة اللاّغية.

---

[1] - برهان الخُلف أو البرهان بنقض الفرض هي طريقة للبرهان عن طريق إثبات أنّ بعض فرضيّة أو بعض الفرضيّات المناقضة للفرضيّات المقدّمة تؤدّي إلى نتائج غير منطقيّة. شرح برهان الخلف : يمكن ارجاع برهان الخلف الى الخطوات التّالية :

١- استخراج نقيض المفروض.

٢- استخراج نقيض المدّعى.

٣- الاستدلال من نقيض المدّعى على نقيض المفروض.

٤- ثمّ نقول إذا صدق نقيض المفروض كذب المفروض؛ لكنّه صادق بالفرض فيكذب نقيض المدّعى ويصدق المدّعى. وينبغي ملاحظة الامور التّالية :

وضع نقيض المفروض على جهة ويفضل وضعه فوق نقيض المدّعى المستخرج بالخطوة الثانية، ثمّ محوه بعد انتهاء الخطوة الثالثة. إنّ أهمّ خطوة في هذه الاربعة هي الخطوة الثالثة ولا يستطيع الطّالب اتقانها إلاّ بعد حفظ العلاقات العشرة جميعًا حفظًا جيّدًا وممارسة حل البراهين بكثرة مدّة من الزّمن وبخلاف هذين الأمرين لايُحتمل تمكّن الطّالب من اتقان هذا الامر. والعلاقات هي : التّناقض، التّضاد، الدّخول تحت التّضاد، التّداخل، العكس المستوي، عكس النّقيض الموافق، عكس النّقيض المخالف، نقض المحمول، نقض الموضوع، نقض الطّرفين. على سبيل المثال : المفروض : ع ب ج صادقة

المدّعى : ع ج ب صادقة بالعكس المستوي

البرهان :

١- استخراج نقيض المفروض : ع ب ج = ع ب ج

٢- استخراج نقيض المدّعى : ع ج ب = لا ج ب

لا ب ج (نقيض المفروض). نقول : لو لم يصدق المدّعى صدق نقيضه، فلو لم يصدق ع ج ب صدق لا ج ب (نقيض المدّعى)

٣- الاستدلال من نقيض المدّعى على نقيض المفروض من خلال ملاحظة وجود علاقة من العلاقات العشرة المذكورة بينهما ولتسهيل الامر على المبتدأ ننصح بتجربة علاقة بعد علاقة فنقول : هل يوجد بين (لا ج ب) و(لا ب ج) علاقة التّناقض ؟ الجواب (لا). ثمّ

٧- تحديد الاتّجاه المناسب :

ثمّة حاجة إلى تدابير متزايدة بغية الخيار المناسب للاقتراب من مسألة البحث. ينبغي على الباحث بعد تقديمه للمسألة أن يحدّد اتّجاه البحث بما يناسب الفرضيّة المعتمدة. فهل يتطلّب بحثه اتجاهًا داخليًا أو خارجيًا، تاريخيًا أم مقارنًا، تحليليًا أم متفرّعة بينيّة ؟

فأيّ الاتّجاهات أجدى لبحثه، فهل يختار السّيمانطيقا[١] أم الهرمنيوطيقا[٢] ؟ إنّ الاتّجاه يختلف عن المنهج وسنشير إليهما قريبًا.

نجرّب علاقة أخرى فنقول : هل بينهما علاقة التّضاد ؟ الجواب (لا). ثمّ نقول هل بينهما علاقة التّداخل ؟ الجواب (لا). هل بينهما علاقة الدّخول تحت التّضاد ؟ الجواب (لا). هل بينهما علاقة العكس المستوي ؟ الجواب (نعم). فنرى اعتماد البرهان على حفظ العلاقات.

فنقول : اذا صدق (لا ج ب) [نقيض المدّعى] صدق عكسه المستوي (لا ب ج) [نقيض المفروض]. إلى هنا تمّ الانتهاء من الخطوة الثالثة.

٤- فاذا صدق (لا ب ج) [نقيض المفروض] كذب نقيضه (ع ب ج) [المفروض] لكنّه صادق بالفرض، فيكذب (لا ج ب) [نقيض المدّعى] ويصدق (ع ج ب) [المفروض] وهو المطلوب.

[١] - (semantics) البعد الدلالي أو المعنى.

[٢] - (Hermeneutics) التفسيريّة أو الهرمنيوطيقا هي المدرسة الفلسفيّة التي تشير لتطوّر دراسة نظريّات تفسير وفنّ دراسة وفهم النّصوص في فقه اللّغة واللاّهوت والنّقد الأدبي.

ويستخدم مصطلح هرمنيوطيقا في الدّراسات الدّينيّة للدلالة على دراسة وتفسير النّصوص الدّينيّة تشير في علم الفلسفة إلى الفرع الذي يدرس مبادئ التأويل والإدراك.

فيما تحمل الكلمة ذاتها اسم نظريّة معروفة في الميثودولوجيا (علم المناهج) في أسلوب تأويل النّصوص المقدسّة وتفسيرها وخاصّة من الكتاب المقدّس، ومعاني كلمات النّصوص. وبالتّالي فإن تحليل النظريّة نفسها أو العلم قد تحول إلى تفسير وتأويل العلامات وقيمتها الرمزيّة. ويعود أصل المصطلح إلى الفعل اللاتيني jermeneueien والذي يعني يفسّر، يصرّح، يعلن، يوضح ويترجم.

ب. أن يكون مجديًا، ويتعلّق هذا المفهوم بقيمة العمل ونتيجة البحث. فكيف ينبغي أن نقوم بالبحث ونمارسه ؟ وما الذي ينبغي أن يكون موضوعًا للبحث ؟ إنّ كون الأمر مفيدًا يتّمتع بالأولويّة على مستوى هدف البحث، يحقّق جدوى البحث ونتيجته. على سبيل المثال؛ هل أحكام العبيد أم بطاقات الإئتمان هما بالأولويّة للمجتمع ؟ فإنّ التحدّث على نحو جيّد يشير إلى النّاحية العلميّة، أمّا طرح حديث جيّد، فهو يتّصل بالجدوى والأثر. فينبغي أن يكون الأمر مفيدًا وفي نفس الوقت يكون عمليًا.

"لا تعني المهارة في البحث أن يدرك الباحث ما ينبغي كتابته وحسب، بل المهمّ أن يدرك ما لا ينبغي كتابته"[١]. ففي ظلّ المفهومين (كون الشيء عمليًا ومثمرًا) يمكن أن نعدّ الحرص على تقييم البحث، حرصًا على تقدير حجم إنتاجيّته، أي تقييم عمليّته وجدواه.

ثمّة حالات أربع لمشروع البحث فيما يتّصل بالإنتاجيّة :

١- أن يكون عمليًا ومثمرًا : مستوى عالٍ من الإنتاجيّة.

٢- أن يكون مثمرًا ولكنّه ليس بعملي : مستوى منخفض من الإنتاجيّة.

٣- أن يكون عمليًا، غير أنّه ليس مجديًا : عدم الإنتاجيّة.

٤- أن لا يكون عمليًا كما لا يكون مثمرًا : عدم الإنتاجيّة.

تتوقّف جدوى البحث على عاملين؛ داخلي وخارجي. ونريد بالعامل الخارجي ان يكون موضوع البحث مفيدًا، كما نقصد بالعامل الداخلي اتّجاه مشروع البحث منذ الخطوة الأولى حتى نهايته نحو الموضوع المذكور. وعلى هذا الأساس فإنّ إنتاجيّة البحث حصيلة لعمليّتين هامّتين :

١- تحديد هدف مهمّ تمسّ إليه الحاجة.

---

[١] - زرين كوب، **يادداشتها و انديشه ها (ملاحظات وافكار)**، ص ١٤.

٢- تقييم مختلف مراحل البحث على المستوى العملي وفيما يتّصل بالجدوى وحجم وفاء مشروع البحث بالهدف المحدّد.

ثمّة ثلاث مراحل مهمّة لتقييم البحث هی : التّقييم المسبق، والتّقييم أثناء العمل، والتّقييم اللاحق.

أ. التّقييم المسبق :

لا يمكن أن يبدأ البحث من لا شئ. ثمّة خطًا يبدأ عنده البحث وهو يتكوّن من نقاط كثيرة. من هذا القبيل استيعاب الحاجات البحثيّة، الإحاطة براهن الحقل البحثي، والرّصيد المسبق للموضوع، التّحديد الواقعي للمؤهّلات والميول الشخصيّة، إلى جانب المعرفة بالأدوات والمناهج. فعلى الباحث وقبل اختيار موضوعة أو خوضه عمليّة البحث، أن يتولّى دراسة وتقييم الجوانب المذكورة أعلاه.

أ - ١. **تحديد الحاجات** : من الضّروري القيام بتقدير دقيق من أجل تحديد أولويّات البحث في سياق اختيار الهدف، والموضوع، ومسألة البحث.

أ - ٢. **تقييم راهن الحقل البحثي** : لابدّ للباحث أن يقف على تاريخ المسالة المبحوثة، كي يطّلع على الابحاث التي تناولتها في السّابق ويحدّد نجاحها أو إخفاقها، وما تعانيه من ثغرات ونقاط ضعف، إلى جانب ما يتوافر فيها من أرضيّة وما تتحرّك ضمنه من نطاقات.

أ - ٣. **تقييم المنهج** : يتحدّد استخدام أدوات البحث ومناهجه عبر الاختبار اعتمادًا على دراسة منظّمة في تقييم المنهج. إنّ تقييم المنهج ضمن الاتّجاه هذا، يمثّل دراسة مناهج البحث القائمة على مستوى نظامها، عبر تصوّر نقدي واقتراح المناهج المناسبة للبحث.[١]

---

[١] - طاهري، شهنام، **كارسنجي و روش سنجي (تقييم المنهج والعمل)**، طهران، نشر آوين، ١٣٧٨ش.، ص٧.

أ – ٤. **تقييم المؤهلات الشخصية** : لا يعني تأكيدنا على تناسب التّأهيل الشّخصي مع موضوع البحث، تثبيطًا لعزيمة الباحث وقمعًا لطموحه، لكنّ المرء حين يقف على مبدأ التّناسب هذا، فإنّ عليه أن يطوّر مؤهّلاته بالمستوى المطلوب، أو أن يتجنّب الخوض في الموضوع المشار إليه. هنالك عاملان يحولان دون استيعاب المرء لمبدأ التّناسب هذا :

١- الجهل بموضوع البحث وعدم الإطّلاع على نطاق البحث.

ب – أوهام الشّخص حول مستواه، فإنّه سيعجز عن تحديد مؤهّلاته على نحو واقعي.

أ – ٥. **تقييم الميول الشخصيّة** : إنّ ميل الباحث نحو موضوع البحث ورغبته في تناوله، يتركان تأثيرًا أكبر على ذلك. فلابدّ أن يجري تقييمًا منهجيًا، وتقديرًا منظّمًا في سبيل اكتشاف المرء ميوله الحقيقيّة وفرزها عن الميول الكاذبه الموهومة. هنالك فعل نفسي يجعل المرء يبدي ميلاً نحو أمر، هو لا يميل نحوه في الحقيقة، فيوهمه بأنّه هدفه الحقيقي.

ب : التّقييم أثناء البحث :

يمثّل التّقييم أثناء البحث تقديرًا وملاحظة مستمرّين منذ بداية المشروع البحثي وحتى نهايته، كما يشمل شتّى جوانب البحث وأبعاده وفقًا لما يلي :

ب – ١. تقييم العلومات : ثمّة دورًا رئيسيًا يلعبه تقييم مرحلة جمع المعلومات في إنتاجيّة مختلف مراحل البحث. ويتولّى الباحث تقييم المعلومات التي جرى جمعها من حيث كونها كافية، ودقيقة، وصادقة، وذات صلة واضحة بالبحث.

ب – ٢. **تقييم معالجة المعلومات وتحليلها** : ثمّة أهميّة فائقة يكتسبها نقد منطق البحث وتقييمه. هل توفّرت أدلّة كافية للبرهنة على ما يدّعيه البحث ؟

ألم يتورّط البحث في مغالطة من قبيل أخذ ما ليس بعلّة، علة ؟

هل جرى اعتماد ضوابط الاستدلال وقواعده بدقّة في شتّى مراحل البحث ؟

هل اتّبعنا مقاييس منطق التّعريف أثناء تقديمنا للتّعريفات؛ وهل استخدمنا الأدوات اللاّزمة في عمليّات الوصف والتّبرير والتّفسير ؟

ب – ٣. تقييم مدى الوفاء بالهدف : يحرص الباحث خلال مراحل عمله المختلفة، على تجنّب الابتعاد عن هدفه، وهنالك حكمة معروفة لباسكال من المفيد اعتمادها في التّقييم المتواصل لتحليل المعلومات ومدى الوفاء بفرضيّة البحث ومسألته. إنّ باسكال يوصي الباحث أن يتدبّر في الأدلّة التي من شأنها دحض فرضيّة قبل أن يخوض في أدلّة إثباتها.[1]

ج : التّقييم اللاّحق :

المراد بالتّقييم اللاّحق، أن يبادر الباحث بعد مرور فترة معيّنة على انتهاء عمله وصدوره إلى دراسة الآثار والمعطيات المتروكة في البحث ضمن الدّائرة التّي انتشر فيها.

مراحل التّقييم		حالات التّقييم	
١	سابق	١	تحديد الحاجات
		٢	تقييم راهن الحقل البحثي
		٣	تقييم المنهج
		٤	تقييم الموهّلات الشّخصيّة
		٥	تقييم الميول الشّخصيّة
٢	حالي	١	تقييم العلومات
		٢	تقييم معالجة المعلومات
		٣	تقييم مدى الوفاء بالهدف
		٤	تقييم عنصر الزّمن
٣	لاحق	١	الأهداف والنّتائج

الجدول رقم ٣ – ١ : مراحل تقييم مشروع البحث وتقدير جدواه وحصيلته

[1] – قراملكي، مناهج البحث في الدراسات الدّينيّة، ص ١٣٠.

الملخّص

يتضمّن الجدول٣ – ٢ البرامج الستّة للإدارة التنفيذيّة والأدوار السّبعة للإدارة العلميّة

إدارة مشروع البحث		مسؤوليّات الإدارة	
١	تنفيذيّة	١	التّخطيط
		٢	التّنظيم
		٣	إعداد الفريق
		٤	إدارة عنصر الوقت
		٥	خدمات البحث
		٦	أساليب إعداد بطاقات المعلومات
٢	علميّة	١	تحديد الهدف
		٢	مقاربة المسألة
		٣	تقديم فرضيّة البحث
		٤	تحديد الاتّجاهات المساعدة
		٥	تحديد مقياس التّقييم وأسلوب تقييم المعلومات
		٦	منهج تحليل المعلومات
		٧	تقييم عمليّة البحث وجدواه (مسبقاً، أثناء البحث، لاحقاً)

تمرين

١ – ما هي العوامل التي تتدخّل في تنفيذ السّقف الزّمني في برنامج البحث، وما هو حجم نجاحک في الإلتزام بالسّقف الزّمني الدّقيق ؟

٢ – حاول تخطيط بحث اختباري وفق سقف زمني محددّ وقصير لكي تعالج مهارتك في استغلال عنصر الوقت.

٣ – ماهي عوامل إخفاق البحث ومعوقّاته المتنوّعة ؟

٤ – ما هو البحث الصّحيح وما هي مقاييسه ؟

٥ – ما هي الظّروف والشّروط التي تؤدّي إلى جعل البحث منتجًا ومجديًا، وكيف لنا أن نستثمرها ؟

٦ – كيف نوجّه عمليّة البحث وفريق الباحثين نحو مسار صحيح ؟

٧ – كيف نتمكّن من تحقيق الأهداف المحدّدة للبحث ؟

٨ – ما هي العمليّة التي توفّر للباحث ضمانه فيما يتّصل بثمرة بحثه وجدواه ؟

٩ – قدّم مشروعًا بحثيًا يشمل المواصفات المذكورة في هذا الفصل.

الفصل الرّابع

أنماط البحث



تمهيد

يتناول الفصل الحالي أهميّة البحث المتّجه نحو مسألة محدّدة، ومحاولة تحديد السّبل والآليّات المناسبة لهذا اللّون من الأبحاث ويتباين البحث المتمحور حول المسألة، والبحث الذي يدور حول الموضوع، على أساس تصوّرين مختلفين فيما يتّصل بالإجابة على الأسئلة التّالية :

١- ما هي الجوانب التي نتناولها في بحثنا لموضوع معيّن ؟

٢- ما هو الدّور المنهجي الذي يلعبه موضوع البحث وتحقيق عناصر الجدوى، وفي كون البحث عمليًا ؟

٣ - هل يخضع اختيار جوانب البحث والمعلومات والمناهج، لطبيعة الموضوع ؟

معظم الباحثين في مجال الدّراسات الدينيّة يؤكّدون حيال الأسئلة المذكورة على أهميّة الموضوع ودوره المركزي وتتبنّى أبحاثهم محوريّة الموضوع. يجري في البداية اختيار موضوع ومن بعدها تستدعى الجوانب التي تتّصل به بنحو أو بآخر، وفق ما يتمتّع به الباحث من سعة في الاطلاع وخبرة في الموضوع. وتظلّ نتيجة البحث منوطة برؤية الباحث وأساليبه في جمع موضوعات البحث وعناوينه وتنظيمها.

يمثّل البحث الدّائر حول موضوعٍ مّا في حقيقة الأمر جمعًا لموضوعات، ممّا يعني إنّها ستظلّ جهودًا عقيمة غير منتجة فيما يتّصل بالأهداف البحثيّة.

ثمّة فروقًا عدّة بين برنامج البحث والبرنامج التّعليمي، منها إنّ البحث لا يسعه سوى أن يتمحور حول مسألة معيّنة، بينما يمكن للبرنامج التّعليمي أو التّبشيري أن يتمحور حول موضوع أو مصدر معيّن. ولايضاح ما نريده من

البحث الدّائر حول الموضوع وتحديد نواقصه، نتناول البنية التي قامت عليها رسالة دكتوراه في الفلسفة الإسلاميّة. تتكشّف لنا هويّة البحث الدّائر حول الموضوع من خلال مباحث الرّسالة. فنحاول أن نعثر على مسألة الباحث عبر ملاحظة محتويات الرّسالة.

ما هي المسألة أو المسائل التي كان الباحث بصدد معالجتها هناك ؟

هل كان الكاتب بصدد تدوين نصّ دراسي أو يتّصل بالخطابة ونمط المقالات التي تنشر في الموسوعات ودوائر المعارف ؟

أم إنّه كان يعمل على تطبيق مشروع بحثي يدور حول مسألة أو مسائل محدّدة ؟

الموضوع : جدل العرفاء والمشّائين حول العقل			الصفحات المخصّصة
المحتويات	الفصل الأوّل	الإنسان والمنظومات العقديّة في الإسلام : رؤية للإنسان، المنظومات العقديّة في الإسلام.	١٥
	الفصل الثّاني	الفوارق الجوهريّة بين الفلسفه والعرفان : الوحدة والكثرة، بشرط ولا بشرط، الله موضوع للفلسفة، العليّة والتجلّي، السّادة الخمسة، التّنزيه والتّشبيه، الظّهور والكمون، العقل والقلب، البرهان والتّمثيل.	١٣
	الفصل الثّالث	معارضة الفلاسفة : الاختلاف نعمة أم نقمة، قصّة الفكر الفلسفي، جدل الفلاسفة مع غيرهم، خلاف المتصوّفة والمتشرّعة، التجريبيّون، العرفاء والسّالكون، ما شنّع به العرفاء على الفلاسفة.	٣٦
	الفصل الرّابع	العقل عند العرفاء : استعراض تفصيلي جدًا، من الهجويري حتى ابن عربي.	٥٣

الجدول رقم ٤ – ١ : خطّة مشروع بحثي قدمت كرسالة دكتوراه في جلسة تحضيريّة سبقت مناقشتها

يظلّ مشروع البحث في فائدته منوطًا باستيعاب الباحث للتّباين البنيوي بين البحث الدّائر حول الموضوع والبحث المتمحور حول المسألة، وأن يقارن البنيتين من حيث نتيجة البحث، وأن يكون قادرًا في ضوء استيعابه لذلك، على رسم خطة للبحث تدور حول المسألة.

ستكون القضايا الرّئيسيّة المطروحة في هذا الفصل كما يلي : ما هو التّباين البنيوي بين البحث الدّائر حول الموضوع وذلك المتحور حول المسألة ؟ ما هي طبيعة هذا التّباين على مستوى جدوى التّحقيق ومدى فائدته ؟ ما هي مواصفات مسألة البحث ؟ كيف لنا أن نصمّم بحثًا يدور حول المسألة ؟ كيف للباحث أن يتمتّع بقدرة على تحديد المسائل واكتشافها ؟ ما هي الخصوصيّات التي تتمتّع بها المسالة، والشّروط التي تخضع لها في البحث ؟ هل في وسعنا أن نعمد إلى أي شيءكان، ونتناوله بمثابة مسألة للبحث ؟

إنّ الشّرط الرّئيسي على مستوى مشروع البحث هو أن ننجح عمليًا في تصميم خطّة مشروع بحثي يدور حول المسألة.

أنماط البحث

أهداف التعلّم :

- أهميّة البحث المتّجه نحو مسألةٍ مّا، ومحاولة تحديد السّبل والآليّات المناسبة لها، والتعرّف على اختلافاتها مع البحث المتمحور حول الموضوع.
- يمثّل البحث الدّائر حول موضوع جمعًا للموضوعات، ممّا يعني إنّها جهودًا عقيمة غير منتجة فيما يتّصل بالأهداف البحثيّة.
- التعرّف على الفوارق بين برنامج البحث والبرنامج التّعليمى.
- التعرّف على اسلوب العثور على مسألة الباحث عبر ملاحظة محتويات الرّسائل.
- التّباين البنيوي بين البحث الدّائر حول الموضوع وذلك المتمحور حول المسألة.
- مواصفات مسألة البحث وكيف لنا أن نصمّم بحثًا يدور حول المسألة.
- كيفيّة تمتّع الباحث بالقدرة على تحديد المسائل واكتشافها.

١ – أنماط البحث :

١ –١. البحث الدّائر حول الموضوع :

في البحث الدّائر حول الموضوع، يبدأ الكاتب بالموضوع ذاته ويرسم خطّة البحث على أساسه، ثمّ يستدعي ما يتّصل بالموضوع وما يناسبه. أمّا البحث المتّجه نحو المسألة فإنّه يبدأ من المسألة ذاتها، ويستدعي ما تتطلّبه معالجتها وتتحوّل المسألة إلى فرضيّة يحاول الباحث إثباتها. فإنّه يقوم بمعالجة ما يمكن أن يدحض الفرضيّة.

سيكون الموضوع في البحث المتّجه نحو المسألة، أمرًا ثانويًا تابعًا، يستخدم للتّنويه بمجموعة من المسائل تنتمي إلى فصيلة واحدة.

عناوين بحث يتناول معرفتنا بالله

	بحث يدور حول الموضوع		بحث يتّجه نحو المسألة
١	تعريف العلم والمعرفة	١	ضرورة المعرفة بالله ووجودها
٢	اقسام المعرفة : الحضوري، الحصولي...	٢	إمكان معرفة الله
٣	إمكان المعرفة	٣	تغيّر معرفة الله
٤	تصوّرات حول العلم الإلهي	٤	مناهج معرفة الله
٥	معرفة الله في ضوء الآيات والأحاديث	٥	معرفة الله : أساليب صحيحة وخاطئة
٦	معرفة الله في تصوّرات الفلاسفة والمتكلّمين	٦	آثار معرفة الله في الحياة الفرديّة والإجتماعيّة
٧	مناهج معرفة الله	٧	تنوّع معرفة الله
		٨	تطوّر معرفة الله
		٩	معوّقات معرفة الله

الجدول ٤-٢ : إيضاح تفاوت نمطي البحث على مستوى البنية

مثال آخر لمزيد من الإيضاح :

اختار احد الطلّاب موضوع أصالة الوجود والتّشكيك في الوجود وأثرهما على الفلسفة الإسلاميّة لبحثه في رسالة الدكتواره. اقترحنا له هيكليّة تتمحور حول المسألة كما يلي :

١- مدخل إلى المسألة (تعريفها واستعراض الأسئلة الأساسيّة وتحليل كلّ من النظريّتين وشرحهما).

٢- مدى جدوى هاتين النظريّتين في تخطي الثّغرات المنهجيّة في الميتافيزيقا.

٣- دور هاتين النظريّتين في اتّساق المنظومة الفلسفيّة.

٤- تأثير هاتين النظريّتين في جعل الإلهيات بالمعنى الأخص[١]، أكثر التصاقًا بالفلسفة.

٥- تأثير هاتين النظرتين منهجيًا على الفكر الفلسفي.

٦- المفاهيم الفلسفيّة الجديدة التي تبلورت على أساس هاتين النظريّتين.

يمكن في ضوء خطّة البحث الدّائر حول المسألة، إعادة النّظر في الفرضيّة وتأثير هاتين النظريّتين على كثير من المسائل الفلسفيّة، إلى جانب استثمار شتّى تلك الموضوعات في تحليل مسائل البحث، بينما نجد إذا كان البحث دائرًا حول الموضوع، كان يقتصر على حشد حالات تأثير هاتين النظريّتين وتتبعها وتحليلها دون أن يؤدّي إلى اكتشاف جوانب هذا التّأثير في المنظومة الفلسفيّة.

١ – ٢. البحث الدّائر حول المسألة :

خطّة البحث القائمة على أساس الموضوع تصاب بالعقم في نهاية المطاف، لكنّ الخطّة القائمة على أساس محوريّة المسألة تعزّز من جدوى البحث. إنّ مقولة "حسن السّؤال نصف التعلّم" تعبّر عن توقّف جدوى الأبحاث على

---

[١] – المراد بالإلهيّات بالمعنى الأخصّ في الفلسفة الكلاسيكيّة، المباحث ذات الصّلة بالله وصفاته وأفعاله والتي يفرد لها باب مستقلّ في مدوّنات الفلاسفة المسلمين وتقيّد بأنّها (أخصّ) تمييزًا لها عن الإلهيّات العامّة التي كانت تطلق يومًا ما على عامّة مباحث الانطولوجيا في الفلسفة؛ تسمية للشيءباسم أشرف اجزائه، وأيضًا باعتبار أنّ المباحث الأنطولوجيّة العامّة تعدّ لديهم مقدمّة تمهّد لبحث الإلهيّات (بالمعنى الأخصّ). (الطّائي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ١٤٦)

محوريّة المسألة في البحث. إنّ حسن السّؤال يتفرّع على كون المسألة محورًا للبحث.

إنّ هدفنا الأساسي في الأبحاث هو أن نتولّى معالجة المسائل أو أن نحاول ذلک على الأقلّ. "لسنا باحثين في موضوع محدّد، بل نحن نمارس البحث حول المسائل".[1] تتزايد جدوى البحث على مستويات مختلفة نتيجة لاتّجاهه نحو المسالة، أهمّ هذه المستويات :

١ – هناک هدف محدّد للبحث القائم على المسألة، وهو هدف يمكن تحقيقه وتقييمه. ويجنّب الباحث الخوض في أمور لا علاقة لها ببحثه، والهدف من هذه الأبجات هو إثبات فرضيّة البحث أو تكذيبها فقط.

٢– يتاح للعقل أن يكتسب نضجًا وقدرًا اكبر من المشاركة في البحث؛ يعني توسيع عمليّة البحث كي تشمل شتّى جوانب عقل الباحث وخياله. هنالک فرق بين البحوث على مستوى الدّافع والمؤهّلات الذهنيّة للباحث ونجاحه في عمليّة البحث. وغالبًا ما يكون البحث الدّائر حول المسألة، سببًا لمعظم الإبداعات والاكتشافات والاختراعات، ولا سيّما تلک الثّورات العلميّة في تاريخ المعرفة. تتجلّى لنا هذه الحالة حين نتدبّر في طريقة مسألة معيّنة، أمرًا يجعل الباحث يذوب في عمليّة البحث ويتماهى معها، وبالتّالى فإنّ قدراته ومؤهّلات فريقه البحثي ستتضاعف مئات المرّات.

٣– تنهمک المتابعات الدّائرة حول الموضوع، في ممارسة التّوصيف والتّوضيح خلال معالجتها للموضوع. بينما نجد أنّ البحث الدّائر حول المسألة يمثّل جهدًا في معالجة مسألة معيّنة، حيث يؤدّي إلى مسألة جديدة أو بلورة آليّة مستحدثة.

---

[1] – بوبر، كارل ريموند، **حدسها و ابطالها (تخمينات والدّحوض)**، ترجمة؛ احمد آرام، طهران، شركت سهامي انتشار، ١٣٦٣ش.، ص ٨٣.

٤- إنّ المسائل تثري العلم وتطوّره. فهي تطرح تدريجيًا، ثمّ يتجمع عدد منها على نحو متّسق تحت عنوان موضوع واحد، فيتكوّن العلم. حين نتأمل في تطوّر العلوم وتحوّلها تاريخيًا، نجد إنّ الموضوع أمرًا ثانويًا تابعًا للعلم وأنّ العلم ليس شيئًا سوى المسائل العلميّة. إنّ البحث الدّائر حول الموضوع يمثّل عمليّة بحث معكوسة.

٥- إنّ عمليّة البحث انتقال منهجي من الفرضيّة إلى النظريّة وهو ما يظلّ متوقفًا على المسألة. ذلك إنّ الفرضيّة هي إجابة الباحث على المسألة فيما يكون المنهج تابعًا للفرضيّة.

المسألة ← الفرضيّة ← المنهج ← النظريّة

٦ – إنّ تحديد مصادر البحث ونقدها يتوقّف على مسألة البحث.

يقول بوبر : "يمكن أن تتخطّى المسألة حدود أيّ موضوع يطرح للنّقاش، وتتجاوز تخوم العلم، حتّى تنتقل إلى موضوع أو علم آخر".[1] ويعنى هذا أنّ في وسع الباحث وطبقًا لطبيعة مسألته أن يستثمر أطرًا عديدة.

٧- يتوقّف منهج البحث وأداوته على طبيعة المسألة في مستوى معارف الدّرجة الأولى والثّانية.

٢ – ١. مواصفات البحث :

لابدّ لمسألة البحث أن تتمتّع بالمواصفات التّالية :

٢ – ١ – ١. **الوضوح والتّمايز** : لابدّ أن تكون المسألة واضحة على مستوى المفهوم، محدّده ومتميّزة على مستوى المصداق وبالنّسبة إلى سواها من المسائل. ذلک أنّ أيّ لون من الغموض في المفهوم أو المصداق، سيؤدّي إلى خطأ في عمليّة البحث. ليسأل المرء نفسه قبل بدء البحث : ما هي مسألتي ؟

---

[11] – بوبر، **حدسها و ابطالها (تخمينات والدّحوض)**، ص ٨٣.

وحينئذ يجري تحليل مسألة البحث إلى عدّة مسائل محدّدة وواضحة، عبر تقديم المسائل الأساسيّة بنحو دقيق.

٢ – ١ – ٢. **أن تكون صحيحة ذات مضمون معقول** : يمكن من خلال تحليل المفاهيم والقضايا مقاربة معنى المسألة المحدّده، كما يمكن التدليل على أنّها لا تنطوي على معنى معقول فيما لو كانت تحمل تناقضًا داخليًا.

٢ – ١ –٣. **يمكن تناولها بالبحث** : هنالك تباين حقيقي في وجهات النّظر فيما يتّصل بنطاق ما يمكن بحثه ومقياس ذلک في مسائل الدّراسات الدينيّة، حيث تتفاوت مواقف الاتّجاهات البحثيّة نظير إتّجاه التّفكيک[1] والاتّجاه الفلسفي.

٢ – ١ –٤. **المحدوديّة** : المثير في الأمر أنّ بعض الدّارسين يعارضون الابحاث التي تحاول معالجة مسألة محدودة؛ وهذا ناشئ بالتأكيد عن غياب الرّؤية المنهجيّة.

٢ – ١ –٥. **أن تتناسب ومؤهّلات الباحث.**

---

[1] – التّفكيک منهج من جوانب التّراث الكلامي عند المسلمين، فحواه الفصل بين المستويات الدلاليّة السّيميائيّة، والفلسفيّة والعرفانيّة خلال معالجة النصّ الدّيني، والتّأكيد على اعتماد القراءة الدلاليّة اللّغويّة وحسب. يجدر الذكر بأنّه لا علاقة لهذا باتّجاه جاك دريدا النّقدي الذي ظهر إلى جانب عدّة اتّجاهات أخرى فيما عرف بما بعد البنيويّة في فرنسا. المدرسة التفكيكيّة هي مدرسة فكريّة شيعيّة، أسّسها مهدي الأصفهاني، وقد اتّخذت هذه المدرسة من مدينة مشهد الإيرانيّة منطلقاً لها، ومن مدينتي قم وأصفهان فروعًا لأفكارها. من أهمّ مرتكزات المدرسة التفكيكيّة :

– تجاوز مفاهيم وتعريفات وأصول الفلسفة وعدم إدخالها في فهم النصّ الدّيني.

– الرجوع إلى أهل اللّغة لفهم معاني المفردات اللغويّة.

– الرجوع إلى النّبي وأوصيائه وحدهم في فهم متشابهات القرآن والتّأويل والبطون.

– الاعتماد على كاشفيّة العقل والعلم. (محمدرضا حكيمي، **مكتب تفكيک، (مكتب التفكيک) كيهان فرهنگى**، سنة التاسعة، العدد١٢، اسفند ١٣٧١)

٢ – ١ –٦. أن تقع على سلّم الأولويّات : ينبغي للباحث أن يستوعب الدّوائر التي تتطلّب البحث في المجالات العلميّة.

٢ – عمليّة طرح المسألة :

إنّ الخطوة الأكثر تأثيرًا في عمليّة البحث المتمحور حول المسألة، أي تحديد السّبل والمعوّقات، والاجابة على أسئلة من قبيل :

– ما هي الخيارات الكفيلة بتجنيب الباحث ما لا ينبغي له فعله ؟

– ما هي القواعد الاستراتيجيّة في البحث الدّائر حول المسألة ؟

– كيف يمكن صياغة مسألة البحث وبلورتها ؟

– ما هي الأخطاء التي تعانيها هذه المستويات من البحث وكيف لنا أن نتجنبها ؟

هناك ستّ خطوات سنوردها كما يلي :

٢ – ١. مواجهة المشكلة : كلّ بحث دائر حول المسألة حصيلة المواجهة بين الباحث ومشكلة محدّدة؛ أمّا الهروب من المشكلة وتخطّي المسائل من خلال أساليب متنوّعة بدلًا من معالجتها، فهو عامل أساسي للاتّجاه نحو المتابعة الدّائرة حول الموضوع.

٢ – ٢. تحويل المشكلة الى مسألة : التسرّع والتّساهل وتجنّب مشاق البحث، ثلاثة مواضيع تودّي بالمرء بعد مواجهة المشكلة إلى الإسراع في معالجتها قبل استيعاب طبيعة المسألة وأبعادها. هذا خطأ منهجي نعبّر عنه بالقفز من المشكلة إلى الحلّ. إنّ ثمّة فرقًا بين المشكلة والمسألة، الثّغرات والمشاكل تمثل أوضح تجليّات الظّاهرة وأبسطها.

ومن مؤشّرات وجود المشكلة ظهور الاضطرابات وغياب الاستقرار والتّوازن إلى جانب الغموض و... الخ. غير أنّ ذوي الخبرة لوحدهم قادرون على رصد المسألة ورؤيتها في مستوى معمّق دون تجاوز المستوى السّطحي للموضوع (المشكلة).

إنّ المشكلة أمر عامّ غامض غير محدّد، ولهذا فإنّه لا يمكن إخضاعه للبحث، ولذلك فهي غير محدّدة وتتطلّب دراستها أن نتساءل :

- ما هي المسألة في ذلك تحديدًا ؟

إنّ مراجعة الأخصائيّ في حالات كهذه، تستهدف تحديد طبيعة المسألة وبالتّالي دراستها واختبارها وعلاجها. ينبغي أن تعمد إلى مقاربة المسألة وتصويرها على نحو يؤدّي إلى وضوحها الكامل وتحديدها وتمييزها وجعلها ممّا يمكن بحثه في الخطوات التّالية على أساليب وتحويل المشاكل إلى مسائل.

٢ – ٣. التّحليل : تتكوّن المسألة أحيانًا من عدّة مسائل تتباين بطبيعتها، رغم الإتّساق في بنيتها وشكلها، وهذا ما يؤدّي إلى غموضها وتعقيدها؛ فتتكوّن من سؤالين يتّصل أحدهما بهدف الفاعل والآخر بهدف الفعل. وهذا هو الحال مع السّؤال بـ "لِمَ" الذي يتركّب من سؤالين :

ما هو السّبب "التّفسير" ؟

و"ما هو الدّليل "التّبرير والإثبات" ؟[1]

إنّ واحدًا من أساليب مقاربة المسائل، تحليل المسالة إلى مسائل مجدية كي يتبيّن على نحو دقيق، أيّ المسائل هي محور للبحث بين المجموعة المأخوذة بنظر الاعتبار.

لقد اشتهر علماء اصول الفقه المسلمين ببراعتهم في تحليل المسائل المركّبة، وهم يستخدمون أساليب متعدّدة يمكن الاستفادة منها في ذلك. كما إنّ علماء الكلام عرفوا بالدّقة والفطنة في هذا المجال، في القرنين الرّابع والخامس للهجرة. نستعرض هنا ثلاثة من الحالات الهامّة على نحو موجز :

---

[1] – ابن سينا، **الإشارات والتّنبيهات**، تعليق؛ سليمان دنيا، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٦٦هـ.، ص ٤٥– ٤٨ في الهامش.

٢ – ٣ – ١. **السّؤال بـ ِلمَ)** : إنّ أداة الاستفهام هذه تدلّ بالاشتراك اللّفظي، على التّساؤل حول السّبب والتّساؤل حول الدليل والمبرّر.

هذان سؤالان متباينان منطقيًا ومفهوميًا، يؤدّي عدم التّمييز بينهما إلى حصول مغالطة. يتّصل السّؤال عن السّبب بعالم الواقع وهو يستهدف التّفسير، بينما التّساؤل حول الدليل يتّصل بالذّهن وعالم الإثبات[١]، وهو يستهدف التّبرير كما أنّ السّؤال بـ ِ(لمَ) بمعنى التّبرير يمكن أن يستبطن مسألة منطقيّة وأخرى نفسيّة.

٢ – ٣ – ٢. **تعدّد الجهات** : يتكوّن السّؤال أحيانًا من أسئلة متعدّدة؛ يمكن أن يشمل التّساؤل حول الهدف، سؤالين يتّجه أحدهما نحو هدف الفاعل، والآخر إلى هدف الفعل.

يمكن أن ينطوي التّساؤل حول الصّدق والكذب، على سؤالين؛ أحدهما اخلاقي والآخر منطقي. إذ من الممكن أن يكون السّؤال متّجهًا إلى صدق الخبر، كما يمكن أن يتّجه إلى صدق المخبِر. مثلًا (التحرّر من ...) و ثمّة (التحرّر في...) وعندما تكون جهة السّؤال مضافة، فإنّ احتمال التّركيب يتضاعف؛ فهل جهتها مفهوميّة أو مصداقيّة ؟

---

١ – عالم الثّبوت يعني عالم الواقع ونفس الأمر وفي علم اللّه وارادته، كأن تتعلّق ارادة اللّه بالصّلاة لما فيها من المصلحة الملزمة، ولا يعلم ما في عالم الثّبوت إلاّ اللّه والرّاسخون في العلم. ولكن عالم الاثبات يعني عالم الأدلّة الظاهريّة، فانّة بعد تعلّق ارادة اللّه بالصّلاة يأمر بها ويقول بعده (صلّ) فهذا الخطاب يكون في عالم الاثبات. نكشف ما في عالم الثّبوت من المجهولات والمغيّبات من خلال ما في عالم الاثبات من المعلومات، أي من الأدلّة الظاهريّة نستدلّ على ما في الواقع وفي علم اللّه، من تعلّق ارادته جلّ جلاله، والتّلازم بين الثبوت والاثبات كالتّلازم بين الباطن والظاهر، فهما من المتضافين كالعلّة والمعلوم.

إنّ تعددًا من قبيل تقسيم حالات الموضوع إلى حالة لا بشرط، وأخرى بشرط شيء، وثالثة بشرط لا،[1] من المواطن التي يمكن أن تودّي إلى تعدّد في جهات السّؤال.

٢ – ٣ – ٣. الإبهام في البنية : وهذا المغموض إمّا أن ينشأ عن الإبهام في المفردات، كما أشرنا في الحالتين، أو ينشأ عن الإبهام في بنية الجملة. يسمّى هذا النّمط من الغموض في المنطق الكلاسيكي بمغالطة المماراة[2]؛ بينما يعبّر عنها في المنطق الحديث بالإبهام في البنية.[3] وهذا اللّون من الإبهام يؤدّي إلى منح الجملة دلالات متعدّدة ودمج أسئلة متعدّدة في جملة استفهاميّة واحدة.

إنّ تعدّد الضّمير يمثّل واحدًا من أسباب هذا الإيهام؛ القضيّة المثيليّة السّالبة في قولهم : هل الإنسان مجبرًا كالحيوان ؟ ومن العوامل الأخرى في ذلك تعدّد

---

[1]- يقسّم الماهيّة إلى أقسام ثلاثة :

أ. مطلقة وهي لا بشرط، مثل الإنسان من دون أيّ شرط، من وجود أو عدم الوجود أو غيره.

ب. مخلوطة وهي بشرط الشّئ، مثل الإنسان على شريطة الوجود.

ج. مجرّدة وهي بشرط لا، مثل الإنسان على شريطة عدم الوجود.

فسّر تقسيم الماهيّات الملحوظة إلى الأقسام الثّلاثة بوجه آخر، وهو أنّ التّقسيم ليس بحسب الماهيّة في مقام ذاتها، بل التّقسيم باعتبار مرتبة وجودها. وإن شئت قلت : الماهيّة الموجودة إذا قيست إلى أيّ شيء فإمّا أن يكون الشّئ لازم الالتحاق بها، كالتحيّز بالنّسبة إلى الجسميّة، وإمّا أن يكون ممتنع الالتحاق، كالتجرّد عن المكان بالنسبة إليها؛ أو يكون ممكن الالتحاق، كالبياض بالنّسبة إلى الجسم. فالأوّل هي الماهيّة بشرط شيء، والثّاني هي الماهيّة بشرط لا، والثّالثة هي الماهيّة لا بشرط. فانّ الحيوان على فرضه لا بشرط جنس، وعلى فرضه بشرط لا مادّة ، وعلى فرضه بشرط شيء نوع؛ والمفهوم منه في كلّ موطن، يغاير المفهوم منه في موطن آخر. (سبحاني، جعفر، **إرشاد العقول إلى مباحث الأصول**، موسّسة امام الصّادق، قم، ٤ مجلّدات، الجزء الثّاني، ص ٦٨١)

[2] – أي المجادلة ومغالطة «وضع ما ليس بعلّة علّة».

[3] – amphibology

العامل والمعمول النحويّين والغموض في متعلّقهما، والاستثناء والغموض في تعلّق الصّفة بالمضاف والمضاف اليه، إلى جانب تعدّد التّخصيص في الأحكام العامّة ... الخ.[1]

قراءة إضافيّة : المغالطة

المغالطة في إحدى التّقاسيم:انواع المغالطات المعروفةهي: الإشتراك في الأسماء، المماراة، فساد المادّة، فساد الصّورة، إزالة أو إضافة القيود، ايحاء منعكس، المصادره إلى المطلوب.

نقرأ في البرهان الثّالث : ترجع جميع المغالطات إلى أخذ ما ليس بعلّة كعلّة. في المماراة نفس التّركيب يحتمل وجوهًا، فإذا دلّت على قصد الصّادق للمتكلّم؛ فليس هناك خطأ؛ ولكن إذا عبّرت على خلافه، فعلّة الخطأ، أخذ تفسير بعلّة حيث لا تدلّ على المقصود. ففي "تركيب المفصّل" أخذت الحكم على الأجزاء المنفردة كعلّة للمجموع؛ وفي «تفصيل المركّب» على العكس. فهنالك الأمثلة :

١ – **المغالطة في الإشتراك في الأسماء** : النّفس بسيطة – البسيط مادّي. فاستعملت البسيط في معنيين غير مركّبين من المادّة والصّورة والعنصر.

٢ – **المماراة** : بقرة المستشار مستشارة الأبقار. فلم نعلم ما المراد، ذمّها أم مدحها ؟ فعلة الخطأ هناك تركيب ذو وجهين.

٣ – **تركيب المفصّل** : الجسم بالقوّة وبالفعل. كلّ ما يكون بالقوّة وبالفعل فهو متناقض. فجزء من الجسم بالقوّة وجزء منه بالفعل، فالحكم الذي يصدق بالإنفراد على الأجزاء، يتعمّم بالإجتماع على الجسم فبالنتيّجة وقع التّناقض.

٤ – **تفصيل المركّب** : بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وليس بشيء منها. فحكم "كلّ الأشياء وليس بشيء منها"في المجموع مع «واو» العطف صحيح، ولكن كلاهما منفردتان كاذبتان.

٥ – **ايحاء منعكس** : يمتلك كلّ عاقل قوّة المحاسبة – فكلّ من يمتلك قوّة المحاسبة عاقل. فجعلنا عموميّة حمل اللّازم على الملزوم، علّة لعموميّة حمل الملزوم على اللّازم.

٦ – **أخذ ما بالعرض مكان ما بالذّات** : الأب والإبن متضايفان – المتضايفان من المضافات. فجعلنا حكم التّضايف التي كانت تتعلّق بالذّات على الأب والإبن، بالعرض

---

[1] – راجع القراءة الإضافيّة التّالية المذكورة مع الأمثلة.

على الأب والإبن. فالتّضايف التي ينبغي أن تكون علة إدخال الأبوّة والبنوّة في مقولة المضاف، هي في الأحرى جعلت علة إدخال الأب والإبن في هذه المقولة.

٧ – **المصادرة إلى المطلوب** : ليست أيّة حقيقة دينيّة حقيقة مطلقة. لأنّ الحقائق الدينيّة مشكّكة ذات وجوه ودرجات حيث يمتلك أتباع كلّ دين قسمًا منه. ففي هذا الإستدلال جعلت الشّيء علّة لنفسها، لأنّ :

أ) الحقيقة الدينيّة غير مطلقة.

ب) فكلّ غير مطلق ذو وجوه.

ج) فتجعل كلّ ذي وجوه قسم من الحقيقة لدى المدرك.

فليس أيّ ثمرة من الحقيقة حقيقة مطلقة.

فليست أيّة حقيقة دينيّة، حقيقة مطلقة.

فالنّتيجة هي صغرى القياس (الف). هذا بغض النّظر من عدم وجود تلازم بين غير المطلق وذي الوجوه.

٨ – **مغالطة سوء اعتبار الحمل** : لا نهاية لسلسلة الأرقام كميّةً – كلّ ما لا نهاية لها كميّةً مستحيلة. حذف القيد بالقوّة من حدّ الوسط في الصّغرى، وجعل المطلق الذى لا نهاية له كميّةً علّة الاستحالة لسلسلة الأرقام. فعندما نجعل القيد بالقوّة (العلّة الواقعيّة) يتغيّر المعلول الذي كان سابقًا هو النّتيجة.

يناسب هذا المثال في خطأ المادّة. فقبل اضافة القيد بالقوّة، تكون المغالطة في الصّغرى سوء اعتبار الحمل ومغالطة الكبرى، فساد للمادّة، لأنّ الكبرى لم تكن صادقة في عموميّتها. فبعد اضافة القيد، تصدق الصّغرى وتصبح الكبرى صحيحة بشكل "لم تكن أيّ كميّة ما لا نهاية لها مستحيلة بالقوّة". تزويد كلمة بالقوّة بمفردها لرفع الخطأ في الصّغرى لا يكفي لتصحيح الكبرى، ويكفي وجود مغالطة واحده لحصول الخطأ على النّتيجه.

٩ – **فساد الصّورة** : آكلو لحوم البشر غالبًا أميركيّون – يمشي آكلو لحوم البشر غالبًا على الأطراف الأربعة. يتكوّن الخطأ في القياس من مقدّمتين جزئيّتين؛ لأنّ ليس هناك قيد "كلّ" في المقدّمتين؛ و"غالبًا" تعني في الواقع "البعض" فهيئه الخطأ هي علّة الخطأ في النّتيجة.

١٠ – **جمع المسائل في مسأله واحدة** : تمتلك هذه المغالطة صور كثيرة ومغالطات وسيعة. رغم هذا تكون معرفتها بسيطة جدًا؛ لأنّ قيد الوحدة هي من علاماتها الواضحة.

الأرقام بمفردها كميّات منفصلة – كلّ كميّة منفصلة عرضيّة – فالرّقم بمفرده عرضيّ.

أ) الأرقام أعراض.

ب) ليس هناك أعراض غير الأرقام.

فعدد القضايا والحدود كثير؛ ويعني أنّه بالاضافة إلى الصّغرى والكبرى، زيدت هناك قضيّة أخرى؛ ويجب أن تتركّب العلّة من قضيّتين لا أكثر. ينبغي التنبّه هنا بأنّ "مغالطة أخذ ما ليس بعلّة كعلّة" ليست مستقلّة وتتحوّل غالبًا إلى سائر أنواع المغالطة، وهذا أمر واضح.

في تفصيل آخر : تكون المغالطة المنطقيّة خطأً في التّدليل، مقصودًا أو غير مقصود. فعندما نحاول إقناع أحد بوجهة نظرنا فإنّنا ولا شك سوف نسوق له كلّ الحجج المنطقيّة اللّازمة لإقناعه أو إفحامه. فإذا كانت هذه الحجج أو الأدلّة في غير محلّها أو اعتمدت على مقدّمات غير سليمة، فإنّها تصبح حججًا غير مقبولة، وتعدو مجرّد مغالطة. مثلاً عندما يقف محامٍ أمام هيئة المحكمة قائلاً : "إنّ المتّهم بالقتل عفيف اللّسان طاهر اليد" يكون قد وقع في فخّ المغالطات المنطقيّة. لأنّ دفاعه بهذه العبارات الرنّانة لا يدفع التّهمة عن المتّهم، في حال ثبت تورّطه في القتل فعلاً.

ولعلّ أكثر ما يظهر الآن من احتجاج العلمانيّة أنّ "سوء العلاقة بين الدّين، والسّياسة لا يقضي إلاّ بفصل الدّين عن السّياسة"، فهذا تجاهل للمطلوب، ولا يعني وجود علاقة سيّئة يجب أن نقطعها، فيكفي مثلاً أن نعيد تنظيم هذه العلاقة.

كذلك عندما يحاول أحد العلمانيّين أن يقنع إسلاميًا بأنّ دخول الدّين في السّياسة فيه ضرر على كليهما، يبادر الإسلاميّ بالقول إنّ الأغلبيّة ... هي الافضل، وهنا الخطأ، فعندما تختار الأغلبيّة رئيسًا ويصبح دكتاتورًا فليس كلّ ما تقرّه الأغلبيّة صحيح.

المغالطات المنطقيّه هي حوارات تهدف إلى تصيّد الاخطاء بشكل منطقي؛ بحيث يثبت كلّ طرف صحّة حديثه من خلال اثبات خطأ الطّرف الآخر. فالعقل البشري لم يتكيّف مع استخدام المنطق بكلّ دقّة، فهناك أفخاخًا منطقيّة تنجذب عقولنا إليها، فيجب أن نكون واعين بها ونحاول أن نتفاداها.

هناك ميل إلى البدء من النّتيجة قبل بناء حجّة تدعم هذه النّتيجة، وأغلب النّاس سيستخدم المغالطات المنطقيّة ليبني حجّة تؤدّي إلى النّتيجة المطلوبة. في الحقيقة، إذا كانت النّتيجة غير صحيحة فيجب استخدام إمّا معطيً خاطئ أو مغالطة منطقيّة لبناء حجّة تؤدّي إليها. تذكّر، إنّ الحجّة السّليمة لا يمكن أن تؤدّي إلى نتيجة خاطئة ابدًا. لذلك يجب أن نتعلّم كيف نتعرّف على المغالطات المنطقيّة لكي نقدّم حججًا منطقيّة سليمة وقويّة.

فمن المغالطات المنطقيّة الشائعة :

١ - عدم التّرابط :

يطلق عندما تكون نتيجة الحجّة لا تتبع بالضّرورة من المعطيات، أو بمعنى آخر قد تكون النّتيجة صحيحة أو غير صحيحة، ولكن تكون الحجّة غير سليمة؛ لأنّ هناك عدم ترابط بين المعطيات والنّتيجة. وكلّ المغالطات المنطقيّة تشترك بعدم التّرابط، مثلاً :

عمّار يعيش في عمارة كبيرة؛ إذًا، عمّار يعيش في شقّة كبيرة. فالعيش في عمارة كبيرة لا يعني العيش في شقّة كبيرة، فالعمارة الكبيرة قد تحتوي على شقق صغيرة.

٢ – التّحريف :

هو تحريف حجّة الطّرف الآخر لتسهيل الانتقاد ولجعل حجّتك تبدو قويّة وسليمة، مثلاً : قال حسين : "يجب أن نزيد ميزانيّة التّعليم والصّحة." وردّ علية أحمد : "أستغرب من كره حسين للوطن لدرجة استعداده لترك الوطن بدون أيّ دفاع بتقليصه لميزانيّة الجيش."

فأحمد لا يملك أيّ انتقاد هادف لحجّة حسين، لذلك استخدم حجّة التّحريف للهجوم على حسين وجعل حجّته تبدو أقوى من حجّة حسين.

٣ – حدث بعده، إذًا هو سببه :

لربّما تكون هذه المغالطة الأكثر شيوعًا، فهي تتبع شكلاً بسيطًا وهو س حدث قبل ص، إذًا، س سبّب ص، وهكذا يُفترض السّبب والنّتيجة لحادثتين فقط لحدوثهما مؤقتًا بعد بعض، مثال : مستندًا على رسم بياني، وضح أحمد أنّ درجة حرارة الأرض كانت ترتفع طيلة مدار القرن السّابق، وبنفس الوقت يقلّ عدد القراصنة؛ إذًا، القراصنة يحفظون برودة المناخ والإحترار العالمي ما هو إلاّ خدعة. ولكن في الحقيقة ربّما يكون هناك حادثة ثالثة تسبّب الحادثتين أو سبب حدوث الحادثتين مجرّد صدفة.

٤ – إلتماس المشاعر :

وهي محاولة إثارة المشاعر بدلاً من تقديم حجّة سليمة وقويّة. من المهمّ الملاحظة أنّ في بعض الأحيان قد تثير حجّة سليمة منطقيًا بعض المشاعر، أو أن تحتوي على جانب مشاعري، ولكن تحدث المغالطة عندما تستخدم المشاعر بدلاً من الحجّة، أو لإخفاء الضّعف في الحجّة، مثلاً : أحمد يحاول بيع جهاز محمول لحسين، "هذا الجهاز لم يصنع منه إلاّ ألف جهاز، الكلّ سيحسدك على امتلاكك له، الكلّ سيريد أن يكون مثلك، لا يملك هذا الجهاز إلاّ من أراد التميّز". ففي المثال، أحمد لم يحاول إقناع حسين بخصائص الجهاز، أو ميزاته عن الأنواع الأخرى، بل حاول إقناعه بإثارة مشاعره.

٥ – الشّخْصَنة :

مغالطة الشخْصَنة تحدث عندما يُرد على حجّة بالهجوم على صاحب الحجّة بدلاً من الحجّة نفسها، مثلاً : بعد ما قدّمت ساره حل مقنع يقضي على مشكلة الطّلاق، سأل أحمد الجمهور، "هل تصدّقون ما تقوله هذه المرأة ؟ فهي لا تملك شهادة جامعيّة وغير متزوّجة." يجب التّنويه أنّ الإهانة بحدّ ذاتها لا تعتبر مغالطة منطقيّة، ولكن إذا أُطلق على الحجّة أنّها غير صحيحة، فقط لأنّ صاحب الحجّة لدية صفة معيّنة فتكون مغالطة. وتستخدم هذه المغالطة لإضعاف حجّة الخصم بدون مناقشة الحجّة نفسها.

٦ - الاحتكام إلى سُلطة :

هذا النّوع من المغالطات هو الأسهل في التّعرف عليه، و يحدث عندما يتمّ إسناد النّتيجة على حكم شخص أو أشخاص خبراء بموضوع الحجّة، مثلاً :

أستاذي في الجامعة صاحب شهادات عِلميّة ولدية خبرة بالموضوع، يقول أنّ الأرض مسطّحة؛ إذًا، الأرض مسطّحة. غالبًا ما تحتوي الحجّة على تأكيد عدد سنين خبرة صاحب السُلطة، أو ذِكر مستواه التعليمي، أو شهاداته. وعكس هذه المغالطة أيضًا يستخدم : "إنّ صاحب الحجّة لا يمتلك (الخبرة، التّعليم، الشّهادات)، اذًا حجّته لابدّ من أن تكون خاطئة". وهذا الاستخدام يدخل تحت مغالطة الشَخْصنة.

في التّطبيق قد تكون هذه المغالطة معقدّة من حيث التّعامل معها، فإنّ من الجائز أن يؤخذ بعين الاعتبار خبرات أو شهادات الشّخص عندما نحللّ حجّته، أيضًا إجماع العلماء في الموضوع له سُلطة لابدّ من أن تؤخذ بعين الاعتبار. الاحتكام إلى سُلطة لا يجعل الحجّة صحيحة، ففي النّهاية كلّنا بشر.

هناك أيضًا انواع عدّة تحت هذه المغالطة، منها الاحتكام إلى الشعبيّة؛ وهي بناء حجّة على معطى : "إنّ الأكثريّة يفعلون أو يصدقون شيئاً مّا، فلابدّ أن يكون هذا الشيء صحيحًا". مثلاً : الكلّ يعتقد أنّ الشّمس تدور حول الأرض؛ فالشّمس تدور حول الأرض.

ونوع آخر هو الاحتكام إلى الأفكار المتوارثة؛ وهي بناء حجّة على معطى : "إنّه متعارف عليه منذ زمن قديم، إذًا لابدّ من أن يكون صحيحًا. مثلاً : استخدم الصينيّون الوخز بالإبر في معالجة الأمراض منذ أكثر من ألفي سنة؛ إذًا، العلاج بالإبر يشفي الأمراض. وطبعًا هناك دراسات علميّة كثيرة تثبت أنّ العلاج بالإبر لا يشفي الأمراض.

٦ - مغالطة المغالطة : هي افتراض أنّ استنتاج حجّة مّا خاطئ لسبب احتوائها على مغالطات منطقيّة أو كونها غير سليمة. ففي بعض الأحيان تُربح المناقشة ليس بسبب صحّة حجّة الفائز، ولكن بسبب أنّ الفائز هو الأفضل في النّقاش وبناء الحجج.

مثلاً : قال صالح لحسين، "أستاذي في المدرسة يقول أنّ التّدخين يضرّ بالصّحة، فيجب أن تقلع عن التّدخين،" وردّ حسين عليه، "استخدمت مغالطة الاحتكام إلى سُلطة؛ إذًا، حجّتك خاطئة والتّدخين لا يضرّ بالصّحة." فيجب علينا أن لا نتسرّع بالحكم على عدم صحّة الاستنتاج بسبب سوء تقديم الحجّة أو احتوائها على مغالطات منطقيّة.

٧ – سدّ الذّرائع :

هو ربط حدوث أمرٍ مّا بحدوث عدد من الأمور التي تنتهي بحدث سلبي، ولذلك يجب عدم حدوث الأمر الأوّل، مثلاً : يقول حسين لصالح : "إن لم تدرس يوم الخميس لن تحصل على درجات عالية، وإن لم تحصل على درجات عالية لن تستطيع دخول الجامعة، وإن لم تستطع دخول جامعة لن تستطيع أن تجد وظيفة، وأن لم تستطع أن تجد وظيفة سوف تكون بوّاب مدرسة. هل تريد أن تكون بوّاب مدرسة ؟ إذًا، يجب أن تدرس يوم الخميس." هذه المغالطة تستخدم لتتجنّب مناقشة الحجّة وتحول الانتباه إلى أمور أخرى افتراضيّة.

٨ – وأنت كذلك :

هذه المغالطة تدخل تحت مغالطة الشَخْصنة، ولكن تستخدم كثيرًا؛ لذلك تستحقّ أن تكون في جزء خاصّ بها، فهي تحدّث عند تفادي مناقشة الحجّة ومحاولة عكسها على صاحب الحجّة.

مثلاً : دكتور مدّخن لمريض : "يجب أن تقلع عن التّدخين." ردّ المريض : "كيف اسمع بنصيحتك وأنت مدّخن". فيعتقد المريض أنّ حجّة الدّكتور خاطئة، لأنّ الدّكتور منافق.

٩ – حجّة من جهل :

هي انتقاد صحّة أمرٍ مّا لعدم وجود أدلّه تثبت صحّته. مثلاً : قال صالح : "لا توجد أدلّة علميّة تدعم تأثير الظّواهر الفلكيّة بحياة الأفراد على الأرض، إذًا التّنجيم خرافة." وردّ حسين : "في وقتنا الحالي لا نملك المعرفة الكافية لنستطيع تفسير كلّ الظّواهر الفلكيّة، فلا نستطيع أن نثبت أنّ التّنجيم خرافة ولذلك، التّنجيم ليس خرافة."

تستخدم هذه المغالطة أحيانًا لنقل عبء الإثبات من صاحب الحجّة إلى الطّرف الآخر، ففي المثال نقل حسين عبء إثبات أنّ التّنجيم خرافة وربطه بوجوب معرفة كلّ ما يمكن معرفته عن الظّواهر الفلكيّة، بدلاً من إثبات تأثير الظّواهر الفلكيّة على حياة الأشخاص.

ومن الحالات الخاصّة لهذه المغالطة هو الخلط بين الذي لا نستطيع تفسيره مع غير القابل للتّفسير، فعدم وجود تفسير لظاهرة مّا لا يعني أنّنا لا نستطيع تفسيرها في المستقبل أو كونها ظاهرة غير قابلة للتّفسير وخارجة عن الطّبيعة، فكان يُعتقد أنّ كسوف الشّمس هو

ظاهرة غير قابلة للتّفسير ولكن في وقتنا الحالي يوجد تفسير علمي لها، بل نستطيع أن نتنبأ بالكسوف قبل حدوثه.

١٠ - اِلتماس الأعذار :

هو تقديم أعذار عند إدراك عدم صحّة الحجّة، فبدلاً من المصداقيّة مع النّفس والاعتراف بالخطأ نخلق أعذارًا لنستمرّ بتصديق معتقداتنا. مثلاً :

حسين يدّعي بأنّه يستطيع قراءة الأفكار، لكن بعد اختبار "قدراته" بواسطة اختبارات عِلميّة صارمة، اختفت قدراته. برّر حسين أنّ سبب اختفائها هو : "يجب أن تؤمن بقدراتي لتعمل."

فخلق الأعذار لتبرير عدم الصّحة أسهل علينا من الاعتراف بالخطأ. وهذه المغالطة تستخدم بكثرة عند مناقشة من يؤمنون بالمؤامرات.

١١ - خلط الارتباط بالأسباب :

هذه المغالطة هي الشّكل العام لمغالطة حصل بعد حدث آخر، إذًا هو سببه، فارتباط حدوث أمرين لا يقتضي بأنّ أحدهما يسبّب الآخر. مثلاً : عند ارتفاع مبيعات المثلّجات، يزداد معدّل الوفيات بسبب الغرق إذًا، أكل المثلّجات يسبّب الغرق. فالمثال لا يأخذ بعين الاعتبار الوقت والحرارة مع مبيعات المثلّجات، فالمثلّجات تزداد مبيعاتها في الأشهر الحارّة، وتنخفض مبيعاتها في الأشهر الباردة، وفي الأشهر الحارّة تكثر النّشاطات المائيّة مثل السّباحة والغوص ولذلك، زيادة هذه النّشاطات هي سبب زيادة معدّل الغرق وليست المثلّجات. واحتمال آخر، أن يكون ارتفاع معدّل الحدثين مجرّد صدفة.

لإثبات أنّ هناك علاقة سببيّة بين حدثين لابدّ من تحليل عدّة أحداث مرتبطة بهما، فإذا كانت العلاقة سببيّة فالزّيادة في الحدث الأوّل تُنتج الزيادة في الحدث الثّاني. مثلاً، لوحظ أنّ التّدخين مرتبط مع الإصابة بسرطان الرّئة، فصرّحت شركات التّبغ أنّ هذه مغالطة منطقيّة؛ فالارتباط لا يعني التسبّب. فقالت الشّركات أنّ هناك "عامل س"، عامل آخر هو المسبّب لكلّ من سرطان الرّئة والتّدخين. ولكن إذا كان التّدخين يسبّب سرطان الرّئة، إذًا كلّما طالت مدّة التّدخين ازداد خطر الإصابة بالسّرطان والتوقف عن التّدخين يجب أن يقلّلّ خطر الإصابة بالسّرطان. تدخين السّيجارة بدون فلتر يجب أن يزيد خطر الإصابة بالسّرطان، والخ. إذا كانت كلّ هذه الارتباطات صحيحة، إذًا افتراضنا أنّ التّدخين يسبّب سرطان الرّئة يكون الافتراض الأكثر احتماليّة ولا تكون مغالطة منطقيّة. إذًا استنتجنا من هذه الأدلّة أنّ التّدخين يسبّب سرطان الرّئة.

١٢ - مغالطة الاتّصال :

وهي الاعتقاد بأنّ عدم وجود خط فاصل بين طرفين متّصلين يعنى أنّ الطّرفين لا يمكن التّفرقة بينهما، فتعني هذه المغالطة أنّ وجود الحرارة والبرودة على نفس خطّ الدرجات المئويّة يعني عدم وجود درجة حرارة يمكن وصفها بأنّها حارّة أو باردة.

مثال للمغالطة : لا يمكن وصف حسين بالصّلع، فحسين ليس أصلع الآن. لكن، إذا سقطت شعرة واحدة من حسين لن تجعله أصلعًا. وإذا سقطت شعرة ثانية، أيضًا لن تجعله أصلعًا. فلذلك، مهما كان عدد الشّعر المتساقط من حسين، لا يمكن وصفه أصلعًا.على حسب هذه المغالطة، التغيّر في الحال لا يمكن أن ينتُج من التغيّر في العدد، فلا يوجد فقراء، أغنياء، أطفال، مسنّين، والخ. فهناك حالات معقولة واضحة وحالات غير معقولة واضحة؛ بحيث أنّ أمرًا مّا يمكن وصفه بأنّه ينتمي أو لا ينتمي لمجموعة محدّدة من الأمور على حسب خصائصه. فلو كان تعريف الخصائص غامضًا، فباستطاعتنا تعيين الحالات على حسب هذه الخصائص الغامضة، ووجود حالات صعبة أو مثيرة للجدل لا يمنعنا من التّفرقة يبن كلّ أفراد المجموعة.

١٣ - التّقسيم الخاطئ :

وهو تقليص عدّة احتمالات لشيء مّا إلى احتمالين فقط، فهو إلى حدٍ مّا عكس مغالطة الاتّصال، فهو يستخدم لتبسيط خطّ اتّصال له عدّة نقاط إلى طرفين فقط، مثل درجة الحرارة والقول أنّ هنالك إمّا برودة أو حرارة مع تجاهل درجات الحرارة المتوسّطة. تستخدم هذه المغالطة أحيانًا لإجبار الخصم على اختيار عدّة خيارات منتقاة وإيهامه بعدم وجود خيارات أخرى، مثلاً في خطاب لرئيس حكومة عن الحرب ضدّ الإرهابيّين : إمّا أن تكون معنا، أو تكون مع الإرهابيّين. فالمثال يتجاهل الخيار المحايد : "لست معك ولا مع الإرهابيّين".

١٤ - مغالطة الشّخص الذي... :

هي استخدام قصص وتجارب شخصيّة (الشّخص الذي حدث له) كبرهان لصحّة أمرٍ مّا، أو استخدام أدلّة لم تجمع بطريقة علميّة في الحجّة. مثلاً : قال رضا : "جدّي يدّخن ٣٠ سيجارة في اليوم، وعاش ٩٧ سنة - فلا تصدّق كلّ شيء تسمعه." فيجب أن نتذكّر أنّ التّجارب الشخصيّة تكون حالة واحدة من حالات كثيرة، فلا نستطيع معرفة ما إذا كانت هذه الحالة شاذّة أو مشابهة للحالات الأخرى. في المثال، هناك دراسات علميّة إحصائيّة تثبت أنّ التّدخين يسبّب سرطان الرّئة؛ وبناءً على البيانات نستنتج أنّ جدّ رضا يعتبر حالة شاذّة، أو مصداقيّة رضا مشكوك بها، ولكن في أمور أخرى يصعب التّفريق بين الحالات الشاذّة وغير الشاذّة لعدم توفّر بيانات كافية.

عند التّفكير في هذه الحجّة، نجد أنّ أغلب هذه التّجارب هي حالات شاذّة، فبسبب الانحياز التّأكيدي معظم التّجارب التي يتذكّرها الإنسان هي إمّا تجارب داعمة لأفكاره وافتراضاته أو تجارب شاذّة عن المتعارف عليه. فيجب استخدام طرق علميّة إحصائيّة لدارسة الحالات للتّفريق بين التّجارب الطبيعيّة والتّجارب الشاذّة.

١٥ – الحجّة الدائريّة :

هي استخدام الاستنتاج المراد الوصول إليه كأحد المعطيات. مثلاً : أنجح محافظ على الإطلاق هو المحافظ حسين لأنّه أفضل محافظ بتاريخ المدينة. بمعنى آخر، سبب نجاح حسين هو أنّه ناجح. عادةً مّا يصاغ الاستنتاج بطريقة أخرى ويقدّم كمعطى قد لا يبدو مشابهًا للاستنتاج من الوهلة الأولى[١]

---

٢ – ٤. تحديد ما تستبطنه المسألة من إيحاء وتلقين :

تتضمّن بعض الأسئله رؤية خاصّة توحي بها للباحث وتلقّنه إيّاها، لا على نحو التّصريح يستغفله ويدفعه إلى التّسليم بها بشكل غير مباشر. وفي أغلب المسائل التي يكون فيها الحكم مردّدًا بين أمرين على مستوى الموضوع أو المحمول تستبطن المسألة افتراض التّقاطع والتّباين بين هذين الأمرين. فلو كان محور البحث مسألة تقول :

ما هو هدف الأنبياء؛ الدّين أم الدّنيا ؟

نجد إنّ هذه مسألة توحى بالتّقاطع بين الدّين والدّنيا، ورغم أنّ التّقاطع هذا هو محور للسّؤال أساسًا، غير أنّه استبطنه وافترضه بمثابة جواب مفروغ عنه.

يمكن في تحديد ما يستبطنه السّؤال، أن نقوم بدراسة ما يتأسّس عليه من مبادئ ومقدّمات ومفروضات ومبادئ تصديقيّة وثمّة دور بالغ التأثير في تحليل

---

[١] – (راجع للمزيد : الطّوسي، محمّد بن محمّد بن الحسن، **أساس الاقتباس**؛ ابن رشد، محمّد بن أحمد بن محمّد؛ **تلخيص السّفسطة**؛ صدر المتألّهين، صدر الدّين محمّد؛ **اللّمعات المشرقيّة في الفنون المنطقيّة**؛ ابن سينا، حسين بن عبدالله؛ الشّفا؛ بدوي، عبدالرحمن؛ **المنطق الصّوري والرّياضي)**

المسألة والإحاطة بما يستبطنه السّؤال، يقع على عاتق فطنة الباحث واكتشافه القضايا التي يقوم عليها السّؤال.

٢ – ٥. تحديد النّمط :

تتنوّع الأسئلة على مستوى أنماط المسائل، ويتطلّب كلّ نمط منها منهجًا خاصًا في البحث. لقد قام العلماء في مدوّنات المنطق وتبعًا لأرسطو، بتقسيم المسائل والموضوعات الرئيسيّة في علوم البرهان وتبويبها وبحثها. فإنّهم قسّموا المسائل الأساسيّة إلى ثلاثة أصناف : مسائل (ما) و(هل) و(لِمَ).[١]

كما قسّموا كلًا منها إلى قسمين، حيث إنّ (هل) تنقسم إلى بسيطة ومركّبة، و(ما) إلى شارحة وحقيقيّة و(لِمَ) إلى ثبوتيّة وإثباتيّة. إنّ هذا التّبويب السّداسي يمثّل في حقيقة الأمر بحثًا في أنماط المسائل.

يكتسب تحديد نمط المسائل أهميّة متزايدة في مجال الأبحاث الدينيّة، نكتفي هنا باستعراض ما هو أكثر فائدة في هذه الأبحاث :

٢ – ٥ – ١. تنقسم المسائل من حيث صلتها بنطاق خاصّ إلى قسمين، فهي ذات أصل واحد وذات أصول متعدّدة. وتتّصل المسألة ذات الأصل الواحد بنطاق خاصّ، ويمكن تحليلها وتفسيرها من خلال أدوات ذلك النّطاق وحسب. المسألة التي نصفها بأنّها متعدّدة الأصول تكون بحاجة إلى أن تبحث من منظور علوم متنوّعة وهي تتّصل بحقل معرفي خاصّ في الوقت ذاته.

٢ – ٥ – ٢. تتقسم المسائل إلى خمسة أقسام من حيث طبيعة دورها : سؤال التّعريف أو مسألة التّعريف، ويتعدّد هذا اللّون من المسائل وفقًا لتعدّد ما يتوقّعه الباحث من التّعريف.

– البحث حول دلالة نصّ معيّن وقراءته، أو مسألة التّأويل.

---

[١] – أسّ المطالب ثلاثة علم   مطلب ما مطلب هل مطلب لم

(السّبزواري، ملاّهادي، اللئالي المنتظمة).

- السّؤال حول الوصف والحكم، أو مسألة الوصف.
- السّؤال حول الأدلّة والتّبرير، أو مسألة الإثبات.
- البحث عن السّبب بمعنى تحديد السّبب والعلّة في إطار قانون عام، أو مسألة التّفسير. وسنتولّى تفسيرها في الفصل التّالي.

٢ – ٥ – ٣. تعدّد المسائل : هناك مسائل تشير إلى الواقع الحسّي التّجريبي، وأخرى نحو الموضوعيّة الميتافيزيقيّة، وثالثة إلى الذّهن والمفاهيم أو عالم اللّغة والألفاظ. عمل الباحثون في اللّاهوت المعاصر على تقديم مقاربات أكثر دقّة للمسائل الايمانيّة، فطرحوا أنماطًا جديدة من المسائل ومن نماذج هذا الإتّجاه الجديد ما قام به غابريل مارسيل[١] من تمييز بين المسألة ذات الصّلة بالأفكار الأوليّة، وتلك التي تتّصل بالأفكار الثانويّة، إلى جانب حديث كيركيغارد،[٢] حول المعرفة الوجوديّة وتمييزها عن العقليّة والتجريبيّة.

٢ – ٦. تحليل البنية المنطقيّة :

لكي نتعرّف على المسألة ونتولّى تحديدها فإنّه من المهمّ للغاية أن نحدّد كونها كليّة أو جزئيّة، معدولة أو محصّلة، وهل تنتمي إلى ما هو بالذّات، أم ما

---

[١] – غابرييل مارسيل (Gabriel Honoré Marcel)(١٨٨٩– ١٩٧٣)، كان فيلسوفًا فرنسيًا ويعتبر واحدًا من أهمّ الفلاسفة الوجوديّين.

[٢] – سورين كيركيغارد (Soren Kierkegaard) (١٨١٣ – ١٨٥٥)، فيلسوف ولاهوتي دنماركي. كان لفلسفته تأثير حاسم على الفلسفات اللاّحقة، لا سيّما في ما يعرّف بالوجوديّة المؤمنة (مقارنة بالوجوديّة الملحدة المنسوبة لجان بول سارتر). كثير من أعماله تتعامل مع الأمور التي يعيشها الفرد بمفرده، مُعطيًا لها أولويّة واقعيّة لحقيقة الإنسان بعيدًا عن التّفكير المُجرّد، مع إظهار أهميّة إختيار الإنسان والتزامه. ركزّ أعماله اللاهوتيّة على الأخلاقيّات المَسيحيّة والكَنسيّة، وعلى الإختلافات بين الدّلائل الواضحة للمسيحيّة والعلاقة المباشرة للفرد مع السيّد المسيح، الذي يَحِل من خلال الإيمان. كان ينتقد بشدّة ممارسة المسيحيّة كدين دَولة، بداية من كنيسة الدنمارك. أعماله النفسيّة تستكشف مشاعر وأحاسيس الأفراد حينما تقابلهم إختيارات حياتيّة. تأثّر تفكيره بالكتاب المقدّس وسقراط ومنهجيّة سقراط. **(ويكيبيديا)**

هو بالعرض، وأنّها فعليّة أم ضروريّة ... الخ.[1] وعلى سبيل المثال : فهل تعدّ مسألة الاختيار مسألة كليّة ؟

هل يعدّ التّساؤل حول نظام الكون بمثابة القضايا الشخصيّة ؟

٣ - اكتشاف المسائل :

كيف يمكن أن نتمتّع بحاسّة فاحصة تكتشف المسائل ؟

لماذا نجد أنّ البعض يكتشف المسائل في تعامله مع الظّواهر والنظريّات والموضوعات، بينما لا يتمتّع آخرون بهذه الموهبة ؟ ثمّة عوامل متعدّدة تتدخّل في ذلك، نشير فيما يلي بايجاز الى ستّ حالات بطريقة وظيفيّة عمليّة :

٣ - ١. تحلّي الذّهن برصيد معقّد وغني من النظريّات والنّماذج والتصوّرات : سيتراجع احتمال عثور الباحث على تساؤلات علميّة، كلّما كان ذهنه بسيطًا لم يسبق له أن تعامل مع النظريّات المتنوّعة.

٣ - ٢. الحكمة : تحدثّنا في العامل الأوّل عن دور المعرفة في بلورة المسألة، ولكن ثمّة دور آخر تلعبه حكمة المرء في اكتشاف المسائل. تطرح الحكمة سؤالًا بـ (هل)، والحكمة هي قدرة المرء على التّفكير بنحو صحيح وبراعته في ممارسة تفكير منطقي. العلاقة بين الحكمة والمعرفة هي بمثابة العلاقة بين من يستخدم الأداة والأداة نفسها.

٣ - ٣. الممارسة : استبدال الرّؤية الدائرة حول الموضوع بالقائمة على المسائل، من خلال المارسة والتّمرين.

٣ - ٤. تجنّب السطحيّة : ويتطلّب ملاحظة المسائل واكتشافها تجربة أكثر عمقًا تتجاوز شكل الظّاهرة وسطحها. فإنّ من يتمتّع بموهبة خلاّقة إبداعيّة، يحاول التوغّل نحو مستوى أكثر عمقًا في تعامله مع الظواهر.

---

[1] - راجع مبحث القضايا في المنطق.

٣ – ٥. التّربية والتّعليم : إنّ الحاسّة التي تهتدي إلى المسائل، هي حصيلة لتعليم طريقة التّكفير والممارسة الفكريّة النقديّة فينبغي أن نتحلّى بهذا الأسلوب.

٣ – ٦. الاقتراب من المسائل : هذا مثلُ من يعجز عن رؤية الغابة الكثيفة لكثرة الأشجار. ولذلك فإنّ اكتشاف المسائل يؤدّي إلى تحديد الثّغرات في العلم.

الملخّص :

خصائص المسألة :

١ –الوضوح في المفهوم

٢ – التحديد في المصداق

٣ – أن تكون صحيحة معقولة

٤ – من الممكن بحثها

٥ – محدودة (تتجنّب الشموليّة)

٦ – تتناسب ومؤهّلات الباحث

٧ – ضروريّة تقع على سلّم الأولويّات

دور المسألة وتأمين جدوى البحث وعمليّته :

١ – يكون البحث متّجهًا إلى هدف محدّد يمكن تحقيقه وتقييمه

٢ – تؤدّي المسألة إلى منح العقل نضجًا أكبر

٣ – إبداع في معالجة المسألة واستحداث الفرضيّة وطرح نظريّة جديدة، أو منهج حديث

٤ – إثراء العلم بواسطة المسألة

٥ – إنّ عمليّة البحث انتقال منهجي من الفرضيّة إلى النظريّة، وهو ما يتوقّف على المسألة

٦ – إنّ تجديد مصادر البحث ونقدها يتوقّف على مسألة البحث

٧ – المنهج

عمليّة طرح المسألة :

١– مواجهة المشكلة

٢ – تحويلها إلى مسألة

٣ – تحليل المسألة

٤ – تحديد ما إذا كانت توحي بأمر مّا

٥ – تحديد نمطها

٦ – البنية المنطقيّة

تعزيز موهبة اكتشاف المسائل :

١ – صياغة ذهنية معقدة تملك رصيدًا غنيًا من النظريّات والنّماذج والتصوّرات

٢ – تعزيز الحكمة لدى الباحثين

٣ – الممارسة والدّراية

٤ – تجنّب السطحيّة

٥ – التّعليم

٦ – الاقتراب من المسائل

تمرين

١ – اختر أحد الموضوعات التّالية ثم قدّم خطّة برنامج بحثي لمعالجة ذلك الموضوع. قارن بعد ذلك البنية التي تقترحها.

- الله عند المتعزلة والاشاعرة والشيعة.
- الآثار التي تركتها نظريّتا اصالة الوجود والتّشكيك في الوجود على الفلسفة الاسلاميّة.
- ظاهر النّص وباطنه في تصوّر القرآن والسنّة.
- قاعدة الإلزام.
- تناسب سور القرآن.
- عوالم الوجود.

٢ – ما هو الفرق بين برنامج البحث والبرنامج التّعليمى ؟

٣ – اختر رسالة في الدكتوراة وحاول أن تفسّر أسلوبها البحثي عبر محتوياتها.

٤ – ما هو التّباين البنيوي بين البحث الدّائر حول الموضوع وذلك المتحور حول المسألة ؟

٥ – كيف نستطيع أن نحدّد المسائل واكتشافها ؟

الفصل الخامس

التّعريف والوصف

تمهيد

إنّ من خطوات البحث المنهجي الأولى، أن نحدّد المسألة التي نحن في صدد معالجتها (نمط المسألة)، وأن نعيّن ما نتناوله بالدقّة في هذا السّؤال (مضمون المسألة). فأوّل نقطة تحديد ما إذا كانت المسألة تتوخّى البحث عن مجهول تصوّري أو تحاول معالجة مجهول تصديقي.[١]

ذلک أنّ أسلوب البحث حول التصوّرات يختلف منهجيًا عن أسلوب البحث حول التّصديقات، وتتطلّب ثنائيّة التّفكير في الذّهن، لونين من المنهج في استراتيحيّة الفكر.

وفي ضوء ذلک يمكن تقسيم مسائل البحث إلى قسمين : المسائل التصوريّة، والمسائل التصديقيّة، وتتقدّم الأسئلة التصوريّة منهجيًا على أسئلة التّصديق، كما تنقسم مسائل التّصديق في الأبحاث الدينيّة بشكل أساسي إلى قسمين : الاستدلال والتبرير[٢]والتّفسير.[٣]

حين نواجه قضيّة من قبيل "النّبي معصوم"، فغالبًا نتساءل : ما هو السّر في عصمة النّبي ؟ وهذا سؤال يتضمّن سؤالين : ما هو الدّليل على عصمة النّبي ؟

وما هوسبب عصمته والسّر فيها ؟

ترتبط الإجابة على المسألة الأولى بإدراک ثلاثة أمور : ماهيّة النبوّة، ماهيّة العصمة ومفهومها، ونطاق العصمة ودائرتها، وهذه ثلاثة أمور تتّصل بمستوى التصوّر. وفي ضوء ذلک فنحن بحاجة إلى محاولة فهم النظريّات بدقّة قبل

---

١ – الفارابي، **عيون المسائل**، ص٣.

٢ –justification

٣ –explanation

الانتقال إلى نقدها والحكم عليها، وأن نسعى إلى تعريف المفاهيم التي تمثّل مداخل لزعم معيّن، قبل البحث عن دليله ومبرّره. كما نتجنّب تفسير الظّواهر قبل وصفها بدقّة.

وهكذا فالوصف والتّعريف يسبقان التّبرير والتّفسير، ونواجه في مستوى الوصف والتّعريف العديد من الأسئلة المنهجيّة، كما يلي :

١ – ما هو الهدف ونتيجة التّعريف وحصيلته ؟

٢ – هل تتنوّع التّعاريف ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي المتغيّرات التي تحدّد تنوعًا كهذا ؟

٣ – هل في وسعنا تقديم تعاريف متنوّعة لأمر واحد ؟

٤– ما هي الضّوابط المنطقيّة للتّعريف، وما هي حالاته التي يمكن أن يتطرّق إليها الخطأ ؟

٥– ما هو المرجوّ من الوصف ونتوخّى اكتشافه ؟

٦– كيف ينبغي لنا أن نجيب على الأسئلة ذات الصّلة بمستوى الوصف وما هي المعوّقات والسّبل في هذا المستوى ؟

يتولّى هذا الفصل الأسئلة المذكورة فيما يتعلّق بالتّعريف والوصف.

التّعريف والوصف

أهداف التعلّم :

- تحديد نمط المسألة ومضمونها.
- هل مسألة البحث تتوخّى مجهولًا تصوّريًا، أو تحاول معالجة مجهول تصديقي ؟
- التعرّف على أسلوب البحث حول التصوّرات والتّصديقات منهجيًا، وتقدّم الأسئلة التصوريّة منهجيًا على أسئلة التّصديق.
- تقسيم مسائل التّصديق في الأبحاث الدينيّة إلى قسمين : الاستدلال والتّبرير والتّفسير.
- التعرّف على المفاهيم التي تمثّل مداخل لزعم معيّن، قبل البحث عن دليله ومبرّره.
- الضّوابط المنطقيّة للتّعريف، الوصف، التّبرير والتّفسير.
- الحالات التي يمكن أن يتطرّق إليها الخطأ.
- المرجوّ من الوصف، وكيف نجيب على الأسئلة ذات الصّلة بمستوى الوصف وما هي المعوّقات والسّبل في هذا المستوى ؟

١ - **التّعريف والوصف :**

كان علماء المنطق يعتقدون بوجود أربعة أقسام للتّعريف هي : الحد التّام، الحد النّاقص، الرّسم التّام، والرّسم النّاقص. وقد كانوا يرجعون غير ذلك من التّعريفات، إلى واحد من الأقسام المذكورة ولم يعدوا شرح اللّفظ تعريفًا. حاول شيخ الإشراق وتابعه صدر المتألّهين في ذلك، أن يتعاملا مع منظومة

التّعريف التقليديّة لدى أرسطو على نحو نقدي، وحاولا البحث عن خيار جديد في هذا الإطار.

أدرج بعض المناطقة الجدد موضوعات التّعريف في كتبهم،[1] بينما بحثها آخرون على نحو مستقل.[2] حدّد المناطقة الجدد خمسة أقسام للتّعريف عبر تحديدهم لخمسة أنماط ممّا يتوقّعه المرء من التّعريف. والأقسام هي : التّعريف الوضعي، التّعريف المعجمي، التّعريف المحدّد (التّدقيقي)، التّعريف الإقناعي، والتّعريف النّظري. يمكن أن نلاحظ اتّجاهين رئيسين لديهم في هذا المجال وهما : تقديم تعريف من خلال الإحالة إلى المصداق، والتّعريف عبر تحليل المضمون. فنتعرض لأهداف التّعريف وغاياته ونتائج كلّ منهما، ونحاول بطريقة عمليّة تناول سبل التّعريف ومعوّقاته.

قراءة إضافيّة : أنواع التّعاريف

١ - تعريف الوضعيّة المنطقيّة :

الوضعيّة المنطقيّة[3] (أو التجريبيّة الوضعيّة أو الوضعيّة الجديدة هي حركة فلسفيّة ظهرت في النّمسا وألمانيا في العقد الثّاني من القرن العشرين. تعني هذه الحركة الفلسفيّة بالتّحليل المنطقي للمعرفة العلميّة، حيث تؤكّد أنّ المقولات الميتافيزيقيّة، أو الدّينيّة، أو القيميّة، فارغة من أيّ معنى إدراكي، بالتّالي لاتعدو كونها تعبير عن مشاعر أو رغبات. إذًا، فقط المقولات الرياضيّة، المنطقيّة، والطبيعيّة هي ذات معنى محدّد.

---

[1]- كوبي في كتابه :

- Copi,Irving, **Introduction to Logic**. Macmillan publisher co.,New York, ١٩٢٧.

[2]- روبنسون في كتابه : Robinson, Richard,**Definition**, Oxford, ١٩٢٧.

[3] - Stipulative Definition

من ضمن المفكّرين الذين ينتمون لهذه الحركة رودلف كارنب (١٨٩١-١٩٧٠)، هيربيرت فغل (١٩٠٢-١٩٨٨)، كير تجرلينج (١٨٦٦-١٩٤٢)، هانز هان (١٨٧٩-١٩٣٤)، وكارل غوستاف همبل (١٩٠٥-١٩٩٧).

كان لنظريّة اينشتاين النسبيّة تأثير كبير على أصول الوضعيّة المنطقيّة. عني فلاسفة الوضعيّة المنطقيّة في تبيان الأهميّة الفلسفيّة للنظريّة النسبيّة. بالإضافة إلى ذلك، كان للتطوّرات في المنطق الصّوري أثر على المنطقيّة الوضعيّة. كما كان هناك اتّصال مابين الوضعيّة المنطقيّة ومجموعة المنطقيّن البولنديّين الذين طوّروا فروعًا كثيرة من المنطق المعاصر كجبر المنطق، وافتراضات التّفاضل والتّكامل متعدّدة القيمة، وعلم دلالة المنطق. في ثلاثينيّات القرن العشرين سادت الوضعيّة المنطقيّة، وأصبحت معروفة في أمريكا وأوروبا، وفاعلة بكثرة في التّرويج لأفكارها الفلسفيّة الجديدة.

من وجهة نظر الوضعيّة المنطقيّة فإنّ كلّ المقولات ذات المعنى يمكن تقسيمها إلى صنفين : الأوّل يتضمّن مقولات قد تكون صحيحة أو خاطئة اعتمادًا على أشكالها المنطقيّة أو معناها (تسمّى هذه المقولات تحليليّة قبليّه)، والثّاني يتضمّن مقولات يمكن التحقّق من صحّتها أو خطئها فقط من خلال التّجربة (تسمّى تركيبيّة بعديّة).

٢ - التّعريف المعجمي أو اللّغوي[١]:

ما يسمّى بالتّعريف اللّغوي؛ يسمّى أيضًا بالـ "الحقيقي"، لأنّ المعرَّف يمتلك معانٍ مختصًا ومستقلًا. يركّز هذا النّوع من التّعريف على صفات الشّيء التي تميّزه عن غيره وتظهر حقيقته. يعتمد على شرح معنى اللّفظ بهدف توضيحه بلفظ أو مجموعة ألفاظ أكثر وضوحًا منه، و هو أساس التّعريف الحديث وينقسم الى : القاموسي والاجرائي والاشتراطي. ثانيًا التّعريف اللّفظي "الأسمي"

هو بالأحرى ذكر ما يساوي الكلمة فى اللّغة، ويمكن الحصول على هذا التّعريف من خلال المعاجم والقواميس.

٣ - التّعريف المحدّد (التّدقيقي)[٢]:

هو عبارة عن تعريف مختصر ودقيق للمعرَّف، ويمتلك طاقة وسيعة وقويّة.

٤ - التّعريف الإقناعي[١]:

---

١ -lexical Definition

٢ -Precise Definition

لإنهاء ممارة يقدّمون التّعريف حتى يتمكّنوا من إقناع الأطراف عن طريق العواطف أو السّلوك. يتم تداول هذا النّوع من التّعريف في الأمور السياسيّة عادةً. طبعًا يجري التّعريف الإقناعي مستهدفًا حافزًا واضحًا؛ ولكن بالأحرى بالفراسة والحيل والإغواء والتّحريض والإثارة، حيث تمتزج مع الحقائق وتبدو بالظّاهر واقعيّة. ينبغي علينا، حيث نميّز البراهين الصّالحة تميّزها عن غيرها حتى نراقب أنفسنا عبر التّعاريف الإقناعيّة.

٥ – التّعريف النّظري[٢]:

هو عبارة عن التعريف الذي يسعى إلى تقديم هيكليّة نظريّة مقبولة، أو شرحٍ مفيدٍ وعلميٍ للمعرَّف، ويعني اقتراح تعريفٍ لقبول نظريّة خاصّة. فالنّظريّات، كما يبدو من اسمائها قابلة للنّقاش. فعند توسيع العلوم يمكن استحسان وتغيير التّعريف باختيار تعريفٍ آخر. فهو ذكر معنى يحدّده الشّخص الذي يستخدم اللّفظ ويمكن أن يكون هذا المعنى مختلف قبل ذلك في الماضي عن الحاضر أو المستقبل.

مثال : تعريف اقليدس للخطّ، هو ما له طول وليس له عرض. ولكن إذا رجعنا للواقع سنجد للخطّ عرض مهما كان ضيئلاً. يستخدم في العلوم الطبيعيّة فيحدّد الإجراءات التي ينبغي القيام بها لتوضيح الأفكار أو المصطلحات العلميّة.

---

٢ – المعنى والتّعريف :

ليس التّساؤل حول المعنى اللّغوي للبحث من المسائل العلميّة، لأنّ دلالة اللّفظ على المعنى أمر وضعي، ولا شأن للمنطقي ببحث الألفاظ. يتولّى السّؤال حول المعنى أو التّعريف اللّفظي إضاءة منطقة اللّغة، وتبديد الغموض النّاشيء عن الإيهام اللّفظي، والتّساؤل حول ماهيّة المفهوم يقدّم تصورًا واضحًا للمفهوم، كما إنّ السّؤال على مستوى المصداق يجعل تحديد الشّيءعمّا سواه في العالم الخارجي.

---

[١] –Persuasive Definition

[٢] –Theoretical Definition

هنالك أهميّة كبيرة لتحديد مبرّر التّسمية ووجه وضع اللّفظ، في اكتشافنا لما كان يمارسه الواضع من بناء للمفهوم. نلاحظ أنّ الانجليز يطلقون لفظ الأفعال الخارقة على تلك التي يأتي بها الأنبياء، بينما يسمّيها علماء الكلام المسلمون بالمعجزة، ويعبّر عنها القرآن بالآية. لكن ذلك ليس مجرّد اختلاف لفظي، بل تكمن فيه تلك الأفعال المثيرة والباعثة على التّعجب، ويلاحظ الثّاني جانب الإعجاز فيها، بينما ينطلق الثّالث من كونها حاكية ومعبّرة ورمزًا. وهذه تصوّرات ثلاثة لأمر يتجلّى على شكل ثلاثة مصطلحات. ولذلك فإنّ ثمّة أهميّة كبيرة في التّعامل مع الألفاظ والبحث حول معاني المصطلحات ووجوه تسميتها.

يتولّى التّعريف اللّفظي تحديد دلالة الألفاظ (لا تحليلها) وهو يعرّف (شرح اللّفظ). نستخدم اللّفظ أحيانًا بمفهومه الشّائع، فنأخذ في بيان (لا تحليل) الدّلالة الشّائعة أو الدّلائل السّائدة وتحديد ما نقصده منها وهذا هو التّعريف التقريري.[١] سنتحدّث عمّا يتّصل بسؤال التّعريف من بين الأسئلة الثلاثة المذكورة (المعنى، التّعريف، مقياس التّمايز).

ثمّة حاجة ماسّة للغاية لمقياس التّمييز في الأبحاث الدينيّة؛ ولا سيّما في أبحاث علم الكلام والفقه والأخلاق. فمن الواضح مثلًا طبيعة الفرق بين الحسد والغبطة على مستوى المفهوم، غير إنّنا بحاجة إلى مقياس للتّمييز بينهما على مستوى المصداق.

٢ – ١. التّعريف :

نريد بالتّعريف هنا مفهومه الخاصّ، الذي يختلف عن شرح اللّفظ (تعريف اللّفظ) ومقياس التّمييز وتحديد المصداق. نلاحظ إنّ البعض يؤكّدون على أهميّة التّعريف إلى درجة يبدو وكأنّه هدف في حدّ ذاته لا أنّه وسيط وآلة. وثمّة

---

١ – reportive de

آخرون لا يعدّون التّساول حول ماهيّة الأشياء من شؤون البحث العلمي، سنقدّم تصوّرنا للتّعريف عبر التّنويه إلى عدد من التصوّرات المتنوّعة :

١- التصوّر الماهوي : يصف الفلاسفة المشّاؤون التّعريف بأنّه أمر دالّ على ماهيّة الأشياء (الحدّ قول دالّ على الماهيّة) في جواب (ما هو ؟) يمثّل تمام ماهيّة الشيء. وفي ضوء تصوّر كهذا لهدف التّعريف، ظهر نظام الجنس والفصل لتقديم تعريف حقيقي (الحدّ التّام) كي يجري من خلاله تحليل الاشياء ماهويًا، ووفق هذه النظريّة لا يمكن أن تعرف سوى الماهيّات، كما لايمكن التّعريف إلاّ من خلال أجزاء الماهيّة، لأنّ "الحدّ بالماهيّة وللماهيّة".[1]

نلاحظ أنّ علماء المنطق لم ينجحوا كثيرًا على المستوى العملي في وضع تعريفات ماهويّة للمفاهيم التّأسيسيّة الشّائعة في علومهم. إضافة إلى المفاهيم الانتزاعيّة، لايمكن تعريفها عبر نظام الجنس والفصل وقواعد التّعريف الماهوي.

٢- التّمييز جمعًا ومنعًا : يتوخّى بعض العلماء من خلال التّعريف تقديم تمييز كامل للشّيء عن أغياره؛ فالتّعريف من وجهة نظرهم هو ما يميّز المعرّف عن غيره على نحو متكامل، يؤدّي إلى شمول جميع أفراد المعرّف ومصاديقه، وإقتفاء جميع الأخبار. (أن يكون جامعًا ومانعًا) لكن هذا التصوّر لم يحقّق نجاحًا على المستوى العلمي أيضًا، ذلك انّنا لانحتاج في اكتشاف الأشياء إلى تميّيزها عن كلّ ما سواها.

٣- التّمييز عن الأشياء التي تستتبع اشتباهًا به : إنّ الإخفاق في تحصيل ماهيّة الأشياء وتمييزها الكامل عن أغيارها، دفع البعض إلى البحث عن تعريفات تؤدّي إلى التّمييز النّسبي (التّمييز في الجملة، لا بالجملة). والتّعريف

---

[1]- قراملكى، **مناهج البحث فى الدبراسات الدينيّة**، ص ١٨٢.

في مفهومه هذا يمثّل عمليّة اعتباريّة، كما إنّ مقياس نقد هذه التّعريفات وتقييمها هو وفاؤها بأهداف البحث وقدرتها على القيام بالتّمييز المقصود.

٤- الكشف عن علل الشّيء : يرى البعض إنّ أكثر أساليب التّعريف،(الحدّ الكامل) هو ذلك الذي يكشف عن علل الشّيء وأسبابه. إنّ الحدّ الكامل يشتمل على بيان العلل الأربع (الصوريّة، والماديّة، والفاعليّة والغائيّة) وتم استخدامه في العديد من حالات بناء المفاهيم.

٥- التّحليل المفهومي[١] : تمثّل نظريّة التّحليل المفهومي الاتّجاه الأكثر جدوى في التّعريف. والتّعريف المفهومي شبيه بالتّعريف الحقيقي ويتولّى كشف المفاهيم البنّائيّة والأجزاء المفهوميّة للمعرّف وتحليلها دون مواصفاته وخصائصه الخارجيّة. ويعبّر العلماء المسلمون عن هذا النّمط من التّعريف بـ "شرح الاسم" وقد حاولوا في تسميته أن يميّزوه عن شرح اللّفظ (التّعريف اللّفظي) والتّعريف الحقيقي (الماهوي).

يبدو إنّ معنى اللّفظ يمثّل محورًا للمعالجة في كلّ من التّعريف اللّفظي والتّحليل المفهومي، غير أنّ الفرق الأساسي بينهما يتمثّل في أنّ التّعريف اللّفظي يتكفّل بالكشف عن معنى الكلمة (سواء على مستوى التّأسيس للتّعريف الوضعي أو على نحو التّقرير) بينما يتولّى التّحليل المفهومي تحليل معنى الكلمة. فالتّعريف اللّفظي يتولّى إضاءة الجانب اللّغوي، بينما التّعريف من خلال التّحليل المفهومي يتكفّل إضاءة الجانب الذهني. إنّ الأوّل هو تحديد للّفظ، والثّاني تحديد للمفهوم. فحين نتساءل : ما هو الحدوث ؟

يأتينا الجواب : إنّه الظّهور؛ وهذا تعريف لفظي.

ولكن لو قيل في الجواب : إنّ الحدوث هو مسبوقيّة الوجود بالعدم، فإنّ هذا يمثّل في حقيقة الأمر تحليلًا للمفهوم.

---

١ - conceptual analysis

إنّ شمول المفهوم للمصاديق لن يعني بالضّرورة اشتراك المصاديق في الكلّي الطّبيعي، بل يمكن أن نتولّى تحليلها عبر نماذج أخرى؛ من قبيل التّماثل في العائلة الذي طرحه فتجنشتاين.

وهذا الأسلوب هو الأكثر استخدامًا اليوم في مجال الدّاراسات الدينيّة، حيث يحاول جون هيک مثلًا أن يعرّف الدّين من خلال الإستعانة بنظريّة التّماثل في العائلة التي طرحها فتجنشتاين.[1]

٢ – ٢. قواعد استراتيجيّة في التّعريف :

نشير إلى عدد منها فيما يلي :

١- تجنّب البحث عن تعريف للمفاهيم التي يتعذّر تعريفها. يقول فريغة[2]: يمكن أن نثمّن عمل المرء طالما نجح في مقاربة دلالة لكلمة مّا، لكن علينا أن ننسى أنّه ليس في وسعنا تعريف جميع الأشياء.

إنّ محاولة تعريف المفاهيم التي لا يمكن تعريفها، سيظلّ جهدًا لا طائل منه ويتطلّب استخدام هذه القاعدة، استيعابًا دقيقًا للمفاهيم التي لا يمكن تعريفها، على أساس مقاييس موضوعيّة. ثمّة تصوّر بأنّ المفاهيم التي تتقبّل التّعريف هي المفاهيم الماهويّة، بينما المفاهيم التي لا يمكن تعريفها هي المفاهيم غير الماهويّة.[3]

٢- تجنّب التّعاريف المؤدّية إلى الدّور : يمثّل التّعريف الدّوري في حقيقة الأمر، تكرارًا للسّؤال حول الماهيّة، لا جوابًا حياله. ومن نماذجه تعريف الشّيء بأمر يتوقّف تعريفه على الشّيء ذاته؛ أي (تعريف الشّيء بما لا يعرف إلاّ به) كما لو قيل في تعريف الحركة : إنّها خروج تدريجيّ من القوّة إلى الفعل. حيث

---

[1]- هيک، جون، **فلسفه دين (فلسفة الدّين)**، ص٢.

[2]- غوتلوب فريغة؛ (١٨٤٨ – ١٩٢٥) رياضيّ ومنطقيّ وفيلسوف آلماني. ساهم في تجديد المنطق وتأسيس المنطق الرّياضي الحديث وترك أثره على راسل وفتجنشتين وكرناب.

[3] – خندان، سيد علي اصغر، **المنطق التّطبيقي**، طهران، سمت، ص ٩٠.

يمكن أن نسأل حينئذ : ما هو الخروج التدريجيّ ؟ ليس في وسعنا تحليل مفهوم الخروج التدريجيّ إلاّ عبر الاستغانة بمفهوم الحركة.

٣- تجنّب التّعريف بالمفاهيم المبهمة : وهنالک حالتان لغموض التّعريف، إذ ينجم الغموض في التّعريف أحيانًا عن استخدامنا لمفهوم غامض، بينما ينجم حينًا آخر عن استخدامنا لمفهوم أكثر خفاءً من المعرّف، أو مساويًا له في الغموض.

٤ - تجنّب استخدام المفاهيم النسبيّة في تعريف المفاهيم المطلقة : تنقسم المفاهيم إلى قسمين : فبعضها إضافي نسبي، كالمفهوم المساوي والموازي والذّاتي والعرضي ... الخ؛ وبعضها مطلق غير مرتبط بالمفاهيم الإضافيّة أو النسبيّة.

٥- تجنّب مغالطة الكنه والوجه : كثيرًا ما يجري الاكتفاء في وصف الشّئ بتسليط الضّوء على بعد من ابعاده. وفي هذه الحالات لا ينبغي أن نتوهّم إنّ ماهيّة الشّئ هي ذلک البعد ذاته.

٦- عدم توظيف الاستدلال في تعريف الأشياء : إنّ البرهان والاستقراء أسلوبان للتّدليل، غير أنّهما لايجديان في بناء التّعريف وتقييمه.

٣ – الوصف :

ينحصر العلم عند القدماء بالمعرفة البرهانيّة، وبالتّالي فإنّ مسائل البحث المتّجهة نحو الوصف، ستنحصر في التّساؤل حول العوارض الذاتيّة للموضوع، الأمر الذي يخلق مشاكل منهجيّة عديدة لعلوم البرهان وغيرها.

إنّ ما نسمّيه اليوم بمستوى الوصف، كان عند المناطقة المسلمين يتّصل بمطلب (هل المركّبة) وهم يدخلون فيه السّؤال بـ "أيّ شيء" أيضًا.

للوصف أداوته ومقاييسه الخاصّة، ويجري تعريف أنماط الوصف على أساس تنوّع أدواته، فهنالک الوصف التّجريبي، والتّحليلي، والتّاريخي والظّواهر... الخ. فالحديث حول عصمة الأنبياء مثلًا يتّجه في واقع الأمر إلى

مستوى الوصف، وقد استخدم علماء الكلام المنهج التّحليلي في معالجة هذا الموضوع. والمقصود بالوصف التّحليلي في مقابل الوصف التّجريبي، أنّ طريقة الوصف لا تستعين بالأدوات التجريبيّة، بل تعمل على تحديد خواصّ لوازم الشّيء من خلال تحليل منطقي، وليست هذه الخواصّ أحكامًا انضماميّة داخلة في الموضوع؛ بل هي تحليليّة، انتزاعيّة واستنتاجيّة وتستخدم المحمولات الخارجة في مستوى الوصف. ونظرًا لتعدّد أبعاد الظّواهر الدينيّة وتعقيدها، فإنّ عمليّة الوصف لا يمكن أن تنتج في الأبحاث الدينيّة في إطار التّجديد الحصري المنهجي المذكور.

لكن، رغم كلّ هذا، فالظّواهر الدينيّة تتقبّل أنماطًا متعدّدة من الوصف، وبالتّالي فإنّ من المكن أن يؤدّي ذلك إلى حصول تعارض في مستويات الوصف، أي إنّ وصفًا دينيًا داخليًا لظاهرة مّا، سيتعارض في الظّاهر مع الوصف التّحليلي أو التّجريبي أو التّاريخي؛ ولابّد للباحث أن يستوعب هذا اللّون من التّعارض، ويمتلك أدوات مناسبة لمعالجته.

الملخّص :

يتولى الجدول ٥-١، إيجاز حديثنا حول ما نتوقّعه من التّعريف.

	المرجو من التّعريف	التّعريف المناسب
١	تحديد ماهيّة الشّيء بالكامل	الحدّ التّام
٢	التّحديد الكامل جمعًا ومنعًا	الرّسم التّام
٣	التّمييز عن النظائر والأشباه	الرّسم
٤	كشف علل الشّيء	الحدّ الكامل
٥	تحليل المفهوم	شرح الاسم

التّعريف اللّفظي يتولّى إضاءة الجانب اللّغوي، على سبيل المثال حين نتساءل ما هو الحدوث ؟ يأتينا الجواب : إنّه الظّهور.

التّعريف المفهومي يتكفّل إضاءة الجانب الذّهني. فلو قيل في الجواب : إنّ الحدوث هو مسبوقيّة الوجود بالعدم، فهذا يمثّل تحليلًا للمفهوم.

عدد من قواعد استراتيجيّة في التّعريف

١ - تجنّب البحث عن تعريف للمفاهيم التي يتعذّر تعريفها. عادةً المفاهيم التي لا يمكن تعريفها هي المفاهيم غير الماهويّة.

٢ - تجنّب التّعاريف المؤدّية إلى الدّور.

٣ - تجنّب التّعريف بالمفاهيم المبهمة؛ عبر استخدامنا لمفهوم غامض، أو أكثر خفاءً من المعرّف، أو مساويًا له في الغموض .

٤ - تجنّب استخدام المفاهيم النسبيّة في تعريف المفاهيم المطلقة.

٥ - تجنّب مغالطة الكنه والوجه.

٦ - عدم توظيف الاستدلال في تعريف الأشياء.

الوصف :

يجري تعريف انماط الوصف على أساس تنوّع أدواته، فهنالك الوصف التّجريبي، والتّحليلي، والتّاريخي والظّاهراتي... الخ.

الوصف التّحليلى، طريقة تعمل على تحديد خواصّ لوازم الشيء من خلال تحليل منطقي، انتزاعي واستنتاجي باستخدام المحمولات الخارجة في الوصف.

إنّ وصفًا دينيًا داخليًا لظاهرة مّا، سيتعارض في الظّاهر مع بعض أنواع الوصف، فلابّد للباحث أن يمتلك أدوات مناسبة لمعالجته.

تمرين

١ - ما هي الأساليب في تعريف الأشياء ؟ أذكر مثالًا لكلّ منها.

٢ - ما هي الطّرق التي غالبًا مّا نعتمدها في بحثنا عن ماهيّة الشيء؟

٣ - هل إنّ مسألة البحث تتوخّى البحث مجهولًا تصوّريًا، أو تحاول معالجة مجهول تصديقي ؟

٤ - اشرح أنواع مسائل التّصديق وضوابطها المنطقيّة في الأبحاث الدينيّة.

٥ - ما هي الحالات التي يمكن أن يتطرّق إليها الخطأ ؟

٦ - ما هو المرجوّ من الوصف ؟

الفصل السّادس

التّبريروالتّفسير

تمهيد

ثمّة خمس مسائل ومستويات رئيسيّة للبحث في الدّراسات الدينيّة هي : التّعريف، الوصف، الشّرح والتّوضيح، والتّبرير (الاستدلال)، والتّفسير (بمعنى التّعليل). سنخصّص الفصل الحالي لكلّ من التّبرير والتّفسير.

١- يمثّل الدّين في القراءة التقليديّة، رسالة الله تعالى لبني البشر، والتي يجري إبلاغها من خلال الأنبياء (عليهم السّلام)، ويمكن لمتلقّي الوحي أن يطرح تساؤلين في تعامله مع خطاب كهذا : ما المراد بذلك ؟ ما السّبب في ذلک ؟

إنّ السّؤال الثّاني في حقيقة الأمر بحث عن سبب الخطاب. إنّ عدم مخالفة الخطاب لظاهر العقل يمثّل واحدًا من المقاييس التي نحكتم إليها في التّمييز بين النّبي ومن يدّعي النبوّة.[١]

إنّ الوحي نفسه قد عدّ مطالبة المتلقّي بدليل وبرهان أمرًا طبيعيًا، حتى إنّه بادر في حالات متنوّعة إلى تقديم دليل على رسالته السماويّة عندما يتحدّث عن وحدانيّة الإله مثلًا، فإنّه يستعين بقياس استثنائي من خلال رفع التّالي في القضيّة الشرطيّة "**لوكان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا**"،[٢] يبرهن فيه على دعواه.[٣] وهكذا هو الحال مع حديثه عن صدق القرآن وأنّه لم يأت من عند غير الله.

---

[١]- نصير الدّين طوسي، **قواعد العقائد في تلخيص المحصّل**، ص ٤٥٢. يقول هناک : "وتعرف نبوّته بثلاثة أشياء؛ أوّلها أن لا يقرّر ما يخالف العقل...".

[٢]- الأنبياء / ٢٢

[٣] - - راجع للمزيد : قراملكي، أحد فرامرز، **برهان التّمانع**، مجلّة دانشنامه جهان اسلام، ج٣، ص٢٩٦- ٢٩٩.

ما هو منهج إقامة الدّليل ؟

هل ينحصر تبرير زعم ما في المنهج البرهاني، أم أنّ ثمّة مناهج متنوّعة في ذلک ؟

ما هي السّبل المتاحة في هذا المستوى وما هي الخيارات العقيمة ؟

حين نواجه زعمًا محددًا، فما هي الأسباب التي تدعونا إلى تقبّله ؟

وما هي الظّروف التي تحول دون تقبّلنا له ؟ نجد أحيانًا أنّ الإجابة المقدّمة لاتمثّل مبررًا حقيقيًا، بل هي ليست سوى مبرّر ظنّی زائف.

كيف لنا أن نميّز بين هذين النّمطين من الإجابات ؟

ما هي الحالات التي يقدّم فيها الدّليل الزائف بدلًا عن الدّليل الحقيقي ؟

٢- يمثّل الدّين في القراءة الجديدة حقيقة هامّة موثّرة في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وهو يشمل مجموعة من الظّواهر المتنوّعة. فإنّ الأبحاث الدينيّة الجديدة ثمثّل دراسة تستهدف تفسير الظّواهر الدينيّة وهي من هذه الزّاوية شبيهة بشتّى العلوم التجريبيّة والحديثة.

إنّ كلًا من النّمطين التّقليدي والجديد من الأبحاث الدينيّة، يشتمل على مستويات من التّفسير والتّبرير والوصف والتّعريف. وإنّما يكون الفرق بينهما في المستوى وطبيعة الاتّجاه.

ما هو المقياس في انتقاء التّفسيرات المختلفة وتقييمها، وكيف لنا أن نحدّد صلاحيّة تفسير معيّن في مجال الأبحاث الدينيّة ؟

ما هي طبيعة عمليّة تفسير الظّواهر الدينيّة ؟

ما هي السّبل والمعوّقات والمنزلقات في ذلک الإطار ؟

كيف يمكن لنا تجنّب الوقوع في مغالطة الخلط بين الدّليل والسّبب ؟

ما هي حقيقة التّباين بين التّبرير والتّفسير؟

سندرس هذه الأسئلة فی الفصل التّالي.

التّبرير

أهداف التعلّم :

- هناک خمس مسائل ومستويات رئيسيّة للبحث في الدّراسات الدينيّة، فسنخصّص الفصل الحالى لکلّ من التّبرير والتّفسير.
- للدّين في القراءة التقليديّة إمکانيّة لمتلقّي الوحي أن يطرح سؤالين في تعامله مع الخطاب : ما المراد بذلک ؟ ما السّبب في ذلک ؟
- إنّ الوحي نفسه قد عدّ مطالبة المتلقّي بدليل وبرهان أمرًا طبيعيًا، فإنّه يستعين بقياس استثنائي من خلال رفع التّالي في القضيّة الشرطيّة ليبرهن فيه على دعواه. فنتعرّف على منهج إقامة الدّليل، والسّبل، والخيارات العقيمة.
- يشمل الدّين في القراءة الجديدة مجموعة من الظّواهر المتنوّعة. فإنّ الأبحاث الدينيّة الجديدة تستهدف تفسير الظّواهر الدينيّة وتُشبّه بشتّى العلوم التجريبيّة والحديثة، فنتعرّف على الفوارق بينهما.
- نتعرّف أيضًا على المقياس في انتقاء التّفسيرات المختلفة وتقييمها، وتحديد صلاحيّة تفسير معيّن في مجال الأبحاث الدينيّة.
- نتعرّف على کيفيّة التجنّب للوقوع في مغالطة الخلط بين الدّليل والسّبب.
- وأخيرًا نتعرّف على حقيقة التّباين بين التّبرير والتّفسير.

١- التّبرير :

يمتاز البحث المنهجي العلمي عن الدّراسات المبعثرة في أنّ البحث يستهدف الوصول إلى العلم، لا أنّه يتوخّى أيّ شکل اتّفق من القناعات. وقد عبّر علماء المنطق عن ذلک بالتّصديق العلمي.[١]

---

[١] – ابن سينا، **الإشارات**، ص ٢٣.

ومن بعد ذلك عرّفوه بأنّه "قول جازم مطابق ثابت".[1] إنّ القناعة في أيّ لون من الاعتقاد هي قول جازم، غير أنّ العلم هو القناعة المبرّرة المطابقة للواقع. فإنّ التّبرير والعقلانيّة يمثّلان وجهين لعملة واحدة.

تقوم معالجة أرسطو على تقسيم محدّد للعلم. فالعلم، وهو القول الثّابت المطابق إمّا أن يكون ثابتًا في نفسه (مبرّر ذاتيًا)، أو أن يكون ثابتًا بغيره. والثّابت بغيره يؤول في نهاية المطاف إلى الثّابت بنفسه، وأن يتولّى الإجابة على أسئلة متعدّدة :

أولًا : ما هي مصاديق العلم الثّابت بنفسه (البديهي) وحالاته وأنماطه ؟

ثانيًا : كيف ينتج العلم الثّابت بغيره (النّظري المكتسب) من العلم الثّابت بنفسه ؟

يقرّر التّفسير التّداول لإجابة السّؤال الأوّل أنّ العلم البديهي على ستّة أقسام : الأوليّات، الحسيّات، المجرّبات، الحدسيّات، التواترات، والفطريّات. يعمد البعض إلى إرجاع المجرّبات والحدسيّات والمتواترات إلى المحسوسات ودمجها فيها، فيكون ثمّة قسمان : بديهة حسيّة[2] والأوليّات.[3]

إنّ الأوليّات هي التي تمثّل وحسب، القضايا الأساسيّة أو البديهيّة،[4] وإنّ مقياس البداهة يتمثّل في أن يكون الحكم في القضيّة ناتجًا عن مجرّد تصوّر الموضوع والمحمول[5]، لذلك فإنّ البديهي هو الأولي.

---

[1] – الطوسي، **شرح الإشارات**، ج١، ص ١٣.

[2] - evident to the sense

[3] – self–evident

[4] – الرّازي، فخرالدّين، **الملخّص**، نسخه خطيّة في مكتبة مجلس الشّورى الإسلامي، رقم ٨٥٦، ص ٦٤-٦٢. الطّوسي، نصيرالدّين، **منطق التّجريد في جوهر النّضيد**، للحلّي، ص ٢٠١-١١٩.

[5] – الطّوسي، **شرح الإشارات**، ص ٥١.

إنّ الأسسيّة الجديدة تضاعف من إمكانيّة طرح مناهج متنوّعة في البحث، ولا سيّما في ضوء القراءة التي قدّمها أنطوني كيني[1]، ولذلك فإنّنا نحاول هنا أن نوجز الاتّجاه الذي بلوره كيني في هذا السّياق.

يتناول كيني الأسسيّة الكلاسيكيّة من منظور الدّحض الذاتي وكون الشيء ناقضًا لنفسه، ذلك إنّ الخطاب المبرّر الذي يتمتّع بالعقلانيّة، إمّا أن يكون بديهيًا للحسّ، أو بديهيًا بالذّات، أو ممّا يمكن استنتاجه من هذين المستويين عبر عمليّة الاستدلال.

إنّ معظم الأمثلة التي يستعرضها كيني هي نماذج تناولها فتجنشتين. يقدّم كيني في رؤيته للأسسيّة، لونين من المعالجة :

التّعديل الأوّل : تعديل قائمة القضايا البديهيّة الأساسيّة أو غير المكتسبة وتعميمها، وهو يعتقد أنّ في وسعنا أن نضيف إلى البديهي على مستوى الحسّ، البديهي على مستوى الذّاكرة، أو القوّة الحافظة، كما نضيف قضايا الأساس إلى القضايا البديهيّة بالذّات، والتي تشمل القبليّات الرياضيّة[2] والمنطقيّة فقط. إنّ هذه القضايا ليست مكتسبة ولم يتمّ استنتاجها من قضايا أخرى.

---

[1] – أنتوني كيني، هو واحد من الفلاسفة البارزين في سنوات ما بعد الحرب. أوّل مؤلّف من تاريخ جديد للفلسفة الغربيّة لعدّة عقود. الشخص الوحيد الذي قدّم مساهمات كبيرة لدراسة الفلسفة القديمة، العصور الوسطى والحديثة، والمعاصرة، ويكشف عن أصول العديد من الأفكار والقضايا الحديثة مثاليّة للاستخدام الجامعيّة. كتب لمن يريد أن يتعلّم حول التطوّر الفكري للبشرية. تأثّر عميقاً بفيتجنشتاين، وقد كتب أيضًا الكتب المهمّة في سانت توماس الاكويني وديكارت. (**دائرة المعارف بريتانيكا، ٢٠١٢م.**)

[2] – يقول ابن سينا : " وأمّا الزّمان فهو شيء غير مقداره وغير مكانه، وهو أمر به يكون القبل الّذى لا يكون مع البعد وهذه القبليّة له لذاته ولغيره به، وكذلك البعديّة. وهذه القبليّات والبعديّات متّصلة إلى غير النّهاية. والّذي لذاته هو قبل شيء هو بعينه يصير بعد شيء وليس أنّه قبل هو أنّه حركة بل معنى آخر. وكذلك ليس هو بسكون ولاشيء من الاحوال الّتي تفرض، فانّها في أنفسها لها معان غير المعانى الّتي هي بها قبل وبها بعد وكذلك مع.

إنّ كيني يطرح كذلك القضايا التي يمكن الدّفاع عنها، ويعدها قسمًا من القضايا الأساسيّة. وهذه القضايا هي تلك التي يمكن الدّفاع عنها من خلال إحدى الطّرق الثّلاثة التّالية : الاستدلال والبحث، أو الاستعلام الأعم من البحث في المستوى الأوّل أو الثاني، والعمل النّاجح.

يعتقد كيني إنّ نظريّة التّبرير تؤدّي إلى معالجة مشكلة التّناقض الذاتي، لأنّ النظريّة هذه لا تخرج عن القضايا المبرّرة، باعتبارها من القضايا التي يمكن الدّفاع عنها.

التّعديل الثّاني : ويتّصل بعمليّة في ظلّ الأسسيّة الكلاسيكيّة في الاستنتاج القائم على القياس، غير إنّ كيني يعتقد أنّ في وسعنا اللّجوء إلى طريقتين لتكوين القضايا غير الأساسيّة، أحدهما الاستنتاج[١] الأعم من القياس أو الاستقراء، والأخرى هي البيّنة والشهادة.[٢]

لقد حظيت الأسسيّة الكلاسيكيّة الأرسطيّة عند العلماء بقراءتين (التصوّر المشهور ونظريّة المدقّقين) كما يقوم الجدول ٦-١ بايضاحه :

ت	شروط التّدبير	اقسام البديهي في التصوّر الشّائع	اقسام البديهي عند الفخر الرازى والطّوسي
١	البداهة	الأوليّات، المجزيات، المحسوسات، المتواترات، الحدسيّات، الفطريّات	الأوليّات
٢	الاستتاج من البديهيّات عبر الاستدلال		

الجدول رقم ٦-١ : المقياس في تبرير القضيّة عند الاتّجاه الأرسطي

فان للمعيّة مفهومًا غير مفهوم كون الشّيء حركة." (ابن سينا، **عيون الحكمة**، مؤسّسه الصّادق، طهران، ص ١١٩) يعني هذا القول بعلاقة المعلومات السّابقة عند الشّخص بجميع أفعاله الآتية.

١ - inference

٢ - testimony

طرح صدر المتألّهين في هذا الإطار رؤية خاصّة. وهو يقسّم التّصديق إلى أربعة أقسام : البديهي أو الفطري، والحدسي، والموهوب أو المكتسب من خلال إشراق القوّة القدسيّة، والنّظري أو المكتسب من الفطري والحدسي بواسطة الفكر.[1]

١	البداهة عند الحسّ
٢	البداهة عند القوّة الحافظة
٣	البديهي ذاتيًا بما يشمل من القبليّات الرياضيّة والمنطقيّة والقضايا الأساسيّة
٤	إمكانيّة الدّفاع عن القضيّة بواسطة الاستدلال والبحث والعمل النّاجح
٥	الاستنتاج من البديهيّات والأساسيّات عبر القياس، والاستقراء، والشهادة أو البيّنة

الجدول رقم ٦- ٢ : شروط تبرير القضيّة عند أنطوني كيني

ينبغي علينا الاشارة إلى شروط الإثبات والتّكذيب في قبول النظريّات، فهي كما يلي :

شروط الاثبات	شروط الدّحض والتّشكيك
البديهي بأقسامه الثّلاثة	التّناقض الذّاتي
إمكانيّة الدّفاع	استلزام التّناقض أو أيّ محال آخر
مستنتج عن البديهي عبر الاستدلال	أن يقوم على مبادىء ومقدّمات باطلة

الجدول رقم ٦-٣ : شروط الإثبات والتّكذيب في تقبّل النظريّات

١ - ١. قواعد استراتيجيّة في عمليّة التّبرير :

١ - مبدأ تقدّم الفهم على النّقد : من الضّروري أن نتساءل حول مضمون القضايا ومفادّها من زاويتين، قبل التّصديق بها. فنحن لن نحتاج من جهة إلى

---

[1] - ملاصدرا الشّيرازي، محمّد بن ابراهيم، **التّنقيح في المنطق**، نشر حسينيّة الإرشاد، طهران، ١٣٨٤ش.، ص ٦.

التّصديق بالزّعم أو القضيّة فيما لوكانت فاقدة للدّلالة أو المعنى المحصّل الواضح.

ومن جهة أخرى إنّ المعنى المحّدد للنظريّة يتطلّب منهجًا خاصًّا في تبريرها. النظريّة على نحو مشوّه يكون من السّهل دحضها وتكذيبها. إنّ عدم توفّر طريق تجريبي لإثبات زعم معيّن، وعدم توفّر طريق لتكذيب زعم مّا تجريبيًا، سيعاني مجرّدًا عن المعنى. يقول آير : "تعتقد أنّ النّص سيحمل معنى حقيقتًا بالنّسبة إلى شخص محّدد، حين يدرك الشّخص هذا، كيف يمكن أن يتناول بالبحث القضيّة التي تضمنّها النّص، أي أن يدرك الظّروف التي تدفعنا إلى تقبّل القضيّة تلك بوصفها قضيّة صادقة، أو رفضها بوصفها قضيّة كاذبة".[1]

٢ - تحديد القضيّة التي تنطوي على دحض ذاتي : يمكن أن نتساءل فيما يتّصل بالقضيّة التي نواجهها حول عدم الاتّساق الداخلي أو الدّحض الذّاتي، ويقع على عاتق الباحث أن يكشف التّناقض في الحالة الأولى ويعالج المفارقة في الحالة الثّانية من خلال مهارته المنطقيّة.

لابدّ في القضيّتين المتناقضتين في المنطق أن يكون كلّ منهما ناقضًا للآخر على مستوى سور القضيّة (الكليّ أو الجزئيّ)، وعلى مستوى كيفها (السّلب والايجاب)، وعلى مستوى الجهة (الضّرورة والدّوام والفعليّة والإمكان)، على نحو دقيق. وذلك لأنّ نقيض كلّ شيء رفعه ولابدّ أيضًا أن تتّحد القضيّتان في عشرة أمور هي : وحدات الموضوع، والمحمول، والشّرط،

---

[1] - قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ٢٠٩. لاحظ أيضًا :

Ayer,A.J.**Language, Truth, and Logic**, New York: Pover Booles, ١٩٥٢. P ٣٥.

والإضافة، والزّمان، والمكان والقوّة والفعل، والجزء والكلّ.[1] وأضاف صدر المتألّهين وحدة الحمل إليها.

٣- التّبرير المنطوي على دور : يقال إنّ الإمكان هو مناط الاحتياج إلى العلّة، فلو قلنا في تبرير ذلك : إنّ الشيء يحتاج إلى العلّة حدوثًا وبقاءً، ثمّ قلنا في الإستدلال على الحاجة هذه حدوثًا وبقاءً : إنّ مناط الاحتياج إلى العلّة هو الإمكان. فإنّنا في هذه الحالة سنقع في دور معرفي صريح (توقّف الشيء على نفسه) يمكن أن نحدّد ما إذا كان التّبرير متضمّنًا للدّور بطريقة سهلة، وهي أن نقوم بتحويل مجموعة الأدلّة المقدّمة إلى قياس مضمر حيث سيكون برهان السّلسة الدوريّة على الشّكل التّالي : إنّ الانسان مختار، لأنّه مسؤول والإنسان مسؤول، لأنّه مختار. إنّ أوضح أنواع هذا الدّور هو المصادرة على المطلوب، وهو الاستدلال الذي يكون فيه كلّ من المطلوب إثباته والنّتيجة بمثابة واحد من مقوّمات الفرض.

٤ – الجانب الشّكلي للدّليل : ولابدّ للدّليل أن يتمتّع بشكل صحيح أيضًا، حيث ينبغي أن تجري ملاحقة شروط الأشكال الاستدلاليّة في مصادر علم المنطق. تمثّل مغالطات وضع التّالي ورفع المقدم، نماذج للاستدلالات التي لم تراع فيها شروط الصّورة أو الشّكل. قد ذكر المنطق الكلاسيكي تلك الأدلّة التي لم تستوف شروط الشّكل تحت عنوان مغالطة سوء التّأليف.

٥ – نقد المبادئ : لابدّ في تناولنا لقضيّة مّا وملاحظتنا لتبريرها أن نتولّى نقد مقدّماتها ومبادئها كذلك. إنّ كثيرًا من القناعات التي تبدو مبرّرة، تقوم في الحقيقة على مبادئ ومقدّمات غير مبرّرة، أو لم تدعمها الأدلّة.

---

[1] – دهخدا، علي اكبر، **لغت نامة (قاموس دهخدا)**، مادّة تناقض.

٦ – تحليل اللّوازم : يمثّل التّساؤل حول ما يلزم من القضيّة وفيما يتّصل بتواليها المنطقي، واحدًا من أساليب نقد القضايا. إنّ كلّ قضيّة تؤدّي إلى أمر كاذب، فهي كاذبة أيضًا، على أساس قاعدة نقض التّالي.

٧ – البحث عن الأدلّة البديلة : إنّ أقيسة الممانعة والمعارضة هي أسلوبان لنقد تبرير القضايا. فقياس المعارضة يثبت نقيض القضيّة المزعومة، بينما يتولّى قياس الممانعة تكذيب أقوى مقدّمات القياس الذي جرى تأليفه بهدف تبرير القضيّة المدّعاة. إن قياسي الممانعة والمعارضة يمثّلان في الواقع أدلّة بديلة تنافس الدّليل الذي يستهدف تبرير القضيّة المزعومة.

٨ – نقد الدّليل لا يعني نقد المدعى : إنّ نقد الدّليل أو دحضه يعبّر وحسب عن ثغرة يعانيها هذا الدّليل، وفيما لو لم يتوفّر دليل آخر عليها، لا يعني بطلان تلك المقولة.

٩ – التّمييز بين نقد الدّافع ونقد النظريّة : ثمّة تأكيد على هذا المبدأ ورد في نصوص متعدّدة من السنّة، أوصت بأنّ النّاقد إلى ما قيل لا إلى شخص القائل. لا يعني ذلك القول بعدم أهميّة نقد الدّوافع، بل المقصود به أنّه لا يمكن أن نستنتج نقدًا للنظريّة ونتيجة الدّافع، من نقدنا للدّافع ذاته.

١٠ – الأدلّة الكافية : لابدّ أن تجري عمليّة التّبرير من خلال أدلّة كافية، فلو استخدمنا في العلميّة هذه أمرًا لا يمثّل دليلًا، أو كان دليلًا أعمّ من المدّعى، أو أخصّ منه، فإنّ التّبرير يتحوّل إلى مغالطة أخذ ما ليس بعلّة، علّة. فلو أخذنا الأدلّة في المذاهب السنيّة على العصمة، واستخدمناها في التّدليل على نظريّة العصمة بمفهومها الشّيعي، فمن الممكن إنّنا سنرتكب بذلك مغالطة "أخذ ما ليس بعلّة، علّة".

قراءة إضافيّة : القياس

١ – القياس المنطقي : (Syllogism)

ويعرف بالقياس الأرسطي، وهو "قول مؤلّف من أقوال إذا وضعت لَزِمَ عنها بذاتها، لا بالعرض، قولٌ آخر غيرها اضطرارًا." (ابن سينا، **النّجاة**، ترجمة، تحقيق: عبد الرحمن عميرة،١٩٩٢، دار الجيل للطّبع والنّشر، ص ٤٧) القياس هو لبّ المنطق وقاعدته الكبرى وما القواعد الأخرى إلاّ كالتّمهيد والتّوطئة، أو كالتّطبيقات المترتّبة عليه. وقد حظي القياس المنطقي باهتمام المناطقة وعلماء المنهج نظرًا لقيام البراهين العلميّة وحتّى الجدل، وكلّ أشكال الاستدلال عليه فهو كالصّورة بالنّسبة لها وهو الميزان الذى يمكن من خلاله معرفة صحّة البراهين والأدلّة والنّظر فى حجج الخصم لتأييدها أو إبطالها. وقد أمرنا الله تعالى فى كتابه العزيز قائلا :"**وزنوا بالقسطاس المستقيم**"[1] وقال تعالى : "**الله الذى أنزل الكتاب بالحقّ والميزان**"[2]. فهل المقصود بالوزن بالقسطاس المستقيم هنا استعمال موازين البرّ والشّعير؛ وهل المقصود بالميزان المقرون بالكتاب المنزل ذلك الميزان المادّي فقط؛ أم شيء آخر أعمّ من ذلك وأشرف ؟ فالقياس في المنطق الصّوري هو نوع من الاستدلال الاستنباطي غير المباشر، كالقول :

كلّ إنسان حيوان.

كلّ عاقل إنسان.

إذن : كلّ عاقلٍ حيوان.

٢ – أقسام القياس المنطقي :

والقياس المنطقي قسمان : اقتراني حملي واستثنائي شرطي.

٢ – ١. أولاً : الاقتراني الحملي :

وهو استدلال أو برهان مؤلّف بالكليّة من قضايا حمليّة، ولكلّ قياس مقدّمتان ونتيجة واحدة.

٢ – ١ – ١. القضايا الحمليّة أنواع أربعة :

١ . الكليّة الموجبة : (كلّ إنسان فان) ورمزيًا (كلّ أ هو ب).

٢ . الكليّة السّالبة : (لا إنسان خالد) رمزيًا (لا أ هو ب).

٣ . الجزئيّة الموجبة : (بعض الأمراض معديّة) رمزيًا (بعض أ هو ب).

٤ . الجزئيّة السّالبة (ليس بعض الأمراض معديًا) رمزيًا (ليس بعض أ هو ب).

---

[1] – الاسراء / ٣٥

[2] – الشّورى / ١٧

فالقياس الحملي (categorical syllogism) هو استلزام قضيّة حمليّة تسمّى النّتيجة من قضيّتين حمليّتين هما المقدّمتان، وتشترك كلّ من المقدّمتين بأحد الحدّين مع المقدّمة الأخرى، وبالحدّ الآخر مع النّتيجة، والحدّ المشترك بين المقدّمتين هو الحدّ الأوسط. أمّا الحدّان الباقيان فما كان منهما موضوعًا للنّتيجة سمّي الحدّ الأصغر، وما كان محمولاً في النّتيجة الحدّ الأكبر.

ويكون القياس سليمًا منتجًا إذا حُقِّق بالقواعد العامّة للقياس وهي الآتية :

١ . أن يتألّف القياس من ثلاث قضايا، اثنتين منها تشكّلان المقدّمتين، والثّالثة تلزم عنهما ضرورة، وهي النّتيجة.

. أن يتألّف القياس من ثلاثة حدود فقط.

. أن يستغرق الحدّ الأوسط في واحدة من المقدّمتين على الأقل.

. ألاّ يستغرق في النّتيجة حدّ ما لم يكن مستغرقاً في إحدى المقدّمتين.

. ألاّ يكون إنتاج من مقدّمتين سالبتين.

. ولا إنتاج هناك من جزئيّتين.

. وإذا كانت إحدى المقدّمتين سالبة؛ فالنّتيجة سالبة.

. وإذا كانت إحدى المقدّمتين جزئيّة؛ فالنّتيجة جزئيّة.

. ولا إنتاج من مقدّمة كبرى جزئيّة وصغرى سالبة.

٢ -١ - ٢. أشكال القياس وضروبه :

للقياس أشكال أربعة تبعًا لموقع الحدّ الأوسط في المقدّمتين.

وهو في الشّكل الأوّل : موضوع في المقدّمة الكبرى ومحمول في الصّغرى.

وفي الثّاني : محمول المقدّمتين.

وفي الثّالث : موضوع المقدّمتين.

وفي الرّابع : الحدّ الأوسط محمولاً في مقدّمته الكبرى وموضوعًا في مقدّمته الصّغرى.

وقد حدّد أرسطو قواعد خاصّة لكلّ شكل من أشكال القياس، وهي :

أن تكون المقدّمة الكبرى كليّة، والمقدّمة الصّغرى موجبة، في الشّكل الأول.

وأن تكون إحدى المقدّمتين سالبة، والكبرى كليّة في الشّكل الثّاني.

وأن تكون المقدّمة الصّغرى موجبة، والنّتيجة جزئيّة في الشّكل الثّالث.

أمّا الشّكل الرّابع فقواعده : إذا كانت كبراه موجبة وجب أن تكون صغراه كليّة، وإذا كانت صغراه موجبة وجب أن تكون نتيجته جزئيّة، وإذا كانت إحدى المقدّمتين سالبة وجب أن

تكون الكبرى كليّة. ولكلّ شكل من هذه الأشكال الأربعة ضروب تتوقّف على اختلاف الكمّ والكيف في القضايا التي تتألّف منها، وقد يتّحد الكمّ والكيف في شكلين مختلفين، وقد يختلفان في الشّكل الواحد، وبعض هذه الضّروب منتج، وبعضها غير منتج.

٢ -١ - ٣. ضروب الأشكال :

وقد وضع المناطقة منذ العصور الوسطى للضّروب قواعد ردّها بأسماء لاتينيّة لامعنى لها، ولكنّها تساعد على الحفظ والتذّكر، ولذلك سمّوها المنشطة للذاكرة.

ضروب الشّكل الأوّل المنتجة أربعة وهي :

١ - ضرب Barbara، هو ما كانت مقدّمته الكبرى كليّة موجبة والصّغرى كليّة موجبة ونتيجته أيضًا كليّة موجبة.

٢ - ضرب Celarent، هو ما كانت مقدّمته الكبرى كليّة سالبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته كليّة سالبة.

٣ - الضّرب الثّالث، هو ما كانت كبراه كليّة موجبة وصغراه جزئيّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٤ - الضّرب الرّابع، هو ما كانت كبراه كليّة سالبة وصغراه جزئيّة موجبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

ضروب الشّكل الثّاني : المنتجة أربعة كذلك وهي :

١ - الضّرب الأوّل : Camestres، هو ما كانت كبراه كليّة موجبة وصغراه كليّة سالبة ونتيجته كليّة سالبة.

٢ - الثّاني : Cesare، هو ما كانت كبراه كليّة سالبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته كليّة سالبة.

٣ - الثّالث: Baroco، هو ما كانت كبراه كليّة موجبة وصغراه جزئيّة سالبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

٤ - الرّابع : Festino، هو ما كانت كبراه كليّة سالبة وصغراه جزئيّة موجبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

في حين ضروب الشّكل الثّالث المنتجة ستّة :

١ - Darapti، هو ما كانت كبراه كليّة موجبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٢ - Datisi، هو ما كانت كبراه كليّة موجبة وصغراه جزئيّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٣ - Felapton، هو ما كانت كبراه كليّة سالبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

٤ – Ferison، هو ما كانت كبراه كليّة سالبة وصغراه جزئيّة موجبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

٥ – Disamis، هوما كانت كبراه جزئيّة موجبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٦ – Bocard، هو ما كانت كبراه جزئيّة سالبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

وضروب الشّكل الرّابع المنتجة خمسة ويكون :

١ – كبراه كليّة موجبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٢ – كبراه كليّة موجبة وصغراه كليّة سالبة ونتيجته كليّة سالبة.

٣ – كبراه جزئيّة موجبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٤ – كبراه كليّة سالبة وصغراه كليّة موجبة ونتيجته جزئيّة موجبة.

٥ – كبراه كليّة سالبة وصغراه جزئيّة موجبة ونتيجته جزئيّة سالبة.

ويعدُّ الشّكل الأوّل أكمل الأشكال وجميع ضروبه يقينيّة. أمّا الأشكال الباقية فتعدّ أشكالاً ناقصة، لايمكن التأكّد من يقينيّتها إلاّ بردّها للشّكل الأوّل.

٣ – ٢. القياس الشرطي conditional :

وهو القياس الذي يحوي قضيّة شرطيّة واحدة على الأقل، وهو أنواع عدّة :

١ – القياس الشّرطي الخالص (المطلق) pure : وهو ما كانت قضاياه الثّلاث شرطيّة سواء أكانت شرطيّة متّصلة أم شرطيّة منفصلة.

٢ – القياس الاستثنائي المختلط (mixed) وهو نوعان :

٢ – ١. القياس الفرضي الحملي hypothetico-categorical : وهو ما كانت مقدّمته الكبرى قضيّة شرطيّة متّصلة و صغراه حمليّة ونتيجته حمليّة.

٢ – ٢. القياس المنفصل الحملي disjunctive : وهو ما كانت مقدّمته الكبرى شرطيّة منفصلة ومقدّمته الصّغرى حمليّة ونتيجته حمليّة.

٣ – قياس الإحراج dilemma :

وهو ما كانت مقدّمته الكبرى مؤلّفة من قضيّتين شرطيّتين متّصلتين ومعطوفتين ومقدّمته الصّغرى قضيّة شرطيّة منفصلة، إمّا أن تثبت مقدّمة الكبرى أو أن تنكر التّاليتين منها، وتكون نتيجته إمّا حمليّة أو شرطيّة منفصلة. وسواء كان القياس اقترانيًا أم استثنائيًا، فله أنواع أهمّها :

١ – البرهاني : الذي يتألّف من مقدّمات واجب قبولها، ويؤدّي إلى تصديق يقيني.

٢ – الإقناعي : وهو جدلي وخطابي.

٢ – ١. الجدلي : مؤلّف من القضايا المشهورة المسلّمة لإلزام الخصم، وهو يؤدّي إلى تصديق أقرب إلى اليقين.

٢ – ٢. الخطابي : فمؤلّف من قضايا ظنيّة ومقبولة ليست مشهورة، لإقناع من هو قاصر عن إدراك البرهان.

٣ – الشّعري : وهو الذي لا يوقع تصديقاً البتّة، ولكن تخيّلاً فقط، فيرغب النّفس في شيء أو ينفرها منه.

٤ – السّوفسطائي : «وهو الذي يتراءى أنّه برهاني أو جدلي ولا يكون كذلك».

أمّا القياس المركّب polysyllogism فهو صنفان :

١ – يجمع بين قياسين أو أقيسة عدّة تكون نتيجة مقدّمة للقياس الثّاني ونتيجة الثّاني مقدّمة للثّالث، لهذا سمّي بالقياس المركّب الموصول النّتائج.

٢ – القياس المركّب المفصول النّتائج Sorites؛ ومؤلّف من قياسين أو أكثر حذفت جميع نتائجه ما عدا النّتيجة الأخيرة و صورته الرمزيّة.

٥ – القياس المضمر enthymeme : وهو قياس لايتّبع القواعد المعروفة ويكون بحذف إحدى المقدبمتين أو النّتيجة بحيث يفهم الجزء المحذوف ضمنًا، فإذا كانت المقدّمة الكبرى هي المحذوفة سمّي إضمارًا من الدّرجة الأولى. مثال : أنا أدّيت واجبي، إذن أنا سعيد.

وإذا كانت المقدّمة الصّغرى هي المحذوفة سمّي الإضمار من الدّرجة الثّانية. مثال : كلّ من يؤدّي واجبه فهو سعيد، إذن أنا سعيد.

وإذا حذفت النّتيجة فقط سمبي إضمارًا من الدّرجة الثّالثة. مثال : كلّ من يؤدّي واجبه فهو سعيد، وأنا أدّيت واجبي.

٣ – ٢ – ١. القياس والعلم :

الاستنتاج القياسي وسيلة من وسائل العلم، تساعد على إنجاز العمل العلمي من دون أيّ خطأ، لأنّه يبني قضاياه بناءً استنباطيًا، بحيث تكون بعض القوانين مقدّمات (مسلّمات) ويستنتج منها قضايا جديدة مستمدّة من عمليّات منطقيّة ملزمة. ولاسيّما أنّه لايمكن إضفاء صفة الضّرورة المنطقيّة على بعض القوانين في شروط معيّنة إلاّ على أساس استنتاجي. إذ إنّ نتائج الاستنتاج المنطقي تتّصف باليقين التّام، لأنّها تلزم لزومًا ضروريًا عن المقدّمات، في حين نتائج الاستقراء أو غيره من الأساليب تبقى في مستوى الاحتمال، وقلّما ترقى إلى درجة اليقين العلمي.

فالقياس بالتآزر مع جميع الأساليب والوسائل العقليّة المنهجيّة يسير بنا إلى اكتشاف الحقائق وسبر المجهول لزيادة آفاق المعرفة والتطوّر.(مرجع للاستزادة : عبد الرحمن بدوي، **المنطق الصّوري والرّياضي**، منشورات دار الذّخائر، قم، إيران ١٣٦٨هـ).

٤ – تطبيق قرآني :

وعلى سبيل التّطبيق لأنواع القياس يقول الغزّالي : " أتظن أنّ الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البرّ والشّعير والذّهب والفضّة ؟! أو تعتقد أنّ الميزان المقابل وضعه برفع السّموات والأرض هو القبّان ؟! واعلم أنّ هذا الميزان هو ميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته".(الغزّالي، **القسطاس المستقيم**، ص ١٤–١٥) ومن ثمّ يشرع الغزّالي في استنباط أشكال القياس وصوره من القرآن الكريم :

أ. فاستنبط الشّكل الأوّل من قوله تعالى : "**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**"[١]وسمّاه الميزان الأول من موازين التّعادل، وقال إنّه في قوّة : كلّ من يقدر على إطّلاع الشّمس فهو إله. (أصل معلوم بالوضع والاتّفاق)

وإلهي هو القادر على إطّلاع الشّمس. (أصل معلوم بالمشاهدة)

إلهي هو الإله دونك. وقال إنّ ذلك هو ما أثنى به الله تعالى على إبراهيم الخليل (عليه السّلام) بقوله : "**وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنّ ربك حكيم عليم**"[٢]

ب– واستنبط الشّكل الثّاني وسمّاه الشّكل الثّاني من موازين التّعادل من قوله تعالى : "**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**"[٣] وقال إنّه في قوّة :

الكوكب آفل (معلوم بالحسّ)

والإله ليس بآفل (معلوم بالنّظر)

الكوكب ليس بإله (الغزّالي، **القسطاس المستقيم**، ص ٢٨)

وكذلك قوله تعالى : "**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ**".[٤]

---

[١] – البقرة / ٢٥٨

[٢] – الأنعام / ٨٣

[٣] – الأنعام / ٧٦

[٤] – المائدة / ١٨

وقوله تعالى : "**قل يا أيّها الذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء لله من دون النّاس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين**".[1]

ج- واستنبط الشّكل الثّالث من قوله تعالى : "**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ**".[2]

ويرى أنّ وجه الوزن بهذا الميزان أن تقول :

موسى (عليه السّلام) من البشر (أصل معلوم بالحسّ)

موسى (عليه السّلام) أنزل عليه الكتاب (معلوم باعترافهم)

بعض البشر أنزل عليه الكتاب.

ويبطل بذلك دعواهم العامّة بأنّه لا ينزل الكتاب على بشر أصلاً (الغزّالي، **القسطاس المستقيم**، ص ٣٢-٣٣).

د- واستنبط الميزان الرّابع أو الشّرطي المتّصل من قوله تعالى : "**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**".[3] وقوله تعالى : "**قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**".[4] قال إنّ تحقيق صورة هذا الميزان أن تقول : لو كان للعالم إلهان لفسد

ومعلوم أنّه لم يفسد

فيلزم عنه نفي أحد الإلهين (الغزّالي، **القسطاس المستقيم**، ص ٣٥-٣٨).

هـ- واستنبط الميزان الخامس أو الشّرطي المنفصل من قوله تعالى : "**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**"[5]

ثم قال : "لم يذكر (وإنّا أو إيّاكم)، في معرض التّسوية والتّشكيك، بل فيه إضمار أصل آخر وهو : لسنا على ضلال في قولنا إنّ الله يرزقكم من السّماء والأرض فإذن أنتم الضّالون بإنكاركم ذلك". (الغزّالي، **القسطاس المستقيم**، ص ٤٠)

---

١ - ٢. مغالطة أخذ ما ليس بعلّة علّة :

---

[1] - الجمعة / ٦

[2] - الأنعام / ٩١

[3] - الأنبياء / ٢٢

[4] - الاسراء / ٤٢

[5] - سبأ / ٢٤

السّؤال المهمّ هو : ما هي الحالات التي نواجه فيها هذه المغالطة بشكل عام، والتي تؤدّي بنا إلى أن نعتقد بوجود دليل مّا، بينما هو لا يمثّل دليلًا في حقيقة الأمر ؟ فنشير إلى عدد منها :

١ – عدم تكرّر الحدّ الأوسط : لابدّ أن يتكرّر الحدّ الأوسط على نحو دقيق في القياس الاقتراني، وثمّه أمثلة شائعة لعدم تكرّره من قبيل : إنّ في الجبل عينًا، وكلّ ما فيه عين فهو مبصر، ويبدو إنّ ذلك ينتج أنّ الجبل يبصر!. لكن نلاحظ إنّ الحدّ الأوسط (كلمة عين في المقدّمة الأولى) لم يتكرّر؛ لأنّه بمعنى نبع الماء، والعين في الثّانية هي عضو من جسم الإنسان.

ومن تلك الحالات يمكن أن نذكر، الاشتراك اللّفظي، ومغالطة الاسم والمسمّى، والخلط بين المفهوم والمصداق، ومغالطة الجزء والكلّ، والخلط بين ما بالقوّة وما بالفعل، وخلط الحيثيّات (لا بشرط، بشرط لا، بشرط شيء)، إضافة إلى الخلط بين ما بالذّات وما بالقوّة.[1]

٢– أن لا يكون الحدّ الأصغر واحدًا في الكبرى والصّغرى : تتضمّن المنظومة الاقتصاديّة الماركسيّة قضيّة تطرح بوصفها توجيهًا فلسفيًا وهي تقرّر إنّ الله أفيون الشّعوب. (نعوذً بالله). لدينا مبدأ الفرعيّة الذي يقرّر "أنّ ثبوت شيء لشيء هو فرع ثبوت المثبت له"، الأمر الذي يعني أنّ الضّرورة المنطقيّة تتطلّب وفق ذلك الاعتراف بوجود الله، على اعتبار أنّ الله هو "المثبت له" أو المسند إليه في القضيّة التركيبيّة الأولى.[2]

لكن هذا الاستدلال إنّما يكون صحيحًا، على تقدير أن يكون المقصود بالله في القضيّة الأولى، هو عين ما يراد به في النّتيجة، بينما نجد إنّ الماركسيّين

---

[1] – قراملكي، أحد فرامرز، **منطق، (المنطق)**، طهران، جامعة بيان نور، ١٣٧٤ ش.، مجلّدين، ج٢، ص ٤٩.

[2] – الحائري اليزدي، مهدي، **متافيزيك (الميتافيزيقيا)**، إعداد؛ عبدالله نصري، طهران، نهضت زنان مسلمان، ١٣٦٠ ش.، ص ١٣– ١٤.

يريدون بالله في القضيّة الأولى حالة الإيمان بالله، بينما تعني كلمة الله في النّتيجة الذّات الإلهيّة الموجودة. وهكذا فإنّ الحدّ الأصغر لم يتكرّر في الصّغرى والنّتيجة وقد وقع هذا الاستدلال في مغالطة (أخذ ما ليس بعلّة، علّة).

مثال آخر على ذلك في كلام الفخر الرّازي، حيث يحاول الرّد على نظريّة الفلاسفة فيما يتّصل بقولهم : (الحقّ ماهيّته إنّيته)[1] ويقيم أدلة على موقفه المعارض. يقول : "إنّ وجود الله معلوم، وماهيّته غير معلومة، والمعلوم مغاير لغير المعلوم، إذن فوجود الله غير ماهيّته"). لكن دليله هذا ناقص، كما أوضح الطّوسي، لأنّ المراد بوجود الله في الصّغرى، هو مفهوم الوجود (وإلاّ لكذبت الصّغرى) بينما المراد منه في النّتيجة هو حقيقة وجود الله، وهكذا فإنّ الدّليل لاصلة له بالدّعوى.[2]

٣ – عدم وحدة الحدّ الأكبر في الكبرى والنّتيجة : هذه مغالطة شبيهة بالحالة الثّانية، ولم يتكرّر فيه الحدّ الأكبر في الكبرى والنّتيجة على وجه الدّقة، الأمر الذي يجعله من "أخذ ما ليس بعلّة، علّة".

– الحسن والقبح متغيّران.

– والذّاتي لايتغيّر.

– إذن فالحسن والقبح ليسا بذاتيّين.

٤ – استنتاج إدراكات اعتباريّة، من مقدّمات حقيقيّة محضة : تمثّل هذه الحالة مسألة أثير حولها الخلاف عند فلاسفة الأخلاق. فرغم إنّ الإدراكات الحقيقيّة هي مصدر الإدراكات الاعتباريّة على المستوى النّفسي السّيكولوجي، غير إنّها تظلّ عاجزة على المستوى المنطقي، عن تبرير الإدراكات الاعتباريّة ودعمها بالدّليل.

---

[1] – ملاصدرا الشّيرازي، محمّد بن ابراهيم، **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة**، ج١ ص٩٦، ج٦ ص ٤٨.

[2] – الطّوسي، **شرح الإشارات**، ج٣، ص ٣٦.

٥ – استنتاج تصديقات علميّة من مقدّمات مظنونة أو مسلّمة أو وضعيّة أو اعتباريّة أو شعريّة : من المنتظر في البحث العلمي، أن نحصل على تصديقات علميّة أو يقينيّة تتكوّن من ثلاثة عناصر، هي التّصديق والثّبات والتّطابق مع الواقع. إنّ النّتيجة تتبع أخسّ المقدّمات وأدناها، فيما يتّصل بشكل الدّليل أو مادّته. وبالتّالي فإنّ وجود مقدّمة أدنى من مستوى اليقين في عمليّة الاستدلال، يعني أن لا يمكن أن تكون النّتيجة يقينيّة. الأمر الذي يعبّر عن عدم إمكان اللّجوء في برنامج البحث، إلى الشّعر والخيال والمسلّمات والخطابيّات، لإثبات فرضيّة علميّة. وتمثّل الأدلّة القائمة على أساس لغوي، احدى الحالات الهامّة لإنتاج تصديق علمي من مقدّمات اعتباريّة.

٦ – استنتاج قضيّة وجوديّة من مقدّمات كليّة بالكامل : يمارس المناطقة الجدد تحليل بنية المفهوم في القضايا الجزئيّة (ولذلك يعبّرون عن هذا بالتّحليل الوجودي)، غير إنّ القضيّة الوجوديّة في المنطق الحديث، تمتلك مضمونًا أكثر من كلّي. إنّ القضيّة الكليّة تمثّل حكمًا بالتّقارن الحتمي بين العقدين (عقد الوضع وعقد الحمل)، بينما تعبّر القضيّة الجزئيّة حكمًا بوجود أمر هو إطار يتحقّق فيه تقارن (فعلي آني) على سبيل الاتّفاق، بين العقدين. وعلى هذا الأساس فإنّه لايمكن تكوين قضيّة وجوديّة من مقدّمات كليّة محضة.

٧ – كون الدّليل أعم أو أخصّ من الدّعوى : لابدّ للدّليل أن يتناسب مع الدّعوى. لو أراد أحدهم أن يدللّ على إنّ النظريّة الفلانيّة تنتمي إلى علم الكلام، فلا يكفيه في ذلك القول بأنّها نظريّة تتّصل بالبحث الديني، لأنّ هذا في حقيقة الأمر دليل أعمّ من الدّعوى، لأنّ انتماءها إلى البحث الدّيني يعني حقلًا أوسع من علم الكلام ويشمل مختلف مستويات البحث الديني.

٨ – دحض الدّعوى من خلال دحض الدّليل : إنّ واحدًا من أساليب نقد الخطاب، يتمثّل في نقد أدلّته من حيث كونها متكاملة ومستوفية لشروط الشّكل الاستدلالي، وفيما يتعلّق بصحّة المقدّمات. لكن نقد الأدلّة لا يعني سوى تحديد

ما تعانيه من ثغرات وما يكتنفها من نقص في أدلّتها. إنّ دحض الدّليل لا يعبّر إلاّ عن وجود خلل في هذا الدّليل المحدّد، ولو لم يقدّم صاحب النظريّة دليلًا آخر؛ فإنّ نظريّته ستظلّ دون دليل، ومن المؤكّد إنّ عدم توفّر الدّليل لا يعني البطلان.

٩- إثبات قضيّة حقيقيّة عبر مقدّمات خارجيّة محضة : إنّ الكليّة في القضايا الخارجيّة هي على نحو لا يتيح لعمليّة الاستدلال ان توظّف مقدّمات خارجيّة للتّوصل إلى نتيجة حقيقية. ذلك أنّ نطاق الحكاية في الأحكام الخارجيّة محدود أولًا، بينما من المفترض إنّ الأحكام في نتيجة الاستدلال تشتمل على المصاديق المحققّة والمقدّرة. وبالتّالي فإنّ دليلًا كهذا سيكون تعميمًا غير مبرّر.

ونلاحظ ثانيًا إنّ تقارن الحدود في العقدين ضمن القضيّة الخارجيّة، هو تقارن اتّفاقي (باسلوب العطف)، بينما هو في القضيّة الخارجيّة تقارن لزومي (شرطي).

وثالثًا إنّ استنتاج قضيّة حقيقيّة من مقدّمات خارجيّة محضة، يمثّل في الواقع استقراءً ناقصًا غير مبرّر.

١٠ – استنتاج قضيّة خارجيّة من مقدّمات ذهنيّة : يمكن أن نعبّر عن هذه المغالطة بأنّها خلط بين أحكام الذّهن وأحكام الخارج، وهي شائعة للغاية. تنشأ هذه المغالطة في سياق مبدأ الفرعيّة الذي يقرّر (إنّ ثبوت شيء لشيء، هو فرع ثبوت المثبت له). إنّ النّسبة أو الإسناد الذّهني التّجريدي يتّجه إلى الموضوع الذّهني، لا مصداق الموضوع الخارجي. وهكذا فإنّه لايمكن أن نستنتج من القضايا الذّهنيّة المحضة، قضايا خارجيّة، ناهيك عن القضايا الحقيقيّة طبعًا.

١١ – استنتاج قضايا ضروريّة ودائمة من مقدّمات فعليّة صرفة : وقد أسّس البعض قاعدة تقرّر : "إنّ النّتيجة من حيث جهة القضيّة، تتّبع أخسّ المقدّمتين" لتجنّب المغالطة هذه.

٢ – التّفسير :

إنّ بحثي التّعريف والوصف هما في حقيقة الأمر مقدّمة للتوصّل إلى دراسة شاملة، كما أنّ التّبرير يمثّل كذلك آليّة للتّحقيق من صدق التّفسير. ذكرنا سابقًا إنّ السّؤال بـ (لم) مركّب من سؤالين هما : سؤال حول الدّليل يجاب عليه من خلال عمليّة التّبرير، وسؤال عن السّبب يجاب عليه عبر عمليّة التّفسير، شريطة أن يعتمد على قانون عام.

حين يجري التّساؤل حول السّبب في سقوط حضارة الرّومان، ويجاب على ذلك مثلًا بالإشارة إلى الفساد الدّاخلي النّاشئ عن الطّابع المركزي للسّلطة، فإنّ ذلك يمثّل تفسيرًا لسقوط حضارة الرّومان، شريطة أن نلاحظ قانون التّرابط بين الفساد النّاشئ عن الطّابع المركزي للسّلطة، وسقوط الحضارات، ويكون في وسعنا القول بأنّه قانون مبرّر.

وحيث أنّ التّفسير يستند إلى قانون عام، فإنّ عمليّة التّفسير توصف بأنّها تنتمي إلى ذلك العلم الذي حصلنا منه على القانون، فثمّة تفسير سيكولوجي، وآخر اجتماعي، وثالث كلامي... وهكذا فيما يتعلّق بمنهج التّفسير، فهناك التّفسير التّجريبي والأسطوري والميتافيزيقي و... .

إنّ المهمّ في عمليّة التّفسير هو قابليّتها إلى التّنوع، إذ يمكن تقديم تفسيرات متنوّعة لظاهرة واحدة. كما إنّ التّفسيرات التي تتّجه نحو مستوى واحد من قبيل التّفسيرات التّجريبيّة، لا تعني بالضّرورة أنّ كلًا منها منافس للآخر يتقاطع معه. يمكن أن نفسّر ظاهرة كالانتحار، عن أساس فلسفي، كما يمكن أن نقدّم لها تفسيرًا اجتماعيًا. وهذا التعدّد ناشئ عن وجود أصول متعدّدة في المسألة التي نتولّى تفسيرها.

إنّ تفسير التجريبيّة الدينيّة على أساس نفسي، لا يتنافي مع التّفسيرات الميتافيزيقيّة، كما لا يعني اتّخاذ موقف بالحكم على حقانيّة التّجربة هذه أو عدمها. إنّ الظّواهر الدينيّة تنحصر في حالات خاصّة جدًا، كما أنّها تنطوي ثانيًا على أبعاد متعدّدة ومستويات مختلفة، على نحو يجعل من الصّعب إقحامها في إطار القوانين العامّة عبر الأدوات التجريبيّة، وهي ثالثًا تحظى بتنوّع شديد على مستوى التّقييم؛ الأمر الذي يجعل من الصّعب اعتماد نموذج تفسيري واحد لشتّى الدّراسات الدينيّة.

٢ – ١. قواعد استراتيجية في عملية التفسير :

٢ – ١ – ١. البحث عن تعليلات متنوّعة : يلعب الاهتمام بتعدّد التّفسيرات المتّصلة بأمر واحد، دورًا مؤثرًا في تجنّب الاختزال المنهجي. وسنتحدّث عن هذه النّماذج في الفصل المخصّص للدّراسات البينيّة للتخصصّات. وفي ضوء ذلك فإنّ الجزم بواحد من التّفسيرات والغفلة عن ما سواه، أو تجاهله أو إنكاره، يمثّل واحدًا من الأخطاء الرّئيسة في سياق التّفسير. حين نقدّم نظريّة في تفسيرنا لأمر ما، فعلينا أن نتساءل : هل يمكن يا ترى أن نتولّى تفسير ذلك على نحو آخر وعبر نظريّة أخرى ؟ ولو كان الأمر كذلك، فما هي العلاقة بين النظريّة المعتمدة والتّفسيرات الأخرى ؟

٢ – ١– ٢. قابليّة التّفسير للنّقد والتّقييم : نلاحظ أنّ الاستعانة بالقضايا التي تبدو في ظاهرها تفسيرًا، بينما هي ليست كذلك في واقع الأمر، ويمثّل هذا واحدًا من أساليب تجاوز المسألة بدلًا عن معالجتها. ولذلك يمكن أن نتساءل فيما يتّصل بعمليّة التّفسير : ما هو المنهج الذي يتيح لنا اختبار مدى نجاح النظريّة المطروحة في عمليّة التّفسير ؟

٢ – ١ – ٣. تجنّب النظريّات القائمة على افتراض عوامل خفيّة : يمثّل تفسير الأحداث التاريخيّة الكبرى، بمؤامرة تنفذها عناصر خفيّة، مصداقًا للرؤية السّاذجة والسطحيّة في عمليّة التّفسير. وهذا الخطأ يمثبل في حدّ ذاته واحدًا من

حالات تجاوز المسألة وتخطّيها، بدلًا عن معالجتها، فيقع على عاتق الباحث أن يكشف عن العوامل الخفيّة ويظهرها، وإلاّ فإنّ جهده البحثي سينمى بالفشل.

٢ – ١ – ٤. الاهتمام بالهدف العلمي في التّفسير : يمكن أحيانًا أن نقدّم تفسيرات مختلفة لظاهرة واحدة، لكن واحدًا منها وحسب هو الذي يؤدّي الهدف المطلوب في علم محدّد.

٢ – ١ – ٥. تجنّب الوهم بسببيّة أمر مقارن : تؤدّى الرؤية التسطيحيّة السّاذجة إلى حصول هذا الخطأ، وقد لجأ المنطق الكلاسيكي إلى قاعدة (الاتّفاقي) لتجنّب ذلك. يعتقد هذا الاتّجاه إنّ المقارنة بين أمرين لا تعني بالضّرورة وجود علاقة سببيّة بينهما، لكن هذا التّقارن إذا كان دائميًا أكثريًا، فيمكن القول بأنّ بينهما علاقة سببيّة.

٢ – ١ – ٦. تجنّب الوهم بسببيّة الدّليل : العلّة أو السّبب بالمفهوم العام، هو الذي يتيح تفسير الظّاهرة، والمراد به الواسطة في الثّبوت والوجود، أو العلّة الثبوتيّة؛ والدّليل يشمل نطاقًا واسعًا، فهو يتضمّن العلل والمعلولات وآثار الشيء ومعلولاته الأخرى. ومن الممكن أن تكون كلّ الأشياء هذه دليلًا على نحو أو آخر، غير أنّها تظلّ عاجزة عن تفسير الظّاهرة. إنّ توهّم سببيّة الدّليل من أبرز مصاديق الخلط بين أحكام الذّهن والخارج.

الملخّص :

١	الفطري البديهي
٢	الحدسي
٣	الموهوب (الإشراق من قوة قدسيّة)
٤	نظري (مستنتج عبر الاستدلال، من الفطري والحدسي)

الجدول ٦-٤ : أقسام التّبرير حسب رأي صدر المتألّهين

١	تقدم الفهم على النقد.
٢	البحث عن تناقض ذاتى في القضية
٣	تجري دور في تبرير القضية
٤	ملاحظة توافر المواصفات الصورية في الدليل
٥	نقد المبادیء
٦	تحليل اللوازم
٧	تحرّي الادلّة البدلية (قياسي المعارضة والممانعة)
٨	نقد الدليل لايعني نقد الزعم.
٩	التمييز بين الدافع ونتيجته.
١٠	ملاحظة مدى كفاية الادلة

الجدول رقم ٦- ٥ : قواعد استراتيجية في عملية التبرير

حالات (أخذ ما ليس بطة علة)	
١	عدم تكرّر الحدّ الأوسط
٢	عدم تكرار الأصغر في الصّغرى والنّتيجة
٣	عدم تكرار الأكبر في الكبرى والنّتيجة
٤	استنتاج تصديق علمي من مقدّمات ظنيّة أو مسلّمة أو وضعية أو اعتباريّة أو شعريّة
٥	استنتاج قضيّة وجوديّة من مقدّمات كليّة بالكامل

٦	**كون الدّليل أعم أو أخصّ من الدّعوى**
٧	**إثبات قضيّة حقيقيّة عبر مقدّمات خارجيّة محضة**
٨	**استنتاج قضيّة خارجيّة من مقدّمات ذهنيّة**
٩	**استنتاج قضايا ضروريّة ودائميّة من مقدّمات فعليّة صرفة**

الجدول رقم ٦- ٦ : حالات أخذ ماليس بعلة، علّة

قواعد استراتيجيّة في التّفسير	
١	**البحث عن تفسيرات متنوّعة**
٢	**قابليّة التّفسير للنّقد والتّقييم**
٣	**تجنّب النظريّات القائمة على عوامل خفيّة**
٤	**الاهتمام بالهدف العلمي في التّفسير**
٥	**تجنّب الوهم بسببيّة أمر متقدّم**
٦	**تجنّب الوهم بسببيّة أمر مقارن**
٧	**تجنّب الوهم بسببيّة الدّليل**

الجدول رقم ٦ – ٧ : قواعد استراتيجيّة في التّفسير

تمرين

١ – ماهي المسائل والمستويات الرّئيسة للبحث في الدّراسات الدينيّة ؟

٢ – ماهي الأسئلة للدّين للمخاطب في القراءة التقليديّة؛ إشرح الجواب ؟

٣ – اكتب بحثًا وإشرح فيه أنواع القياس من القرآن الكريم، وقدّم أمثلة لكلّ منها. ٤ – ما هو المنهج الصّحيح لإقامة الدّليل، وما هي الخيارات العقيمة ؟

٥ – ما هو الفرق بين القراءة الجديدة والتّقليديّة للدّين ؟

٦ – عرف عن المقياس في انتقاء التّفسيرات المختلفة وتقييمها، وكيف لنا أن نحدّد صلاحيّة تفسير معيّن في مجال الأبحاث الدينيّة ؟

٧ – كيف يمكن لنا تجنّب الوقوع في مغالطة الخلط بين الدّليل والسّبب ؟

٨ – ما هي حقيقة التّباين بين التّبرير والتّفسير؟

الفصل السّابع

المناهج والاتّجاهات

تمهيد

إنّ مفردتي المنهج (Method) والإتّجاه (opproac) خاضعتان نوعًا مّا إلى قاعدة "إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا"، أي انّهما يستخدمان بوصفهما كلمتين مترادفتين، كما يستخدمان أيضًا بوصفهما كلمتين، متباينتين يقع كلّ منهما قسيمًا للآخر. وحين تستخدم الكلمتان على نحو منفصل عن بعضهما، فإنّهما في الغالب تدلّان على معنى واحد ويشملان بعضهما. أمّا حين يجري استخدامهما معًا في النّص، فإنّ كلًّا منهما يحمل مفهومًا خاصًا ويقع قسيمًا للآخر. ولذلك فإنّ المقصود ببحث المنهج تحديد المناهج والاتّجاهات.

نريد بمفهوم الاتّجاه أسلوبًا للاقتراب من المسألة وطريقًا لايضاح النظريّة والعثور على الفرضيّات، بينما نقصد بالمنهج أداة في نقد الفرضيّة المتبلورة وتقييمها. وفي ضوء ذلك فإنّ الاتّجاه يتّصل بسياق الملاحظة والاكتشاف بينما يتّصل المنهج بسياق الحكم والتّقييم.

قال فايرابانْد[1] في نقده للتّمييز بين هذين المفهومين، ومن الأبعاد الأساسيّة التي يتميّز بها الاتّجاه عن المنهج هو : إنّ اتّجاه العلماء أو طريقتهم في الاقتراب من محور البحث، أمر يخضع لأذواقهم وعقليّاتهم وتصوّراتهم، أي إنّه أمر مفتوح حرّ غير أنّ المنهج يمثّل أداة تقييم عامّة، لأنّ سياق الحكم لابدّ أن

[1] – بول فايرابانْد (Paul Feyerabend)، (١٩٢٤–١٩٩٤) كان فيلسوفًا مهتمًا بمجال العلوم، نمساوي الأصل. عرفت أفكاره بالفوضويّة، أي رفض وجود نسق علمي ثابت ونهائي، إذ رفض الثّقة المطلقة في العلم واعتبر الدحضانيّة أو قابليّة النظريّة العلميّة للتّكذيب معيارًا أساسيًا للتّمييز بين النظريّة العلميّة وغير العلميّة. من أهم مؤلّفاته : "ضدّ المنهج"، "العلم في المجتمع الحرّ"، "أوراق فلسفيّة"، "وداعًا أيّها العقل".

يكون على نحو يتيح للجميع أن يمارسوا عمليّة التّقييم. من المهمّ جدًا في سياق الحكم أن نتساءل : من أين لك هذا ؟

تمثّل التّساؤلات الأساسيّة في هذا الفصل، بحثًا عامًا بأقسام مناهج البحث واتّجاهاته، في مجال الأبحاث الدينيّة. ما هي المناهج والاتّجاهات في الأبحاث الدينيّة، وبماذا تمتاز ؟

هل تتباين المناهج والاتّجاهات في الحقول المختلفة، وما يتطلّبه كلّ منها ؟

هل ثمّة منهج واحد في الدّراسات الدينيّة، أو يمكن الاستعانة بمناهج متعدّدة في معالجة مسألة واحدة ؟

كيف يمكن أن نقوم بترتيب الاتّجاهات والمناهج وتحديد مستوياتها ؟

تنوّع المناهج والاتّجاهات

أهداف التعلّم :

- التعرّف على المناهج والإتّجاهات، تعاريفها، وأبعاد تميّزاتها عن بعضها البعض.
- أقسام مناهج البحث واتّجاهاته في مجال الأبحاث الدينيّة ومميّزاتها.
- تباين المناهج والاتّجاهات في الحقول المختلفة، ومتطلّبات كلّ منها.
- هل ثمّة منهج واحد في الدّراسات الدينيّة لمعالجة مسألة واحدة، أم هناك مناهج متعدّدة ؟
- التعرّف على ترتيب الاتّجاهات والمناهج وتحديد مستوياتها.

١ - المناهج :

تمتلك الأبحاث الدينيّة مناهج متنوّعة، وذلك لسعة دائرة الموضوع ونطاق الإشكاليّات وتعقيد المسائل. نلاحظ أن المفسّرين مثلًا، يستخدمون مناهج متنوّعة في فهم النّص القرآني. يستعين إيزوتسو في تحليل المفاهيم الدينيّة في القرآن، بعلم السّيمانطيقا ومناهجه،[١] بينما يأخذ آخرون باتّجاه الهرمنيوطيقا.

ويتّجه علماء الكلام أحيانًا إلى استخدام منهج البرهان، وحينًا آخر بمنهج الجدل، أو المبرّرات التاريخيّة في بعض المسائل ثالثةً، وفي بعض الحالات إلى جانب المناهج الدينيّة الداخليّة. إنّ الأبحاث الدينيّة تتّسم بتعدّد المناهج[٢]، والتعدّد في المنهاج يلقي ضوءًا على أهميّة وجود خطّة بحث وبرنامج دقيق في

---

[١] - ايزوتسو، توشي هيكو، **خدا وانسان در قرآن (الله والانسان في القرآن)**، ترجمه؛ احمد آرام، ص ١ - ١٠.

[٢] - Polymethodic

استخدام المناهج، وعلى تقدير غياب الخطّة، فإنّ تعدّد المناهج يؤدّي إلى اختلاطها.

يؤكّد الباحثون في فلسفة الدّين على الاتّجاه التّحليلي-المنطقي، ويستخدمون أدوات تحليل المفاهيم والتّحليل اللّغوي...، في قراءة الظّواهر الدينيّة. يعتقد البعض إنّ ظواهر الدّين، هي الطّريق الوحيد لقراءة الدّين، في حين يعتقد آخرون إنّ الدّراسة التاريخيّة أسلوب مفيد في قراءة الدّين، وتجد أنّ البعض يؤكّدون على المعرفة الوجوديّة والعاطفة والشّعور فيما يتّصل بمعرفة الله، وعلى نحو المنهج الحصري، كما يرى اتّجاه آخر أنّ الدّراسات المقارنة تمثّل خيارًا مفيدًا. أخذت بعض الأوساط البحثيّة المتخصّصة في الشّأن الدّيني خلال العقود الأخيرة، في التّأكيد على الدّراسات البينيّة للمواضيع في البحث الدّيني، ويرون أنّ في ذلك ترميمًا وتعديلًا لثغرات المنهج في الأبحاث الكلاسيكيّة.

قراءة اضافيّة : الفينومينولوجيا

١ - الفينومينولوجيا أو علم الظّواهر :

الفينومينولوجيا أو الظّاهراتيّة هي مدرسة فلسفيّة تعتمد على الخبرة الحدسيّة للظّواهر كنقطة بداية، أي ما تمثّله هذه الظّاهرة في خبرتنا الواعية، ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظّاهرة وأساس معرفتنا بها. غير أنّها لا تدعي التوصّل لحقيقة مطلقة مجرّدة سواء في الميتافيزيقا أو في العلم، بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم. يمكن أن نرصد بداياتها مع هيغل كما يعتبر مؤسّس هذه المدرسة إدموند هوسرل، تقوم هذه المدرسة الفلسفية على العلاقة الديالكتية بين الفكرة والواقع.

٢ - اختلاف مفهوم الظاهراتيّة عند الفلاسفة :

يقول هوسرل أنّ عمليّة إدراك الماهيّات هي جوهر الفينومينولوجيا. شعار الفينومينولوجيا الهوسرليّة هو الاتّجاه إلى الأشياء ذاتها من خلال الوعي البشري الخالص. وبما أنّ هدف الفينومينولوجيا هو الوصول إلى الماهيّات، فقد انتهج هوسرل الايبوخيّة، أي التوقّف عن الحكم ووضع العالم المكاني الزماني بين أقواس، وعدم اعتماد الاعتقاد الطبيعي لهذا العالم. والتوقّف عن اتّخاذ أي موقف إثبات أو نفي إزاء وجود الموضوعات. (سماح رافع محمد،

الفينومينولوجيا عند هوسرل، ص.٩٣). يتساءل هوسرل : "هل هناك طريق ثالث في الفلسفة بين المثاليّة التي تقول أنّ الشّعور والوعي هو الخالق للعالم الخارجي المادّي، وبين الماديّة التي تقول أنّ الشّعور الانساني ليس الاّ انعكاسًا لما يجري في الطّبيعة والمجتمع" ؟

يقول هوسرل إنّ الموضوعات لها حقائق مستقلّة عن الذّات وتعتمد على ماهيّات ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزّمان وبتوالي المكان. ويمكن تشبيهها بالمحرّك الذي لا يتحرّك لأرسطو أو بالمثل الافلاطونيّة. تعتبر الفينومنولوجيا الفلسفة الاهمّ في عمليّة الانفصال عن الرّؤية الفكريّة لفلسفات القرن التّاسع عشر.

٣ - مراحل فلسفة هوسرل :

هوسرل فيلسوف الاشياء ذاتها، وهذا يعني الأشياء في لحمها وعظمها، بينما عند كانط تقف على عالم الظّواهر الذي يسلّم بوجود الاشياء في ذاتها (مفارقة) وبمحدوديّة قدرتنا على معرفتها. فالمراحل التي مرّ بها هوسرل تبدأ من المثاليّة النفسيّة التي ترجع مضامين الحقيقة إلى تمثّلات ذاتيّة وظواهر سيكولوجيّة.

في المرحلة الثّانية قدّم هوسرل بعدًا لهذا الاتّجاه النّفسي في كتابه مباحث منطقيّة. حيث قال إنّ الحقائق المنطقيّة ليست مستقلّة عن السّيكولوجيّة الفرديّة فقط، بل أيضًا مستقلّة عن الواقع. وفي المرحلة الثّالثة قدّم هوسرل في الكتاب نفسه نظريّته في القصديّة التي تمثّل اساس فلسفته الظّاهراتيّة.

في المرحلة الرّابعة يُكشف عن الكثير من الواقعيّة في فلسفة هوسرل. لأنّه يعتقد أنّ الطّريق الثّالث الذي اتّخذه هوسرل بقي في المثاليّة. هذا لأنّ ردّة الموضوع إلى الذّات لتكسبها معنى واستخدامه للمقولات الشّبة كانطيّة، يمكن أن يبرّر ما يعتقد. بالرّغم من هذا الاعتقاد نجد الكثير من الواقعيّة في كتاب أزمة العلم الأوروبّي وفلسفة الظاهريّات الترنسندنتالية[١]، وفي كتاب التّجربة والحكم. يتحدث هنا هوسرل عن بداهة اصليّة سابقة على المعطيات الشّعورية والعقليّة. وتحدّث أيضًا عن الزّمان الموضوعي ويصفه بالشّرط الاوّل الذي تتأسّس عليه جميع العلاقات. والأولي هنا ليس بالمعنى الكانطي، بل بالمعنى الواقعي

---

[١] - أي متعالي، غير جبري.

كما استخدمه صمويل الكسندر[1]. الذي يقول إنّ كلّ الاشياء قيد التحقّق مثرية من كيان واحد يدعى الزمّكان. قدر علاقة الزمان بالمكان كقدر علاقة الروح بالجسد.

وهذا يعني أنّ هوسرل صدّق كلّ الصّدق في محاولته لايجاد الطّريق الثّالث للفلسفة. والتي نجدها في أهم كتبه : افكار لفلسفة ظاهراتيّة خالصة، وتأمّلات ديكارتيّة، وتأمّلات في المنطق الصّوري والترنسدنتالي. حيث يقول في هذا الاخير إنّ الاحكام المنطقيّة تعتمد على ماهيّات ثابتة في كلّ زمان ومكان، والتي يمكن تشبيهها بآلة ارسطو : المحرك الذي لا يتحرّك أو بالمثل الافلاطونيّة. وطبق نظريّته أيضًا في ميدان الادراك، فأنا ادرك الموضوع ولا أخلقه كما في فعل التخيّل : فأنا لا أخلق الصّورة بل أجدها ماثلة أمامي. لأنّ المواضيع تمثّل حقائق مستقلّة عن الشّعور وتفرض نفسها ببداهة مختلفة عن المعنى الدّيكارتي أو الكانطي. وببساطة كلّ عمليّات الشّعور والادراك والتّفكير يجب أن تكون تقويمًا لشيء أو في شيء أو عن شيء.

ولكن بالرّغم من استقلاليّة هذه الموضوعيّة عن الاتّجاهات النفسيّة فانّها قد توحي لحقيقة مطلقة لا يمكن التميّز فيها بين موقف الفيلسوف والرّجل العادي. لأنّ هذا الاخير لا يشكّ بموضوعيّة الاشياء من حوله. ولذلك فقد اوصى هوسرل باتّباع منهج الابوخيّة، لكيلا يكتسب الوجود المادّي كيانًا يفرض نفسه على الشّعور. وبعد هذ الاجراء الابوخي لابدّ للفيلسوف من

---

[1] - ألكسندر (صموئيل) (١٨٥٩ - ١٩٣٨) Samuel Alexander فيلسوف بريطاني. ولد ونشأ في سيدني بأستراليّة، وتعمّق في دراسة علم النّفس وعلم الأحياء. وعيّن أخيرًا في كرسي الفلسفة في جامعة فكتورية بمانشستر، حيث درّس منذ عام ١٨٩٣ حتى ١٩٢٤. أهمّ مؤلّفاته كتاب «المكان والزّمان والألوهيّة» وعرض فيه نظريّته في «التطوّر الانبثاقي»، فهو يرى بأنّ الفكر انبثق من المادّة ولكنّه غير قابل للارتداد إليها، لأنّ التطوّر لا يكفّ عن الارتقاء. وجعل من مقولتي المكان والزّمان الرّكن الأساسي في فلسفته، وذلك بتأثير آينشتاين. ولكنّه أوضح دور الزّمان المتزايد مع تصاعد قوة النّظام في العالم. عدّ «الزّمان روح المكان»، حتى إنّه لقب بـ «برغسون البريطاني» بسبب الشّبه الذي جمعه مع الفيلسوف الفرنسي برغسون حول فكرة الزّمان والدّيمومة. أمّا الألوهيّة، وهي المقولة الثّالثة في منظومته، فليست هي اسم الخالق، إنّما هي السّمة التي يتّجه الكون إليها حين تصبح إمكاناته الانبثاقيّة ظاهرة للعيان. تعود شهرة ألكسندر إلى ربطه بين الفلسفة والعلم، حتى قيل عن نظريّته فيما وراء الطّبيعة بأنّها «ميتافيزيقيّة اختباريّة».

ردّ الموضوعات الخارجيّة والباطنيّة الى الذّات لتكتسب معنى من جهة، وحتّى لا يكون في حالة تقبّل سلبي من جهة أخرى. الأنا الترنسندتاليّة عند هوسرل تختلف عن تلك لكانط، حيث تعدّ الذّهن لقوالب سابقة على التّجربة. أمّا عند هوسرل فهي معاصرة للاشياء لتكسبها الوجود الحقيقي من خلال وصف الشّعور وهي ماثلة أمامه. فالمعنى القصدي والابوخيّة وردّ العالم إلى الذّات الترنسندتاليّة تمثّل الدّعائم الاساسيّة للمرحلة الثّالثة.

اراد هوسرل أن تكون فلسفته فلسفة الاشياء ذاتها، ففكرته الأولى كانت في الاتّجاه القصدي الذي يضمن عدم تقوقع الشّعور. لأنّ كلّ فعل شعوري يتّجه إلى موضوع مّا. وأكدّ هذه الفكرة بالتّمييز بين فعل التّفكير، وموضوع التّفكير، وفرّق بين الشّعور التّأليفي الذي مهمّته اضافة صور جديدة على الموضوع، والشّعور الواضع لموضوعه حيث لا يوجد أيّة إضافة. وهذا يُمثّل الشّعور في بكارته الاولى السّابقة علّة أيّ تدخّل تأليفي. ولفت انتباهنا إلى وجود مصطلحين الاول تعني الشّيء المستقلّ عن أيّة نظرة ذاتيّة والثّاني يدلّ على الشّيء باعتباره اداة لمصلحة أو منفعة اخلاقيّة أو جماليّة. الوعي هو تيار في الزّمن الباطني الذي يختلف عن الزّمن الطبيعي، وكما قال هوسرل كلّ المعايش تكون واعية.

٤ – الابوخيّة :

لتحقيق هدف إدراك الماهيّات انتهج هوسرل مفهوم الابوخيّة، التي تعني التوقّف عن الحكم ووضع العالم المكاني الزّماني بين أقواس، وعدم اعتماد الاعتقاد الطبيعي لهذا العالم. والتوقّف عن اتّخاذ أيّ موقف إثبات أو نفي إزاء وجود الموضوعات. أخذ هوسرل مفهوم القصديّة عن برنتانو؛ الذي يرى أنّ فكرة المعرفة تكون دائمًا موجّهة إلى شي مّا، أيّ إلى موضوع ذي محتوى.[١] فكلّ ظاهرة عقليّة وكلّ فعل سيكولوجي له محتوى ويكون موجّه لموضوع مّا (الموضوع المقصود)، فكلّ اعتقاد أو رغبة مثلاً، يكون موضوعها الشّيء المعتقد به أو الشّيء المرغوب فيه.

في بداية الأمر عرّف هوسرل الفينومنولوجيا "بالمنهج الوصفي النّفساني لتحليل البنية القصديّة لأفعال العقل"، وكيف تكون هذه الافعال موجّهة إلى موضوع مّا؛ سواء كان هذا الموضوع مادّي أو افتراضي. ولكن هذه البحوث المنطقيّة واجهت منذ البداية نقدًا لاذعًا من قبل الاتّجاه النّفساني, هذا لأنّ هوسرل حاول تذويب المنطق في علم النّفس. تبعًا لهذه

---

[١] – عرف برنتانو القصديّة بمبرّرات سيكولوجيّة وميّزها عن الظّواهر الماديّة.

الانتقادات فقد ابتعد هوسرل ليؤسّس الفينومنولوجيا كحقل مستقلّ غير خاضع للعلوم التجريبيّة.

ظهرت للمرّة الأولى القواعد الاساسيّة للفينومنولوجيا في كتاب "بحوث منطقية" لهوسرل. حيث ميّز فيها بين الفعل العقلي والظّاهرة الموجّه لها هذا الفعل. ذهب هوسرل في هذا الكتاب إلى أنّ العلاقات المنطقيّة لا تخضع بأيّ حال من الاحوال للتّأثيرات السيكولوجيّة، ولا هي موضوع اتّفاق كما هو في المنطق الوصفي مثلاً.

ومن جهة ثانية فهي لا تنتمي إلى عالم الأشياء، بل هي علاقات من نوع خاص تتّبع عالم من «الماهيّات» الثّابتة التي لا تعتمد على هذا العقل أو ذاك. لأنّها اتّفاق عام حول الأحكام وصالحة لكلّ زمان ومكان (مثلاً ٢+٢=٤). هذه الموضوعيّة لم تكن موجودة في الاتّجاهات النفسانيّة، التي كانت تؤكّد على أنّها من خلق الشّعور، بل هي على العكس تتمثّل امام الشّعور، أو إنّ الشّعور يقصدها. هذه كانت فاتحة نظريّة هوسرل في «القصديّة»، وهي أساس فلسفته التي طبّقها ليس فقط في الأحكام المنطقيّة، بل في ميدان الإدراك والعواطف والانفعالات والقيم.

ومن بين المفاهيم الاساسيّة الأخرى للفينومنولوجيا، نجد مفهوم الابوخيّة التي تنصّ على امكانيّة تحصيل المعرفة الماهويّة والافكار الخالصة من خلال حذف كلّ الافتراضات المتعلّقة بوجود العالم الخارجي كشيء مستقل. هذا المفهوم يمكن تفسيره كنوع من منهجيّة الانانيّة.[١]

بالاضافة إلى ما سبق، قدّم هوسرل أيضًا مفهوم الاختزال الفينومنولوجي،[٢] الذي بالاضافة إلى الابوخيّة يؤدّي ليس فقط إلى تعليق الحكم على وجوديّة العالم، بل يقودنا أيضًا إلى الموضوعيّة الخالصة والمطلقة.

٤ – ١. الفينومينولوجيا كفلسفة جذريّة :

اثّرت فلسفة هوسرل الفينومنولوجيّة على فلسفات القرن العشرين، وهدفها هو ايجاد منهج للتّفكير بالأشياء، ليس من خلال ما يقال عنها، ولا بواسطة الافكار السّائدة، بل بواسطة تعليق الاحكام السّابقة ومشاهدة الظّاهرة كما تتبدّي للوعي والادراك المباشر. يمكن القول

---

[١] - Solipsism

[٢] - Phenomenological reduction

باختصار أنّ الفينومنولوجيا هي منهج وصفي للعودة إلى الاشياء ذاتها. وبما أنّ الفينومنولوجيّات تعتمد على تعليق كلّ شيء، فالسّؤال المهمّ : من أين تبدأ المعرفة ؟

المعرفة تبدأ من الشّعور المحض الذي قوامه ليس بحاجة إلى أيّ شيء واقعي. وللتّفصيل يمكننا أن نجد الجواب في مفهوم "الردّ الفينومينولوجي" الذي يقوم على اساس عمليّة تعليق الحكم على العالم الطبيعي الخارجي الممتد في المكان والمتوالي في الزّمان, وليس بالمعنى الديكارتي الذي يعني الشّك الكلّي في حقيقة العالم الخارجي, أمّا عند هوسرل فتعني عدم الاعتقاد الطبيعي في العالم وغضّ النّظر عنه.

يتألف الرّد الفينومنولوجي من عدّة عناصر أهمّها :

٤ – ١ – ١. تقويس الوضع التّاريخي، أي طرح النظريّات والآراء الصّادرة عن العلم والدّين والتّوجه للشّيء المُعطى مباشرة.

٤ –١ – ٢. الامتناع عن اصدار أحكام وجوديّة حتى تلك التي لها بنية مطلقة مثل وجود الأنا. وبينما العنصر الأوّل يؤدّي إلى التخلّص من الأحكام السّابقة، فإنّ العنصر الثّاني يقوم على اساس أنّ المعرفة الفلسفيّة تكمن في معرفة ماهيّات الاشياء وليس بوجودها الواقعي. وهناك أيضًا عنصرين أخرَيْن للرّد الفينومنولوجي، وهما :

٤ – ١ – ٣. الرّد الماهوي الذي من خلاله يتمّ تحويل الواقع إلى ماهيّات.

٤ – ١ – ٤. والرّد المتعالي الذي به تتحوّل المعطيات في الشّعور السّاذج إلى ظاهريّات متعالية في الشّعور المحض. فالفينومنولوجيا ليست مثاليّة ولا واقعيّة، فهي لا تنطلق من الطبيعة ولا من الذّات، بل توفّق بينهما في ميدان واحد هو الشّعور.

مهمّة الفينومنولوجيا تكمن في وصف عمليّة الادراك وتحليل الشّعور لاكتشاف ماهيّات الأشياء التي تقوم عليها كلّ معرفة وعلم. وهكذا تصبح الفينومنولوجيا علمًا كليًا شاملاً واساسًا يقينيًا لكلّ العلوم. وبما أنّ نظريّة المعرفة هي تلك المحاولات التي بحثت في امكانيّة التعرّف وحدود هذه الامكانيّة، وأيضًا في قيمة نتائج هذه المحاولات، فإنّ الفينومنولوجيا تتأسّس على نقد نظريّات المعرفة الانسانيّة وخصوصًا تلك التي لديكارت وهيوم وكانط. وقال هوسرل في هذا الصّدد إنّ ديكارت اكتشف ولم يستكشف. أي إنّه اكتشف الكوجيتو[1] ولم يدرك أنّ مجاله واسع جدًا ويحتوي على كلّ شيء. ديكارت وضع الكوجيتو كمقدّمة رياضيّة واستخدمه في المنهج الرياضي للاستنباط والاستنتاج.

---

[1] – انا أفكّر، أذًا أنا موجود. جملة معروفة لفيلسوف الفرنساوي رينيّة ديكارت.

وبناءً على ما سبق يمكننا أن نمسك الفكرة الأولى في محاولة تعريف الفينومنولوجيا، وهي إنّها في مختلف المستويات ليست إلاّ فلسفة ترنسنتداليّة لاستكشاف الكوجيتو. أمّا نقده لكانط فكان يدور حول إنّ هذا الاخير لم يستطع التحرّر من النّزعة النفسانيّة، لأنّ الأحكام التي تكون صادقة صدقًا ذاتيًا فحسب، تكون محدودة بحدود الذّات التجريبيّة. أمّا إذا عطّلنا هذه الذّات التجريبيّة فالتصوّر المتعالي والوعي سيأخذنا إلى معنى مختلف وبدون أسرار.

٤ – ٢. العودة إلى الذّات :

القصديّة هي خاصيّة كلّ الظّواهر النفسيّة، حيث يوجد فيها تلازم بين الذّات والموضوع. مفهوم القصديّة الذي تبنّاه "هوسرل" تمحور حول توجيه الوعي نحو عالم الأشياء ومعرفتها الحقيقيّة. التي تأتى بتحليل الذّات نفسها وهي تقوم بالتعرّف على هذه الاشياء، أي بتحليل الوعي وقد استبطن الأشياء التي يعيها. ولهذا من الضّروري تجريد الوعي من أيّة تصوّرات سابقة سواء كانت حسيّة أو فلسفيّة. لذلك يرى أنّ المعرفة اليقينيّة يجب أن تستبعد كلّ الأشياء التي لا نستطيع أن نعيها بشكل مباشر ولا تنطوي عليها خبرتنا المتعيّنة الملموسة.

وهنا تختلف عنها فينومنولوجيا هيجل التي تبحث في كلّ الفروض والمسلّمات المسبقة ولا تستبعد أيّ شيء. فالدّقة المنهجيّة عند هوسرل تتمثّل في العودة إلى الذّات أو الوعي الخالص الذي لا يمكن الشّك فيه.

٤ – ٣. نموذج أصلي للعود الفلسفي للذّات على ذاتها :

ربطت الفينومينولوجيا من جديد الفلسفة بمسألة التأسّيس، ومن جهة أخرى ربطتها بالإنسان. يوضّح كتاب "التّأملات الديكارتيّة" لهوسرل أهميّة الذات في مسألة التّأسيس. التطوّرات الجديدة للظاهريّات تدين بفضلها للرّؤية الديكارتيّة التي تعتبر نموذجًا للفلسفة المتعالية، وبالتّالي يمكن تسميتها بالديكارتيّة الجديدة لأنّها تعمّقت فيها وبشكل جذري.

كانت تهدف التأمّلات في الفلسفة الأولى لديكارت تهدف إلى اصلاح جميع العلوم باعتبارها أعضاء لجسم كلّي، أي الفلسفة. وهذه المشكلة في الاصلاح وجدت حلاً عند ديكارت من خلال فلسفة موجّهة إلى الذّات. يقول هوسرل إنّ من يريد أن يصبح فيلسوفًا يجب عليه أن ينطوي على ذاته من خلال تقويض جميع العلوم المسلّم بها ومن ثمّ بنائها من جديد. يجب ان تكون الفلسفة او الحكمة، على الرّغم من اتّجاهها نحو الكليّة، أمرًا يخصّ الفيلسوف وعلمه ويجب أن يبرّره من الأصل وفي كلّ مرحلة وفقًا للعيّنات المطلقة. ولكن تبعًا لهذا القرار، كما يقول هوسرل، لن يبقى لنا أيّة مادّة للمعرفة. وبالتّالي كيف يمكن العثور على منهج يمكننا من الوصول إلى العلم الحقيقي ؟

ليست تأملات ديكارت في هذا الصدد أمرًا ينفرد به هو لوحده، بل هي الحلّ والنّموذج لكلّ فيلسوف. في التأمّلات الديكارتيّة هناك عودة ثانية إلى ذات الفيلسوف؛ وهي العودة إلى الافكار الخالصة التي تتمّ من خلال منهج الشّك. أي اخضاع للنّقد المنهجي كلّ ما هو يقيني في التّجربة والفكر. أمّا من ناحية المطلق، فالذّات التي تتأمّل لا تستيقن إلاّ ذاتها من حيث هي الأنا الخالصة المفكّرة التي لا يمكن الشّك في وجودها. وفقط حينئذ الأنا التّجريبيّة المردودة إلى الأنا الخالصة يحقّق نوعًا من التّفلسف.

٤ – ٣ – ١. ضرورة البدء بدءًا جذريًا جديدًا في الفلسفة :

يقول هوسرل : هل لنا أن نتسائل عن المعنى الخالد لهذه الافكار الخالصة، وهل هي ما زالت حيّة في عصرنا هذا ؟ فمثلاً العلوم الوضعيّة أعطت القليل من الاهتمام لهذه الافكار والتي على العكس، كان يجب أن تأخذ منها الأسس العقليّة المطلقة. هذه العلوم التي أحرزت نجاحًا واسعًا في القرون السّابقة، نراها اليوم تتعثّر في تحديد الهدف. وبما أنّ ديكارت نقل سير الفلسفة بصورة جذريّة من الموضوعيّة السّاذجة إلى الذاتيّة المتعالية، فهل يفرض علينا متابعة هذه المهمّة الخالدة ؟

ولكن ما يحدث هو أنّه على الرّغم من كثرة المؤتمرات، والتقاء الفلاسفة (وليست الفلسفة)، فلا يوجد هناك فلسفة واحدة حيّة. وبالتّالي ربّما آن الأوان لعمليّة انقلاب ديكارتيّة للشّروع في تأمّلات جديدة للفلسفة الأولى. لأنّ معنى الفلسفة الحقيقي هو تحريرها من كلّ الأحكام السّابقة وجعلها مستقلّة من خلال اعتماد البداهات الذاتيّة نفسها. النّهضة الوحيدة لإحياء التأمّلات الديكارتيّة تأتي :

١ – من خلال العودة إلى الأنا المفكّرة الخالصة.

٢ – من خلال احياء القيم الخالدة التي تنبثق عنها. لأنّها الطّريق الوحيد الذي أودّى بنا إلى الظّاهريّات المتعالية.

٥ – التأمّلات الديكارتيّة :

في التأمّل الديكارتي الخامس يوجد الكثير من المعتقدات الدّينيّة والثقافيّة التي عادة مّا تكون مشحونة بالمعاني القويّة. أراد هوسرل إثارة هذه المواضيع للتأكّيد على اهميّة الذّات كمصدر وليس العكس. وما دامت الذّات هي المصدر، فمن الصّعب تفسير سلوك الانسان انطلاقًا من مخزونه النفسي أو من غرائزه التي تتغلّب على جانبه العقلي وتوجّه سلوكه. كما أنّ نتاج الخيال لا يمكن اسناده إلى مجموعة من الاستلهامات الغامضة الدّفينة وغير مدركة

من العقل ومنفلتة من مجال الوعي. لأنّ الأنا الترنسندتاليّة هي التي تختزل ما يعمر محيطها. [1]

١ – ١. ترتيب المناهج :

ثمّة تقسيمات متعدّدة لشتّى المناهج والاتّجاهات في مجال الأبحاث الدينيّة، ويمكن تقسيمها ثلاثيًا على أساس هدف علمي (منهجي) : فثمّة مناهج واتّجاهات دينيّة داخليّة، وأخرى خارجيّة، وثالثة مختلطة.

الاتّجاهات الدينيّة الداخليّة				الاتّجاهات الخارجيّة	الاتّجاهات المختلطة
مستوى الأدوات والمنهج		مستوى النّموذج			
المأثور بالمعنى الأعمّ: القرآن بالقرآن، المأثور بالمعنى الأخصّ: القرآن بالرّوايات	الأدبي غير المأثور، الرمزي، العلمي، الفسلفي، العرفاني.	السّيمنطيقا	الهرمنيوطيقا	تجريبي تحليلي تاريخي ظاهراتي وجودي	مقارن الدّراسات البينيّة للمواضيع

الجدول ٧ – ١ : ترتيب المناهج والاتّجاهات في الأبحاث الدينيّة الثّلاثة

٢ – الاتّجاهات الدينيّة الداخليّة :

٢ – ١. ايضاح لغوي :

يكون مقياسًا أحيانًا في إطلاق وصف الدّاخلي والخارجي، وحينئذ ستعني المعرفة الداخليّة تلك المستوحاة من الدّين أو التّعاليم الدينيّة، بينما ستدلّ المعرفة الخارجيّة، على تلك التي جرى استيحاؤها من غير الدّين وتعاليمه.

[1] – انظر للمزيد : أنطوان خوري، **مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية** (دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤)؛ **فكرة الفينومينولوجيا**. إدموند هوسرل. ترجمة؛ فتحي إنقزو؛ الناشر: المنظّمة العربيّة للتّرجمة، ٢٠٠٧.؛ **الوظيفة التأسيسيّة للذّات عند هوسرل**، عبد الحي أزرقان؛ ٢٠٠٩.؛ **تأمّلات ديكارتيّة**. **المدخل إلى الظاهريّات**، ادموند هوسرل، ترجمة وتقديم؛ د. نازلي إسماعيل حسين، القاهرة، ١٩٦٩.

واجه هذا التّعريف النّقد والاعتراض، لأنّ الفكرة الدينيّة يجري استنتاجها من العقل لوحده تارةً، ومن النّقل بمفرده تارةً أخرى، ومنهما معًا مرّة ثالثة. ومن هنا يتّضح أنّ الفصل بين الدّاخلي والخارجي ينشأ عن تشويه الحقيقة الدينيّة. ولكن نحن لا نستخدم مصطلح الدّاخلي في عنوان مناهج البحث الدّيني بالمعنى المذكور، ونقصد بالتّمييز بين الدّاخلي والخارجي ما يعرف بالسّمعي وغير السّمعي الذي بنى عليه بعض المتكلّمين مصنّفاتهم في علم الكلام.[1] ويمثّل مصطلح الداخلي هنا إيجازًا لتعبير ما هو داخل في النّصوص الدينيّة، أي الوحي والسّنة. نقصد بالبحث الدّيني الخارجي، المناهج والاتّجاهات التي تتولّى عبر الرّجوع إلى النّص الدّيني (الوحي : الكتاب، والسنة) تحليل ذلك النّص وبناء مفاهيمه وممارسة تبريره وتفسيره.

فالمنهج الداخلي هو ذلك الذي ينظر في شتّى المسائل (سواء كانت دينيّة أم طبيعيّة ... الخ) من خلال الرّجوع إلى النّص الدّيني واستنادًا عليه.

٢ – ٢. البحث الداخلي : المناهج والأدوات :

٢ – ٢ – ١. التّفسير، التّأويل :

يقرّر الرّأي الشّائع أنّ ثمّة تباينًا بين التّفسير والتّأويل، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي صورًا للتّباين. تتّجه معظم الآراء إلى التّمييز بينهما على أساس التّمييز بين الباطن والظّاهر في الجدول التّالي :

	وجه التّباين		صاحب النظريّة
	التّفسير	التّأويل	
١	القطع بمراد الله	ترجيح أحد المعاني على غيره دون حزم.	الماتريدي
٢	تحديد الدّلالة الوضعية اللفظية (الحقيقة /	بيان باطن اللّفظ والاخبار	أبوطالب الثعالبي

[1] – كتفتازاني في كتابه **شرح المقاصد**، طبعة بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.، ج٥، ص٥.

	المجاز) ومقاربة مبرّر للقصد	عن حقيقة القصد	
٣	ما ينحصر في السّماع	الاستنتاج	أبو نصر القشيري
٤	المنوط بالنّقل الصّحيح	المنوط بالفهم الصّحيح	ابن الخازن
٥	الشّكل العلمي للكلام	الحقيقة الخارجيّة للكلام	الثّعلبي
٦	مضمون مفاهيم الألفاظ ومصاديقها الخارجيّة	حقيقة القرآن المتعالية باللّوح المحفوظ	العلاّمة الطّباطباني
٧	فهم ظاهر القرآن	فهم باطن القرآن	مؤلفي كتاب مناهج تفسير القرآن

الجدول رقم ٧ – ٢ : اتّجاهات في التّمييز بين التّفسير والتّأويل.

٢ – ٢ – ٢. التّفسير، التّحميل :

إنّ المقياس المنهجي للفصل بين التّفسير والتّحميل، هي أن يقوم المفسّر بوضع شتّى نظريّاتة وفرضيّاته، بين قوسين على حدّ تعبير الظاهريّين، ويتحرّر منها بالكامل.

٢ – ٢ – ٣. التّفسير التّرتيبي والموضوعي :

يشيع بين البعض تقسيم التّفسير إلى ترتيبي وموضوعي، وهو مصطلح يستخدمه شلتوت.[١]

٢ – ٢ – ٤. التّفسير بالمأثور، وغير المأثور

يمكن تقسيم الدّراسات الداخليّة، وفق ما يستخدم فيها من أدوات إلى نقليّة وغير نقليّة. فتنقسم الأنماط المذكورة إلى قسمين :

١ – تفسير القرآن بالقرآن وبالرّوايات، وهذا في الواقع بحث داخلي وأدواته نصوص الوحي.

---

[١] – شلتوت، محمود، **من هدى القرآن**، القاهرة، دارالكتب للطباعة والنّشر، ص ٣٢٢ و٣٢٣.

٢ – التّفسير بأدوات من خارج نطاق الوحي. وفي وسعنا الإشارة إلى بيئتين متباينتين في الدّراسات الداخليّة، في تصوّر منهجي يقوم على أساس تحليل النّموذج. فهنالك الإطار السّيمنطيقي الدّلالي، والإطار الهرمنيوطيقي. وفي استعراضنا لهذين الإطارين سنتطرّق إلى الاتّجاه التلفيقي المطروح في سياق تفاعل هذين النّمطين وطبيعة الجدل القائم بينهما.

قراءة اضافيّة : بارادايم

١ – بارادايم، النّموذج الفكري أو الإدراكي : (Paradigma)

يمكن ترجمة مصطلح البارادايم بأنّه "النّموذج الفكري" أو "النّموذج الإدراكي" أو "الإطار النّظري"، وقد ظهرت هذه الكلمة منذ أواخر السّتينيات من القرن العشرين في اللّغة الإنجليزيّة بمفهوم جديد ليشير إلى أيّ نمط تفكير ضمن أيّ تخصّص علمي، أو موضوع متّصل بنظريّة المعرفة «الإبستيمولوجيا»

فبارادايم هو اصطلاح لمجموع ما لدى الإنسان وما كونّه من خبرات ومعلومات ومكتسبات ومعتقدات وأنظمة، أي ثقافة مرّ بها في حياته، ومهمّتها رسم الحدود التي يسير داخلها الإنسان وتحديد تصرّفه في المواقف المختلفة.

ويمكن تعريف البارادايم بأنّه نظّارة العقل، أو هو نظام التّفكير عند الإنسان والعدسات التي يرى من خلالها الحياة، والبارادايم حاكم للتّغيير في كلّ مراحله وقد يجعل الإنسان يرى الأمور بغير حقيقتها وهذا من أهم أسباب اختلاف البشر.

٢ – كيف يتكوّن البارادايم :

عندما يسير النّاس بسيّاراتهم في طريق سريع تتحلّى جوانبه بالشّجيرات والورود الجميلة، فقد لا يرى بعضهم هذه الورود لأنّه يسير بسرعة كبيرة؛ وقد لا يراها آخرون لانشغال أذهانهم، وقد يرى البعض الورد ويعجب به ... وهناك من يتمنّى زراعة المزيد منه أو إضافة أنواع أخرى. وفئة أخرى من النّاس تتمنّى لو أتيحت لها الفرصة للتوقّف والتجوّل بين هذه الأزهار واستنشاق عطورها ووصف جمالها ... وربّما جادت قريحتهم بأبيات شعر رائعة تتغزّل بالورد وجماله. وقد يراها البعض مصدرًا للعطور، بينما يراها آخرون مصدرًا للمبيدات الحشريّة.

وهناك فئة أخرى تفكّر في الشّركة المسئولة عن زراعة الورود وتخضير المنطقة ومدى استفادتها الماليّة من المشروع وهل تستحقّه فعلاً أم أنّها حصلت عليه بطرق غير مشروعة .. وهكذا. فلكلّ إنسان صورته الخاصّة (بارادايم خاصّ به) يرى به الطّريق والورد. وكلّ شيء يمرّ به في الحياة، وإذا رأى الإنسان شيئًا جديدًا فسوف يتعجّب ويتوقّف. ولكنّه سيبدأ بفتح ملف خاصّ بهذا الشّيء الجديد ومن ثمّ يكوّن صورة جديدة حوله.

٣ – البارادايم الايجابي والسّلبي :

من الضّروري أن يستخدم الشّخص البارادايم الخاصّ به بصورة إيجابيّة، وذلك بتغيير إطار الإدراك بحيث يجعل إطار إدراكه للأمور دومًا إيجابيًا وذلك سيغير من نظرته للموقف ومن ثم حكمه وتقييمه له، وبالتّالي سيغيّر سلوكه. فأيّ حقيقة تواجهنا ليست لها نفس الأهميّة كأهميّة تصرّفنا تجاهها لأنّ تصرّفنا هو الذي يحدّد نجاحنا أو فشلنا. وعندما يظنّ الإنسان أنّه لايستطيع القيام بأمر مّا فإنّه لا يستطيع ذلك حتى لو كان قادرًا في الحقيقة على أدائه. ولذلك فإنّ نجاح الإنسان أو فشله بحسب نظام تفكيره قد يكوّن الفرص أمامه؛ ولكنّه لا يراها لأنّه لم يضع العدسة المناسبة. فكم قضى وهم البارادايم على أشخاص ومجتمعات !

٤ – تقسيم الأشخاص في علم البارادايم :

موقف الأشخاص من البارادايم الجديد يكون على احدى الصّور التّالية :

٤ – ١. المبدعون : (Shifters)

لا يحبّون النّقاش لأنّهم يملّونه وليس لديهم تفاصيل وإثباتات، وأفضل طريقة للتّعامل معهم هي التّشجيع وإظهار الإعجاب مع تقديرهم. كذلك يجب أن يكون الحوار معهم بشكل مرح ومحفز وخال من الاستهزاء واللّوم. من جهة أخرى فإنّ على المبدع أن يبدع في إقناع النمطيّين والرّواد بإبداعه، كما فعل أديسون عندما اخترع المصباح الكهربائي إذ سأله صحفي : ماذا لو انطفأ المصباح ؟

فردّ أديسون ببساطة إبداعيّة : نعود إلى الظّلام الذي كنّا فيه أصلاً.

٤ – ٢. النمطيّون (Settler) هم الجدليّون (في الغالب) :

يُطيلون الحوار لإثبات خطأ الفكرة الجديدة؛ في ضوء أطرهم وأفكارهم القديمة والمُستقرَة؛ خاصّة وأنّهم يتقنون عملهم في ضوء البارادايم السّائد. وهم مُصابون بنوع من الشّلل الإدراكي الذي يُعيقهم عن رؤية ما هو خارج البارادايم. ولذلك فأفضل طريقة في الحوار معهم هي الإنصات لهم واحترام وجهة نظرهم ثم محاولة تنويع صور عرض البارادايم الجديد لهم.

وهنا يبرز دور الإبداع في عرضه. وكذلك إبراز بعض العبارات الجميلة أمامهم مثل : العقل مثل مظلّة الهبوط، يعمل بشكل رائع عندما يكون مفتوحاً!

٤ – ٣. الروّاد (Pioneers) هم المحاورون :

روّاد البارادايم هم الحلّ لفهم الأفضل في الحوار. ذلك لأنّهم يتمتّعون بمرونة عالية تجاه البارادايم الجديد (أو ما يخالف ما يرونه)، وهم يتّبعون الجديد انطلاقًا من الحدس مع شيء من المعلومات (النّاقصة).

ويحرص الروّاد على تحقيق معادلة صعبة هي دعم المبدع وتشجيعه والاستفادة منه. وعدم خسارة أو فقدان النّمطي الذي يملك ملاحظات ومهارات أيضًا تثري العمل والمسيرة عندما يقتنع أو يستوعب ما يطرحه المبدع.

٥ – مقترحات لتكوين بارادايم جديد :

١– إن تقبل احتمال الخطأ أو عدم صحّة رأيك في أيّ موضوع.

٢– أن تفكّر وفقًا لمعايير أو نظم جديدة أو مختلفة.

٣– راجع منظومة القيم (عندك).

٤– اعرف نمطك في البارادايم.

٥– اطرح وأنصت للأفكار السّخيفة.

٦– استمتع بالمرح واستمتع بالخيال.

٧– نوّع، أو غيّر مصادر معلوماتك.

٨– جرّب أطباقًا جديدة. مثل من لم يسبق له أن يأكل الباذنجان.

٩– أعرف أنّ هناك أكثر من إجابة واحدة (صحيحة) للسّؤال الواحد. أحيانًا على الأقل.

١٠– غيّر نوع مجالسك، اطلع على محطّات إعلاميّة لم يسبق لك أن شاهدتها؛ "تلفاز – إذاعة – صحافة ..."

١١– تفادى التّعميم، فهو صندوق البارادايم القاتل، ومن يتصوّر أنّ النّاس أغبياء وهو الذكيّ، فالعكس صحيح.

٦ – النّموذج الفكري العلمي :

أعطى "توماس كون" لهذه الكلمة معناها المعاصر عندما استخدمها للإشارة إلى مجموعة الممارسات التي تحدّد أيّ تخصّص علمي خلال فترة معيّنة من الوقت، وقد كان "كون" نفسه يفضّل مصطلحات مثل العلم المعتاد، أو النظريّة العلميّة بالشّكل المتعارف عليه، حيث لديها معان فلسفيّة أكثر تحديدًا. فقام بتعريف النّموذج الفكري – البارادايم – على أنّه : الموضوع

الذي يمكن مراقبته ونقده. فالأسئلة التي من المفترض طرحها واستكشافها من أجل الحصول على إجابات فيما يتعلّق بالموضوع هي : كيف يمكن تحديد هيكل وبنية هذه الأسئلة ؟

كيف يمكن تفسير نتائج التحريّات العلميّة ؟ أو بديلاً عن ذلك ؟

يعرّف قاموس أكسفورد كلمة بارادايم على أنّها : (طابع أو نموذج أو مثال) وهكذا فإنّ المكوّن الإضافي في تعريف "كون" لمفهوم البارادايم هو : كيف يمكن القيام بالتّجربة، وما هي الأدوات المتاحة للقيام بالتّجربة ؟

وهكذا فإنّه في إطار العلم المعتاد، يكون النّموذج الفكري هو مجموعة التّجارب المتعارف عليها التي من المفترض أن يتمّ اقتفاء اثرها. ويمثّل النّموذج الفكري السّائد طريقة أكثر تحديدًا في رؤية الواقع أو حدود ما يمكن تقبّله من أبحاث في المستقبل، وذلك أكثر من مجرّد المنهج العلمي العام.

أحد أمثلة النّماذج الفكريّة المقبولة حاليًا هو النّموذج المتعارف عليه للفيزياء أو علم الطّبيعة. قد يسمح المنهج العلمي بالتّجارب العلميّة التي تتّبع القواعد في العديد من الظّواهر المتعارضة مع النّموذج المتعارف عليه، ولكن يصعب الحصول على تمويل لمثل هذه الأبحاث والتّجارب، لعدم سيرها طبقًا لما هو متعارف عليه، وذلك تبعًا لمدى بعدها عن نظريّات النّموذج المتعارف عليه.

فعلى سبيل المثال إذا كان موضوع التجّربة اختبار تحلّل البروتون، ممّا يبعد قليلاً عن النّموذج المتعارف عليه، فإنّ من المتوقّع لها أن تحصل على تمويل أكثر ممّا إذا كان موضوعها البحث في مخالفة قانون بقاء الطّاقة أو ابتكار وسائل للسّفر عبر الزّمن عكسيًا. هناك مصطلحات مثل التّفكير العام – الجماعي،[١] أو العقليّة[٢] تحمل نفس المعاني وتنطبق على أمثلة أكبر أو أصغر فيما يتصّل بالفكر المنظّم.

٦ – ١. أحد التّشبيهات البسيطة الشّائعة :

هناك تشبيه بسيط للنمّوذج الفكري – البارادايم بصندوق، وذلك في العبارة الشّائعة (التّفكير خارج الصّندوق)، حيث يماثل التّفكير داخل الصّندوق العلم المعتاد، حيث يتضمّن الصّندوق تفكير هذا العلم، وبالتّالي فإنّ النّموذج الفكري هو الصّندوق. دُعي أحد الدّكاترة لإلقاء محاضرة في مركز للمدمنين عن أضرار الخمر. فأحضر معه حوضين زجاجيّين؛ الأوّل فيه

---

١ – Groupthinking

٢ – Mindset

ماء والثّاني فيه خمر، ووضع دودة في الماء فسبحت، ثم وضعها في الخمر فتحلّلت وذابت، حينها نظر الدّكتور إلى المدمنين سائلاً : هل وصلت الرسالة ؟ فكان الجواب نعم. الذي في بطنه دود يشرب خمر ليطيب !! هذا الدّكتور نظر إلى التّجربة من خلال بارديمه، ولم يحاول الخروج إلى البارديم الخاصّ بالمدمنين.

٦ – ٢. نقلات النّماذج الفكريّة :

تميل النّقلات في النّماذج الفكريّة إلى أن تتّخذ طابعًا مأساويًا في العلوم التي تبدو راسخة وناضجة، كما هو الحال في الفيزياء مع نهاية القرن التّاسع عشر، حيث كانت الفيزياء تبدو في ذلك الوقت تخصصّاً علميًا يقوم بملء آخر التّفاصيل في منظومة هائلة، وفي عام ١٩٠٠ قال اللّورد "كلفن" عبارة مشهورة وهي : (لم يعد هناك المزيد لاكتشافه في الفيزياء الآن، ليس هناك إلاّ المزيد والمزيد من الدقّة في القياسات)، وبعد ذلك بخمسة أعوام، أصدر "ألبرت أينشتين" بحثه حول نظريّة النسبيّة الخاصّة، والتي قامت بتحدّي أبسط القواعد التي خطّتها ميكانيكا "نيوتن"، والتي جرى استخدامها لوصف القوى والحركة على مدى أكثر من ثلاثمائة عام، وفي هذه الحالة، قام النّموذج الفكري الجديد بتقليص النّموذج القديم ليناسب حالة خاصّة؛ وبالنّسبة لميكانيكا "نيوتن" فقد كانت مناسبة فقط للوصف التّقريبي عند سرعات بطيئة مقارنة بسرعة الضّوء.

وفي كتابه (**بنية الثّورات العلميّة**)، كتب كون : (التّحول المتتالي من أحد النّماذج الفكريّة إلى نموذج آخر من خلال الثّورة هو طابع التطوّر المعتاد للعلم النّاضج) (ص ١٢). وكانت فكرة "كون" نفسها ثوريّة في وقته، فقد تسبّبت في تغير كبير في الطّريقة التي يتحدّث بها الأكاديميّون عن العلم، وهكذا فقد كانت في حد ذاتها نقلة في تاريخ وسوسيولوجيّة العلم. وقد تقبّل فلاسفة ومؤرخو العلوم في نهاية المطاف بما فيهم "كون" نفسه نسخة معدّلة من نموذج "كون"، ممّا يخلق نظرة جديدة لنموذج متدرّج يسبقها، وحاليًا ينظر إلى نموذج "كون" على أنّها قاصر جدًا.

---

٢ – ٣. السّيمنطيقا[١] :

لانستخدم مصطلح السّيمنطيقا هنا بوصفه مذهبًا أو نظريّة، بل الاتّجاه المتداول عند كثير من المفسّرين التّقليدي منهم أو الحديث. لقد حظي هذا

---

١ – semantics

الاتّجاه في القرن الأخير باهتمام أكبر، حتى بات نظريّة مدوّنة في قراءة النّص. بفضل توظيف علم الدّلالة الحديث، وفي ضوء ذلک فإنّ اتّجاه السّيمنطيقا يهيمن على تراث الدّراسات الداخليّة بنحو أو بآخر.

يتأسّس هذا الاتّجاه في قراءة النّص الدّيني، على نظريّة دلاليّة هامّة عرفت في أصول الفقه الإسلامي بنظريّة الدّلالة التّصديقيّة، في قبال نظريّة الدّلالة التصوريّه. إنّ المعنى في ضوء الدّلالة التّصديقيّة، يظلّ منوطًا بقصد المتكلّم، فيما يسعى المتلّقي إلى تصيّد ذلک القصد. وحين تتجرّد العبارة عن قصد المتكلّم، تكون جوفاء دون مضمون ولا تقبل الصّدق أو الكذب.

لابدّ في ضوء الدّلالة التّصديقيّة، العثور على قصديّة المتكلّم لتحديد دلالة النّص. غير أنّ الطّريق إلى تحديد القصد هو نصوص المتكلّم ذاتها، الأمر الذي يوحي بحصول دور ومفارقة!. هنالک طريقان رئيسيّان لمعالجة هذه المفارقة أو الدّور هما؛

١ - الفردانيّة المنهجيّة :[١]

٢ - الكليّة المنهجيّة :[٢]

نجد في الخيار الأوّل إنّ شتّى القرائن المقاليّة والمقاميّة وقواعد اللّغة والنّحو، تمثّل أدوات تتيح لنا تحليل بنية العبارة، وبالتّالي العثور على قصد المتكلّم. ويقوم على هذا التصوّر بنحو أو آخر، مجمل التّفسيرات الأدبيّة وتلک التي تهتمّ بأسباب النّزول وظروفه.

وفي الخيار الثاني، نجد أنفسنا أمام كلّ متوّحد، لا عبارة مفرده، ونأخذ في قراءة العبارة من خلال ذلک الكلّ. ويتأسّس على هذا التصوّر، ما نجده لدى العديد من المفسّرين التقليديّين من اهتمام بسياق النّص وتناسب السّور والآيات

---

١ - methodological individualism

٢ - methodological holism

في التّفسير المأثور. ثمّة اليوم محاولات للعثور على ذلك الكلّ وفق نموذج معيّن، وهو الرّؤية الكونيّة للمتكلّم.

والسّؤال المطروح فيما يتّصل بالنّصوص الدينيّة هو : كيف لنا تحديد الرّؤية الكونيّة للمتكلّم ؟ إنّ مقاربة إطار دلالة النّص تستهدف تحقيق ذلك. ويمكن من خلال مقاربة إطار الدّلالات القرآنيّة أن نبلور الرّؤية الكونيّة في القرآن على شكل منظومة كليّة وشبكة مترابطة.

تجري محاولات اليوم لتحليل مفردات النّص عبر أساليب إحصائيّة، من قبيل إحصاء المصطلحات، وتصنيفها حسب أقسام متنوّعة (الاسم، والصّفة والفعل، ... الخ) وتحديد الكلمات المركزيّة والمدخليّة، وتحديد العلاقة المفهوميّة بين المصطلحات على نحو دقيق عبر الحساب الرّياضي وتحليل نمط النّص وسياقة بواسطة قرائنه الداخليّة والخارجيّة. وبالتّالي بلورة شبكة من التصوّرات ومقارنة المفردة التي تجري دراستها، من حيث موقعها، في شبكة المفاهيم هذه، والشّبكات الأخرى ذات الصّلة بالأمر.

يمتلك الوحي (الكتاب والسّنة) في ظلّ الاتّجاه السّيمانطيقي، رؤية كونيّة حيّة تتّسق بالكامل مع مشروع وتدابير معيّنة.

وممّا يعلب دورًا مؤثرًا في تحديد المعنى، العثور على موقع المفاهيم في تلك الرّؤية، والانتباه إلى انتقال المصطلحات من استخدام آخر إلى تلك الرّؤية الكونيّة، أو انتقال المعنى من مستوى أساسي إلى آخر نسبي، إلى جانب الاهتمام بتباين المفاهيم في حقول دلاليّة متباينة، ولا سيّما فيما يتّصل بالرّؤية الكونيّة في القرآن، وتلك المتداولة بين عرب الجاهليّة إضافة إلى ما يتعلّق بالمفردات الداخليّة.

ثمّة ما يعد قاعدة في الإطار السّيمانطيقي، وهو تأثر المتلّقي والالتزام بالحياد في تلّقي الخطاب، ومحاولة تحديد قصد المتكلّم بعيدًا عن تأثيرات عقليّة المتلّقي. وفي إطار كهذا يعدّ ذلك ممكنًا ومناسبًا وضروريًا أيضًا.

٢ – ٤. الهرمنيوطيقا :

تعود كلمة هرمنيوطيقا إلى جذر يوناني حيث اشتقت من فعل بمعنى التّفسير، وغالبًا ما يفهم منها الدّلالة على العلم الذي يتضمّن قواعد التّفسير في مقابل السّيمنطيقا. يستخدم البعض كلمة التأويل كمعادل للهرمنيوطيقا، الأمر الذي يدلّل على التّمييز بين الاتّجاهين الهرمنيوطيقي والسّيمنطيقي. كان سقراط يعتقد إنّه لا يمكن الاكتفاء بالكلمات والجمل في فهم رسالات الآلهة، بل يمكن أن نقوم بتأويل الذّات والآخر عبر الدّيالكتيك.

رغم إنّ النّص حصيلة لعقليّة المؤلّف، غير أنّه يكتسب معنى خاصًا بمجرّد أن يصبح في متناول يد القارئ. يمكن أن نلاحظ أربعة عناصر في كلّ نصّ هي : ثبات المعنى، واستقلاله عن قصد المؤلّف الفكري، وتمثيله لدلالات خفيّة، ووجود نطاق عام للتّلقي. فتقع ثورة كوبرنيكيّة والمقصود بالثّورة الكوبرنيكيّة هي تبادل المواقع، والذي يحصل بين المفسِّر والمفسَّر، فالنّص هو مفسِّر يقوم بتظهير المتلقّي ومقاربته. فإنّ الاتّجاه الهرمنيوطيقي، وعلى العكس من السّيمنطيقا، لم يبلور حتى الآن أدوات دقيقة وأساليب منتظمة.

٢ – ٥. المنهج التّفاعلي :

حين نعالج تساؤلًا أساسًا يستفهم حول مناطات الدّلالة وما يتوقّف عليه المعنى. لايجري رفض قصد المتكلّم فيما يتّصل بمعنى النّص، بيد أنّ طريق اكتشافه سيكون لونًا من الآصرة بين المتكلّم والمخاطب، تلك الآصرة التي لا تنحصر في قواعد اللّغة بالضّرورة. وعلى هذا الأساس لن يكون النّص والمتلقّي دون علاقة مع بعضهم البعض.

٢ – ٣. نطاق الدّراسات الداخليّة :

إنّ التّساول حول نطاق الأبحاث الدينيّة الداخليّة، ووفق المفهوم للمستخدم هنا، يختلف عن التّساول حول نطاق الدّين وللمقياس في وصف الأشياء بأنّها دينيّة. يعتقد المتكلّمون العقلانيّون بأنّ إثبات صدق التّعاليم الدينيّة في

نصوصها، قد جرى عبر استخدام الاتّجاه الخارجي. "**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**"[1]، حيث لجأ القرآن في تدليله على أنّ الله هو مصدر الوحي، إلى أساليب خارجيّة (تحليليّة). إنّ عدم الاتّساق هو بمثابة معيار لاكتشاف الخطأ في المقياس الخارجي.

تدخل في هذه المسائل، آليّة تقييم الأعمال في اليوم الآخر، وما يقصده الله بالثّواب والعقاب، والحكمة في الأوامر والنّواهي الإلهيّة، والإمامة الخاصّة الشيعيّة، ووصف الجنّة ومنشأ النبوّة ونحو ذلك. ومن النّماذج الأخرى لذلك إشكاليّة العلم والدّين، وإشكاليّة العقل والدّين في علم الكلام الجديد والكلاسيكي، حيث نلمح في إطارهما تعارضًا شكليًا بين البحث الداخلي و الخارجي. ويمكن للتّعارض المذكور أن يكون مفيدًا من منظور منهجي، حيث يفتح للباحث آفاقًا جديدة، شريطة أن يتوفّر لديه مخطّط بحثي ومنهج ملائم للتّعامل مع الاتّجهات التي تبدو متعارضة. يتّصل تحديد نطاق الأبحاث الداخليّة بعدّة أمور :

١ – نمط المسألة.

٢ – ما يترقّبه الباحث من الدّين والوحي.

٣ – تصوّره حول حقانيّة تعاليم الدّين.

٢ – ٣ – ١. قواعد استراتيجيّة في البحث الداخلي :

يتطلّب اعتماد الاتّجاه الداخلي خبرة علميّة، وذلك لأنّ ثمّة قواعد وضوابط تحدّد قراءة النّص، ويؤدّي التّغافل عنها إلى الخطأ وتقديم فهم مشوّه للنّص. إنّ الاهتمام يتّجه اليوم في الغالب نحو تأسيس منطق لفهم النّص الدّيني ومبادئ التّفسير وعلم الحديث. ولذلك نلاحظ أنّ ذلك يحظى باهتمام في مقدّمات كتب التّفسير، وليس ذلك وحسب بل خصصّت له أعمال مستقلّة.

---

[1] – النساء / ٨٢

نكتفي بطرح عدد من النّقاط المهمّة العامّة :

١ - الدّور : إنّ الوقوع في فخّ الدّور يمثّل المعوّق الأوّل في الاتّجاه الداخلي، وثمّة حالات متعدّدة لذلك. ومن أساليب تجنّب الدّور التّمييز بين الرّجوع إلى النّص الدّينى للاستيضاح، والرّجوع إليه للاستدلال، فربّما كان الرّجوع إلى النّص الدّيني مستلزمًا للدّور على تقدير أن يكون بهدف الإثبات والتّصديق والاستدلال على مسألة معيّنة. بينما لا يستلزم الدّور في إطار المسألة ذاتها، لو كان رجوعًا بقصد الفهم وتكوين تصوّر معمّق.

لا يمكن أن نثبت صدق قول النّبي مثلًا، عبر الاستعانة بالنّص الدّيني، فلا يمكن على سبيل المثال أن نقول إنّ كلام الله حقّ، لأنّ الوحي يقول أنّ كلام الله حقّ. غير إنّ الدّراسة الداخليّة من خلال مراجعة النّص الدّيني تتيح لنا تحديد المعنى؛ والمفهوم المعمّق لصدق كلام الله.

٢ - الحصر النّهجي : يتمثّل المطلب الآخر في الدّراسات الداخليّة، بالوقوع في فخّ الدّوغماتيّة الجزميّة والتّأكيد الحصري على اتّجاه واحد.

إنّ إمكانيّة اعتماد الاتّجاه الداخلي لا تؤدّى إلى إقصاء الدّراسات الخارجيّة، لأنّ إثبات الشيءلا يعني نفيًا لما سواه. الجمع مهما امكن، أولى من التّرك (الطّرح).

٣ - الغفلة عن أولويّة اتّجاه ما ينبغي للباحث أن يتّهم بأولويّة البحث الداخلي في بعض المسائل. إنّ تجاهل ذلك يؤدّي إلى حرمان الباحث من استيعاب جانب مهمّ من الحقائق الدينيّة، ويدفعه نحو البناءات المفهوميّة، التي تمثّل واحدة من أخطر منزلقات البحث. لابدّ للباحث في المجال الدّيني أن يدرك ما يكتسبه الاتّجاه الداخلي من أهميّة وأولويّة، كى يتجنّب الظّواهر الدينيّة وإدراك صدقها، الوقوع في النّظرة الأحاديّة أو تشويه الحقيقة تلك.

٤ - الاتّجاه الحصري فيما يتّصل بالمسائل : لايقتصر استخدام الاتّجاه الداخلي في الإجابة على الأسئلة ومعالجتها، بل المفيد اعتماد شتّى المناهج

والأساليب. إنّ الفلاسفة والمتكلّمين قد ابتعدوا تدريجيًا في تحليلهم لمسائل المبدأ والمعاد، عن لغة القرآن وأساليبه، إلى درجة أنّ جوهره الأساسي يضيع ويتبدّد في التّدقيقات الميتافيزيقيّة المفرطة، وتتلاشى صلته بالنّص القرآني شيئًا فشيئًا.[1]

٢ – ٤. اتّجاهات البحث الخارجي :

يتضمّن الاتّجاه الخارجي بشكله البحثي غير المعتمد على الرّجوع إلى النّص الدّيني، مناهج متنوّعة، منها الدّراسات التاريخيّة، والمقارنة، والأبحاث الاجتماعيّة والنفسيّة والاتّجاه الظّاهراتي، والمناهج البرهانيّة – المنطقيّة إلى جانب الاتّجاهات الوجوديّة، حيث تمثّل هذه نماذج للاتّجاه الخارجي في الأبحاث الدينيّة.

كانت مناهج الفلسفة البرهانيّة والاتّجاهات التاريخيّة، الأدوات الخارجيّة الرّئيسة عند المتقدّمين. ولكن اليوم يمكن القول دون أن نزعم وجود حصر عقلي للأقسام.

إنّ اتّجاهات البحث الخارجي العامّة تتوزّع على أربعة أقسام رئيسيّة هي : المناهج التّجريبيّة، والاتّجاه التّاريخي، والمناهج التحليليّة – المنطقيّة، والاتّجاه الظّاهراتي والاتّجاهات الوجوديّة.

٢ – ٥. الاتّجاه التّحليلي – المنطقي :

نطلق وصف الاتّجاه التّحليلي على تلك الدّراسة التي تستخدم أدوات المنطق والمنهج التّحليلي في الأبحاث الدينيّة، ونعده في قبال الدّراسات التجريبيّة وهذا اتّجاه عريق في الدّراسات الدينيّة. الأمر الذي يتطلّب الإتّجاه في تحليل القضايا إلى بناء المفاهيم الفلسفيّة وأدوات التّحليل المنطقي. المقصود من التّحليل هنا منهج يُبنى على تحليل المبادئ والبنى واللّوازم المنطقيّة في

---

[1] - نويا، بول، **تفسير قرآني وزبان عرفاني (التّفسير القرآني ولغة العرفان)**، ترجمة؛ اسماعيل سعادت، طهران، مركز نشر دانشگاهي، ١٣٧٣ش، ص ٤٧.

النظريّات، ويؤدّى إلى تكوين المعرفة من خلال التّحليل المنطقي، دون الملاحظة الحسيّة والتجريبيّة الموضوعيّة.

لقد اتّجه علماء الكلام تدريجيًا، نحو تأسيس علم الكلام العقلي، وتوظيف أدوات المنطق. استخدم متكلمو الشّيعة والمتعزلة، الأساليب العلقيّة في التّحليل الكلامي، والأشاعرة اقتربوا من الكلام الفلسفي شيئًا فشيئا.[١] فقد شاعت مناهج التّحليل المنطقي عند أهل الإلهيّات والكلام، واكتسبت تدريجيًا قواعد ومناهج متعدّدة. شهدت الدّراسات التحليليّة في الغرب كذلك، وثمّة تباين جذري بين أدوات التّحليل التي كانت متداولة في الفكر الكلاسيكي عند لاهوتيّي القرون الوسطى، وما اعتمده "ديكارت" بمثابة منهج لتوظيف العقل في الإلهيّات، كما هو الحال مع التّباين الجذري بين منهج "ديكارت" في التّحليل، وما يعتمده اتّجاه الفلسفة التحليليّة المعاصرة ولا سيّما مع "فتجنشين".

٢ – ٥ –١. تحليل المفاهيم :

يمكن تقسيم مناهج التّحليل رغم تنوّعها إلى قسمين : تحليل المفهوم، وتحليل القضيّة. وهذا التّصنيف الذي يشمل التّحليل المنطقي والتّحليل اللّغوي، يقوم على أساس موضوع التّحليل، فهو إمّا أن يكون تصورًا في صياغة مفهوميّة، أو تصديقًا نعبر عنه من خلال القضيّة.

---

[١] – اشتهر الغزّالي بنقد الفلاسفة مؤكدًا على أولويّة البحث الدّاخلي وكان يحاول بلورة أنطولوجيا إسلاميّة وأخلاق قرآنيّة، ورغم ذلك فإنّه ادرك أهميّة المنطق في الدّراسات الدينيّة. فقد صنّف ثلاثة أعمال في المنطق، وهي : محكّ النّظر، ومعيار العلم، والقسطاس المستقيم. كما دوّن مقدّمات منطقيّة لكتابيه : مقاصد الفلاسفة، والمستصفى في علم الأصول. نجد كذلك إنّ الفخر الرّازي واصل طريق الغزّالي في نقد الفلاسفة، غير أنّه يعدّ من أهم علماء المنطق في القرن السّادس الهجري، وأكثرهم تأثيرًا. صنّف في المنطق موسوعة "المنطق الكبير"، والملخّص، الذي كتبه على الإشارات في المنطق. (قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ٢٥٩)

يستهدف تحليل المفهوم تحديد دلالته والتخلّص ممّا يحفّها من غموض، وكما يقول "ديكارت" فإنّ "الخطأ لا يتطرّق إلى تصوّراتنا، إلاّ في تلك التي يحفّها الغموض والإبهام".[1] ويحاول "ديكارت" اللجوء إلى الوضوح وتمايز المفهوم للتخلّص من الغموض هذا، أي السّعي إلى تصوّر المفهوم بحيث نتولّى وصف المفهوم بكلّ ما يمت إليه بصلة ذاتيّة ونسلب عنه كلّ ما سواها.

يتطلّب هذا المنهج أن نحللّ المفاهيم إلى عناصرها عبر أسئلة حول ما يعنيه المفهوم، ثم نحللّ المفاهيم التي يتكوّن منها المفهوم الرّئيسي بواسطة السّؤال ذاته، حتّى ننتهي إلى مفهوم واضح ومتميّز.

يمثّل تحديد بنية المفهوم أسلوبًا مفيدًا آخر في تحليل المفاهيم، فلابدّ أن نلاحظ عندما نتعامل مع أحد المفاهيم، هل هو مفهوم مرجعي إشاري،[2] أم وصفي.[3] ونقصد بالمفهوم المرجعي ذلک الذي يستخدم لمجرّد الإشارة إلى الشّيء كعنوان يحيل إليه ويدلّ عليه، نظير الاسم الخاصّ (العلم) أو اللّفظ بوصفه عنوانًا مشيرًا دالًا كما يعبّر الأصوليّون.

أمّا المفهوم الوصفي، فهو مفهوم مشترک يحكي ماهيّة الشّيء، أو حالته أو وصفه. ولابدّ أن نتساءل حول المفهوم المشترک : هل يتضمّن هذا المفهوم وصفًا، أم نسبة واسنادًا ؟

ولوكان يتضمّن الوصف؛ فهل يتولّى وصف الشّيء، أم وصف المفهوم (المعقول الثّاني الفلسفي)، أم وصف الألفاظ، أي يتّصل بما وراء اللّغة) ؟ أمّا لوكان يتضمّن نسبة وإسنادًا، فهل هي نسبة متقارنة لازمة، أم متعدّية ؟... وهذا الأسلوب في تحليل المفهوم يمثّل في حقيقة الأمر أسلوبًا في التّعريف من خلال

---

[1] – ديكارت، رينة، **گفتار در روش به كاربردن عقل (قول في منهج استخدام العقل)**، ترجمة؛ محمّد علي فروغي، طهران، نشر بيام، ١٣٥٥ش، ص ٤٧.

[2] – referential

[3] – descriptive

القسمة، حيث يمكن التوصّل إلى تحليل المفهوم عبر تحديد نمطه في سلسلة المفاهيم وأقسامها.

ويبدو أنّ ثمّة فرقًا هنا بين الفكر المتداول في ثقافتنا وثقافة الغرب. فالعلماء لدينا يتمحورون حول التصوّرات؛ ويوكّدون على تحليل المفاهيم أكثر من تحليل القضايا. وثمّة تصوّر للموضوع وتصوّر للمحمول وتصوّر للنّسبة بينهما، كما أنّ مسائل العلم (قضاياه) هي أعراض ذاتيّة لموضوعه، والعوارض الذاتيّة تتقوّم ببنية مفهوميّة تصوريّة. لكن تحليل القضايا يحظى باهتمام واسع في الغرب، فالقضيّة تمثّل نواة الفكر، ومقولات "كانط"، هي حصيلة تحليله للقضايا.

يقول "راسل" : "ينبغي لشتّى الفلسفات الهامّة، أن تبدأ من تحليل القضايا، وهذه حقيقة بما كانت أوضح من أن تحتاج إلى دليل يدعمها".[١] كما إنّ أهمّ المسائل المعرفيّة تعود إلى علم القضايا، و ثمّة أهميّتة كبيرة للتمييز بين العلم بالقضايا والعلم بالأشياء؛ فموضوع الأوّل هو القضايا والتّصديقات، بينما يكون موضوع الثّاني هو المفاهيم والتصوّرات. إنّ تعريف "أفلاطون" للعلم يمثّل في حقيقة الأمر علمًا بالقضايا (القول الجازم المطابق الثّابت).

يهدف تحليل القضايا إلى تحديد معنى عبارة ما، ولكن كيف نتوصّل إلى مفاد العبارة ؟ من الموكّد أنّ مضمون العبارة لا يمثّل مجرّد حصيلة للمفاهيم والتصوّرات التي تكوّنت منها، خلافًا للاتّجاه الذي يوكّد على محوريّة التصوّر. بل نجد أنّ البنية الشكليّة في النّص الذي تنتمي اليه العبارة، إلى جانب نمط لغة العبارة تلك؛ يمثّلان عوامل موثّرة في معناها. فثمّة معنى لعبارة في نصّ ما، تكتسب معنى آخر حين تنتقل إلى نصّ آخر. ويتغيّر صدقها في إطار اللّغة العلميّة من إطار اللّغة العرفيّة مثلًا.

---

[١]- Russel, B., Philosophy of Libniz, London, George Allen and Anwin L _ TD Musum Street, ١٩٥٨,p.٨.

٢- ٥ – ٢. تحليل البنية المنطقيّة :

لتلك القضايا بنية منطقيّة إضافة إلى بنيتها النحويّة، ويختفي البناء المنطقي ويتوارى خلف البنية النحويّة في حالات مختلفة وبسبب ما تتطلّبه اللّغة الاعتياديّة. هنالك عبارة تتّسم بأنّها قضيّة إخباريّة على مستوى بنيتها، غير إنّها عبارة إنشائيّة على المستوى المنطقي.

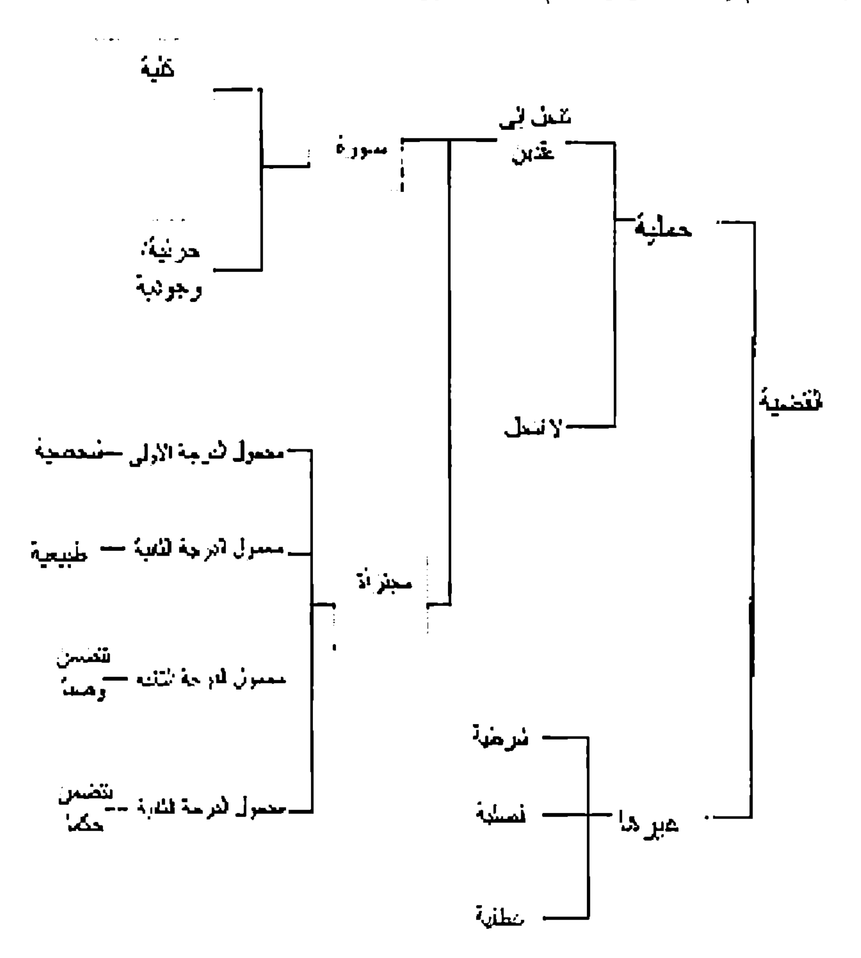
يمكن التوصّل إلى البناء المنطقي في العبارات، من خلال التّقسيم. هل تمثّل القضيّة الكذائيّة، نسبة بين مفهومين (أي شيئًا ومفهومًا، أو شيئًا ونسبة) أم إنّها نسبة بين قضيّتين ؟ هل هي قضيّة حمليّة أم شرطيّة ؟ وعلى تقدير الأوّل فهل يكمن تحليل القضيّة إلى عقديها (مسورة)، أم إنّها لا تقبل تحليلًا كهذا وهي مجتزّأة (شخصيّة)، وعلى تقدير الأوّل، فهل الحكم في القضيّة كليّ أم لا جزئي وجودي ؟ وعلى تقدير الثّاني، فهل تتضمّن محمولًا من الدّرجة الأولى أم الثّانية (قضيّة طبيعيّة) ؟ وعلى أيّ حال فهل تتضمّن القضيّة محمولًا ذا حالة واحدة، أم متعدّد الحالات ؟ تتطلّب الإجابة على هذه الأسئلة، دراسة للمنطق (الأرسطي والجديد) وممارسة ومهارة منطقيّة ويمكن العثور على موقع القضيّة في التّقسيم التّالي، وتحديد بنيتها المنطقيّة :

٢- ٥ – ٣. تحليل البنية اللّغويّة :

تتوقّف بنية المضمون على أمرين هما، البنية المنطقيّة، والبنية اللّغويّة، ويمكن من خلال تحديد لغة القضيّة، التوصّل إلى مضمونها. والمنهج في هذا السّياق هو الذي اتبعناه في تحديد البنية المنطقيّة، أي التّعريف بأسلوب التّقسيم هل تنطوي القضيّة على مضمون معرفي أم لا، على متسوى التنوّع اللّغوي الأفقي (العرضي) ؟

وعلى تقدير الأوّل، فهل هو وصف أم تفسير ؟ ولو لم يمكن مضمونًا معرفيًا، فهل يمثّل توصية قيميّة أم لا ؟ ومن جهة أخرى، ما هي لغة القضيّة على مستوى المتنوّع اللّغوي العمودي (الطّولي)، سواء كانت معرفيّة أم لا ؟

وهل هي لغة عرفيّة، أم دقيقة علميّة (تجريبيّة أو فلسفيّة)، أم لغة كشف وشهود، أم إنّها لغة رمزيّة، أم لغة أسطوريّة ؟



الشكل رقم 16 : تقسيم القضايا حسب البناء المنطقي

الملخّص :

تستخدم مفردتا المنهج والإتّجاه بوصفهما كلمتين مترادفتين، ومتباينتين أيضًا. حين تستخدمان على نحو منفصل، فإنّهما في الغالب تدلاّن على معنى واحد ويشملان بعضهما. أمّا حين يجري استخدامهما معًا في النّص، فإنّ كلًا منهما يحمل مفهومًا خاصًا ويقع قسيمًا للآخر.

إنّ المقصود بالمنهج أداة في نقد الفرضيّة المتبلورة وتقييمها.

إنّ الاتّجاه يتّصل بسياق الملاحظة والاكتشاف بينما يتّصل المنهج بسياق الحكم والتّقييم.

أقسام المناهج والاتّجاهات في الأبحاث الدينيّة

<table>
<tr><th colspan="4">الاتّجاهات الدينيّة الداخليّة</th><th rowspan="2">الاتّجاهات الخارجيّة</th><th rowspan="2">الاتّجاهات المختلطة</th></tr>
<tr><th colspan="2">مستوى الأدوات والمنهج</th><th colspan="2">مستوى النّموذج</th></tr>
<tr><td>المأثور بالمعنى الأعم : القرآن بالقرآن،
المأثور بالمعنى الأخصّ: القرآن بالرّوايات</td><td>الأدبي غير المأثور، الرمزي، العلمي، الفسلفي، العرفاني.</td><td>السّيمنطيقا</td><td>الهرمنيوطيقا</td><td>تجريبي تحليلي تاريخي ظاهراتي وجودي</td><td>مقارن الدّراسات البينيّة للمواضيع</td></tr>
</table>

يتأسّس السّيمنطيقا في قراءة النّص الدّيني، على نظريّة دلاليّة هامّة عرفت في أصول الفقه الإسلامي بنظريّة الدّلالة التّصديقيّة، في قبال نظريّة الدّلالة التصوريّه؛ فلابدّ فيها من العثور على قصديّة المتكلّم لتحديد دلالة النّص.

تعني الهرمنيوطيقا غالبًا الدّلالة على العلم الذي يتضمّن قواعد التّفسير في مقابل السّيمنطيقا. يستخدم البعض كلمة التأويل كمعادل للهرمنيوطيقا، الأمر الذي يدلّل على التّمييز بين الاتّجاهين الهرمنيوطيقى والسّيمنطيقى.

يتّصل تحديد نطاق الأبحاث الداخليّة بعدّة أمور :

١ – نمط المسألة.

٢ – ما يترقّبه الباحث من الدّين والوحي.

٣ – تصوّره حول حقانيّة تعاليم الدّين.

قواعد مهمّة استراتيجيّة في البحث الداخلي :

١ – الدّور

٢ – الحصر النّهجي

٣ – أولويّة البحث

٤ – الاتّجاه الحصري فيما يتّصل بالمسائل

تتوزّع اتّجاهات البحث الخارجي على أربعة أقسام رئيسيّة هي : المناهج التّجريبيّة، والاتّجاه التّاريخي، والمناهج التحليليّة – المنطقيّة، والاتّجاه الظّاهراتي والاتّجاهات الوجوديّة.

تمرين

١ – عرّف المناهج والإتّجاهات، وميّزاتها مع البعض.

٢ – عرّف أقسام مناهج البحث واتّجاهاته في مجال الأبحاث الدينيّة وميّزاتها.

٣ – هل تتباين المناهج والاتّجاهات في الحقول المختلفة، وما هي متطلّبات كلّ منها ؟

٤ – اذكر ترتيب الاتّجاهات والمناهج وتحديد مستوياتها.

الفصل الثّامن

الدّراسات التاريخيّة

تمهيد

لا يمكن للأبحاث الدينيّة أن تستغني عن الأدوات والمناهج التاريخيّة والدّراسة التاريخيّة؛ سواء في علم الكلام الكلاسيكي أو الكلام واللاّهوت المعاصر. لقد اكتسبت الدّراسات التاريخيّة اليوم، أهميّة بالغة في حقل البحث الدّيني، إلى درجة أنّها باتت تشكّل فرعًا خاصًا من فروع البحث الدّيني، كما أفرزت اتّجاهات ومناهج متنوّعة في البحث الدّيني التّاريخي. ذلك من قبيل موضوعات تتّصل بالتّجربة الدينيّة، في اتّجاهها التّاريخي، وتاريخ الإلهيّات، والدّراسة التاريخيّة للإيمان عند العرفانييّن، ودراسة الفرق الكلاميّة تاريخيًا... الخ.

لكن هنالك غموض واسع لا يزال يلفّ هذا السّياق، السّؤال الأوّل في هذا الإطار، حول ماهيّة الدّراسة التاريخيّة، فما هو المقصود بشكل عام، من القراءة التاريخيّة لظاهرة ما ؟

ماذا نترقّب من المعالجات التاريخيّة ؟

ما هو مفهوم الدّراسة التاريخيّة وما هي طبيعتها ؟

السّؤال الآخر؛ استخدام الدّراسة التاريخيّة في حقل البحث الدّيني. فما هي مستويات الحاجة في البحث الدّيني للدّراسة التاريخيّة؛ وما هي أبعاد الحاجة إلى القراءة التاريخيّة ؟

ويتّجه السّؤال الثّالث إلى الاستفهام حول الأداء العملي للبحث التّاريخي.

ينبغي أن ندرك خلال استخدام المنهج هذا، كيف تبدأ القراءة التاريخيّة للظّواهر الدينيّة، أو النظريّات التي يطرحها البحث الدّيني؛ وما هي المراحل التي يمرّ بها والآلية المستخدمة فيه ؟

ماهي الخيارات والمعوّقات التي نواجهها في هذه العمليّة، وكيف لنا أن نقوم بتوجيه الأبحاث التّاريخيّة بمثابة مشروع بحثي ؟

البحث التّاريخي

أهداف التعلّم :

- التعرّف على ماهيّة الدّراسة التاريخيّة من القراءة التاريخيّة لظاهرة مّا.

مفهوم الدّراسة التاريخيّة وطبيعتها.

- استخدام الدّراسة التاريخيّة في حقل البحث الدّيني.
- مستويات الحاجة في البحث الدّيني للدّراسة التاريخيّة، وأبعاد الحاجة إليها.
- الأداء العملي للبحث التّاريخي، والمراحل التي يمرّ بها، والآلية المستخدمة فيه.
- الخيارات والمعوّقات التي نواجهها في الأبحاث التاريخيّة بمثابة مشروع بحثي.

١ - البحث التاريخي :

هل يشكل استيعابنا التّاريخي لأمر مّا، قراءة لماضية وتاريخه والأشياء التي شكّلت أرضيّة لظهوره، أم إنّ المعرفة التاريخيّة أمر آخر غير ذلك ؟ إنّ المعرفة التاريخيّة لظاهرة ما، تتولّى تجريدها عن حاجز الزّمن وتحاول التعرّف عليها كما هي وكما كانت تظهر لمن عاصرها. وذلك من خلال جهد علمي ينتقل من الحاضر إلى الماضي ويلغي المسافة الزمنيّة. هل يقع على عاتق المؤرّخ إلغاء الحاجز الزّمني، أم يتوجّب عليه بلورة المرآة الزمنيّة وجانب الحكاية والتّعبير في عنصر الزّمن ؟

المستوى الثّالث من الغموض في دور البحث التّاريخي ينتهي عند وصف الظّاهرة؛ هل تستهدف الدّراسة التاريخيّة ممارسة الوصف أم التّفسير ؟

هل تحاول مقاربة كيفيّة الظّاهرة أم عللها ؟ يرى أمثال شبنغلر (١٩٣٦-١٨٨٠) إنّ التّاريخ بمثابة شكلانيّة (مورفولوجيا) مقارنة، بينما يترقّب أغلب الفلاسفة أن تتولّى الدّراسة التاريخيّة دورًا تفسيريًا.

وثمّة مستوىً رابعًا للغموض أثار جدلًا متعدّد الأبعاد في فلسفة التّاريخ، وهو يتّصل بالعلاقة بين البحث التّاريخي والبحث التّجريبي المتداول في علوم الطّبيعة. إنّ اتّجاه التّمييز بين البحث التّاريخي وعلوم الطبيعيّة، يستتبع معطيات واسعة في سياقَيْ الوصف والتّفسير، لأنّنا نواجه لونين متباينين من البحث المنهجي العلمي، الأمر الذي ينبغي تحديده.[1] نحاول انتقاء التّعريف الذي نعتمده للبحث التّاريخي.

أولاً : لا نقصد بالمعرفة التاريخيّة، دراسة تاريخ حدث أو فكرة مّا. إنّ البحث التّاريخي في المفهوم الذي نتناوله هنا، ليس اكتشافًا للمستقبل من خلال الماضي.

ثانيًا : لانقصد بالمعرفة التاريخيّة حركة من الحاضر نحو الماضي، وإلغاء حاجز الزّمن والعودة إلى لحظة ولادة الظّاهرة، بل المقصود هو اكتشاف الماضي في ظلّ الحاضر.

٢ - الحدث التّاريخي :

نقصد بالأمر التّاريخي كلّما امتلك هويّة تاريخيّة، سواء كان حدثًا موضوعيًا أو أمرًا من قبيل الفكر والمعرفة. مثلاً : هل كان القرآن أمرًا تاريخيًا كي نتناول تاريخه ؟

تنقسم الأحداث؛ سواء كانت أفكارًا أو ظواهر، إلى نوعين : فهي إمّا أن تتحرّك في إطار الزّمنْ وتتواصل فتخلد، أو تظلّ حبيسة زمنها فتدفن فيه

---

[1] - Weingartner, Rudolph.h, **"Historical Explanation"** Encyclopedia of Philosophy, P. Edwards (ed). Vol ٤, p ٦- ١١.

وتنتهي. والقسم الأوّل هو الحدث التّاريخي. يمثّل الزّمان في هذا التصوّر كذلك مفهومًا أساسيًا، غير إنّه يعد هنا بمثابه إكسير الخلود بالنّسبة للحدث الذي يكتسب تاريخيّة بفضل ذلك الإكسير. ويتقوّم الأمر التّاريخي بامتلاك الحدث وجودًا تاريخيًا، بمعنى الحركة في الزّمن.

٣ – المعرفة التاريخيّة :

ثمّة مفهومان للمعرفة التاريخيّة، فالشيء التّاريخي في ضوء المفهوم الأوّل، هو أمر احتجز خلف أسوار الماضي، بينما يحاول المؤرّخ إزالة الحاجز الزّمني هذا عبر أدوات ومناهج معيّنة، والاقتراب من الحادثة التاريخيّة كي يراها كما هي. فإنّ المعرفة التاريخيّة هنا تعني فهم الماضي ودراسة الزّمن المنصرم. الأمر الذي يمكن أن يساهم في إضاءة الأحداث الحاليّة والتنبّؤ بالأحداث المقبلة.[١]

وفي ضوء التصوّر الثّاني، فالمعرفة التاريخيّة ليست جهدًا يستهدف إلغاء الحاجز الزّمني، بل على العكس من ذلك، فهي محاولة لرؤية التّاريخي في مرآة الزّمن. فإنّنا نواجه في واقع الأمر، لونًا من الثّورة الكوبرنيكيّة، تتحوّل فيها الحركة نحو الماضي إلى انتقال في المستقبل. فالدّراسة التّاريخيّة هي اكتشاف لحدث أو فكرة تاريخيّة في تواصلها التّاريخي، وفي ظلّ آثارها ونتائجها والتحديّات التي واجهتها ونظائرها، وبحث عن معطياتها وتواليها، بدلًا عن ملاحقة تاريخها وأسبابها.

في سياق الوصف والتّفسير، فدراسة حركة مّا تعني وصف هويّة هذا الحدث العظيم وأبعادها، وتعليلها على أساس مرآة الزّمن وفي ظلّ أحداث المستقبل. وفي ضوء ذلك، فإنّ القراءة التاريخيّة هي على غرار التّفسير، لانهاية لها إذ

---

[١] – خاكي، غلامرضا، **روش تحقيق در مديريّت (منهج البحث في الإدارة)**، طهران، مركز النشر العلمي لجامعة آزاد الإسلاميّة، ١٣٧٩ش، ص ١٠٣.

لا يمكن تدوين تاريخ نهائي. فنريد بالدّراسة التاريخيّة، استيعاب الماضي في إطار نتائجه الحاضرة، وبقدر ما تمتدّ المسافة الزمنيّة بين المؤرّخ والحدث، تزداد القراءة التاريخيّة عمقًا.

ت	الاتّجاه	مفهوم الزّمان	الأمر التاريخي	المعرفة التاريخيّة
١	إتّجاه العامّة	حاجز وحجاب	أمر طرأ في الماضي	إلغاء حاجز زمن الاقتراب من الحدث لقراءته.
٢	الاتّجاه العلمي	مرآة حاكيّة	حدث يتحرّك في مجرى الزّمان	قراءة الماضي في ظلّ المستقبل

الجدول رقم ٨ – ١ : اتّجاهان متباينان في تعريف الأمر التّاريخي والمعرفة التاريخيّة، والأساس الذي يتباينان في ضوئه

٤ – أهميّة البحث التّاريخي :

أدرك الفلاسفة بعد تأمّلات "هيغل" التاريخيّة، أهميّة الفكر الفلسفي ظلّ الاتّجاه التّاريخي، وظهور نقد لجدوى هذا النّوع من الأبحاث وفائدته. يقول "نيتشة" :

"إنّ غياب الحسّ التّاريخي يمثّل ثغرة متوارثة عند جميع الفلاسفة؛ فالكثير منهم يبادرون تلقائيًا إلى تقبّل الإنسان بوصفه منتميًا إلى الدّين الكذائي أو الاتّجاه السّياسي الفلاني، وينظرون إليه من هذه الزّاوية متجاهلين كلّ ما ينطوي عليه ذلك الكيان الذي اكتسب الآن شكله الحالي. وهكذا فإنّ ما نحن بحاجة إليه بعد الآن، هو الفكر الفلسفي من منظور تاريخي يقترن بالفضيلة والتّواضع".[1]

---

[1] – إسترن، **نيتشه**، ترجمة؛ عزت الله فولادوند، طهران، طرح نو ، ١٣٧٣ش.، ص ٨٢.

يرمي "نيتشه" بحديثه عن الحسّ الباطن، إلى أن التّاريخ سيكون المعلّم الأفضل حين نريد به اكتشاف الماضي في ظلّ المستقبل، فالتدبّر في مرآة الزّمن يجعل من استيعاب الأحداث أكثر عمقًا وأيسر تأدية.

٥ - البحث التّاريخي في الدّراسات الدينيّة :

ثمّة آصرة متعدّدة الأبعاد تربط البحث الدّيني، بعلم التّاريخ وبحوث المنهج فيه وفلسفة التّاريخ وفقًا لما يلي :

١- ورد في النّصوص الدينيّة ترغيب برؤية الماضي في ظلّ المستقبل، في قوله تعالى : "**قل سيروا في الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذّبين**"[1] ويمثّل هذا في حقيقة الأمر، اكتشافًا للماضي من خلال المستقبل. وتحذّر التّعاليم الدينيّة من التوقّف عند راهن الأمور وتجاهل عواقبها ونتائجها القادمة، وتقود الباحث في الحقل الدّيني نحو فلسفة التّاريخ وأبحاث المنهج التّاريخي.

٢- يمكن التوصّل إلى وصف وتفسير لكثير من المسائل في حقل الأبحاث الدينيّة، من خلال الاستعانة بعلم التّاريخ وأدواته والمعطيات التّاريخية، الأمر الذي تنحصر معالجته أحيانًا في المنهج التّاريخي. اضطرّ المتكلّمون في محاولتهم إثبات النّبوة الخاصّة والمعجزة إلى الاستعانة بالمعالجات التاريخيّة.

٣ - يعتمد المتكلّمون اتّجاهات غير تاريخيّة في مسائل نظير وحدة التّجربة الإيمانيّة ودور الأنبياء في المستوى الاجتماعي- التّاريخي ... الخ، بيد إنّ في وسع البحث التّاريخي أن يمثّل تحديًا لهم في هذا المجال، ويتطلّب الخوض في هذا التّحدي خبرة في الأدوات والمناهج التاريخيّة. على سبيل المثال ليس في وسع علماء الكلام والإلهيّات فيما يتّصل بموضوع فطريّة عقيدة التّوحيد، أن يتجاهلوا ذلك التّحدي الذي طرحه "ديفيد هيوم" حين أصدر كتابه «التّاريخ الطّبيعي للدّين».

---

[1] - الأنعام / ١١

٤ – ثمّة وجود تاريخي للدّين، لايعني تجريد الدّين عن قداسته وسماويّته أو تقليص هاتين السّمتين لأن الدّين اقترن بظهور البشريّة وواكبها، وهو من البنى التحتيّة الهامّة لحضارة الإنسان. لايمكن بلورة الهويّة التاريخيّة هذه من خلال الظاهراتيّة ولا الاتّجاه الوجودي، وفيما يتّصل بالاتّجاهات الاجتماعيّة والنفسيّة. إنّ الدّراسة التاريخيّة للدّين تعدّ من أهمّ مناهج البحث الدّيني، ويمكن من خلال ذلك التوصّل إلى حقيقة الدّين وحقانيّته وصدقه.

٥ – لدى التّعاليم الدينيّة ما تقوله بشأن التّوجه لمسارات تاريخيّة خاصّة. إنّ العاقبة للأتقياء، وغاية التّاريخ تتّجه بمشيئة الإله نحو الفلاح والنّصر الحق.

تعدّ هذه التّعاليم اليوم بمثابة نظريّة في فلسفة التّاريخ، تتحدّى نظريّات الاتّجاهين المادّي والعلماني. فنتولّى أولًا في استعراض الأساليب التاريخيّة، تناول عمليّة البحث التّاريخي، ثمّ نذكر الأخطاء التي ترتكب في المعرفة التاريخيّة.

٦ – عمليّة البحث التّاريخي :

٦– ١. سياق الوصف :

يمرّ البحث التّاريخي كأيّ بحث منهجي آخر بمرحلتين : الوصف، والتّفسير. نتعرّف في مرحلة الوصف على كيفيّة تطوّر الأمر التّاريخي، بينما نتولّى في مستوى التّفسير، إيضاح أسباب ذلك التحوّل والتطوّر. وتمثّل المصادر والوثائق والمعلومات، أدوات رئيسة في عمليّة الوصف. إنّ الدّقة التاريخيّة تتطلّب منّا أن لانتوانى عن محاولة العثور على الوثائق والمصادر في الدّرجة الأولى، حين تخضع لنقد وتقييم دقيقين. حيث نقوم في البحث التّاريخي، بتحويل البيانات إلى المعلومات، فعمليّة التّحويل هذه هي نقد للوثائق التاريخيّة.

غالبًا ما يجري استخدام نمطين من النّقد هنا، فثمّة نقد داخلي وآخر خارجي. يتولّى النّقد الخارجي تقييم صحّة المعلومات ودقّتها، بينما يعمل النّقد الدّاخلي

على تحديد أهليّة المعلومات ومدى كونها مناسبة للبحث. والمقياس في التّقييم الأخير هذا هو الموضوعيّة[1] والتجرّد عن المواقف والرؤى الشخصيّة.

كانوا في الماضي يؤكّدون على مقياسين رئيسين في هذا السّياق : ثقة المخبر، والتّواتر في النّقل. أمّا اليوم فقد ظهرت أدوات دقيقة ومناهج وتقنّيات أكثر جدوى، الأمر الذي أحدث تحولًا في النّقد التّاريخي. فما هي مسائل سياق الوصف الرّئيسة في البحث التّاريخي ؟

يواجه الباحث في هذا السّياق ثلاثة أسئلة أساسيّة، أوّلها يستفهم حول كيفيّة ظهور الأمر التّاريخي وتكوينه. من الذي قام بخلق هذه الظّاهرة أو الفكرة التاريخيّة، وأين، وكيف، وفي ظلّ أيّة ظروف وضمن أيّ إطار ؟

ما هو الشّكل الذي اكتسبته في لحظة تكوينها الأولى ؟

فالأبعاد النفسيّة والشخصيّة، والأحوال الاجتماعيّة، والمكانة التاريخيّة، والظّرف السّياسي والثّقافي والاقتصادي للحظة الظّهور، وكلّ هذا يمثّل أشياء لايمكن تجاهلها.

يفتتح السّؤال الثّاني حول تطوّر الأمر التّاريخي وكيفيّة ذلك. كيف طرأت التحولاّت على الحدث التّاريخي ؟ ما هي الأشكال التي اكتسبها ؟ وما هي المعطيات والنّتائج التي استتبعها ؟ ما هي الأطر التي جرى تكريسه فيها ؟ وما هي المستويات التي تحرّك فيها والاتّجاهات التي نظمت حركته تلك ؟ ما هي التصوّرات ووجهات النّظر التي طرحت حوله ؟ فدراسة الحدث تشمل مرحلة مّا بعد ظهور الحدث وتكوينه.

يستفهم السّؤال الثّالث حول الوضع الرّاهن للحدث أو النقطة التي انتهي إليها. ما هو الشّكل النّهائي له وما هو آخر تحوّل طرأ عليه ؟ فالتّنبؤ بالحدث وأشكاله المستقبليّة أمر يؤكّد البعض على أهميّته في البحث التّاريخي. إنّ

---

[1] - objectivity

تحديد موقع الحدث ومكانته في الإطار الذي ينتمي إليه يمثّل المرحلة الأهمّ من سياق الوصف.

ويتّجه المسار في المراحل الثّلاثة المذكورة، نحو اكتشاف الماضي في ظلّ المستقبل، ويتحرّك البحث من الحدث نحو المستقبل. فإنّ الهدف الأساسي من الوصف التّاريخي هو الكشف عن تلك العلاقات وتحديد طبيعتها.

٦ -٢. سياق التّفسير :

يمثّل تفسير الأحداث التي تكوّن موضوعًا للبحث، واحدًا من الأشياء التي نترقّب من الدّراسة التاريخيّة. كيف تكوّنت فرقة الخوارج ؟ ما سبب تبلور مسألة الإيمان والعمل الصّالح في أولى مراحل الفكر الإسلامي ؟ لماذا طرأ كلّ هذا التحوّل في مسألة تفسير الإيمان ؟

إنّ للتّفسير بنيته المحدّدة، فما هو نمط القوانين التي يستخدمها المؤرّخون في تفسير الأمر التّاريخي ؟ يمثّل تحديد ماهيّة التّفسير التّاريخي وهويّته، موضوعًا هامًا، فهو أمر لايزال يمثّل واحدًا من الموضوعات الجديدة نسبيًا. إنّ عددًا قليلًا من الباحثين في المرحلة التي تلت عصر التّنوير تصوّروا أنّ ثمّة إشكاليّة محدّدة فيما يتّصل بالتّفسير التّاريخي التي يتدخّل فيها العامل الإنساني. وفي النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، تحوّلت فلسفة العلم والتّحليل الفلسفي لمناهج التّاريخ إلى تخصصّات علميّة مستقلّة وطرح للمرّة الأولى، موضوع التّعليل التّاريخي منطقيًا.

نواجه في سياق التّفسير التّاريخي ثلاث مسائل رئيسة، تتّجه كلّ منها إلى واحدة من المسائل الرّئيسة في سياق الوصف، وتتضمّن العديد من التّساؤلات :

١ - ما هو السّر في ولادة الحدث التّاريخي ضمن تلك اللّحظة المحدّدة، وعلى يد الشّخص الكذائي، وفي إطار ظروف كتلك ؟

٢ - لماذا طرأ تحوّل تاريخي كهذا ؟ ما هو سبب اتّجاه الحدث التّاريخي نحو مسار كهذا، ولماذا لم يتّخذ شكلًا تطوريًا آخر ؟

٣ – لماذا انتهي الحدث التّاريخي إلى شكله الحالي وموقعه الرّاهن ؟
فالتّساؤل بلماذا؛ هو استفهام عن السّبب والعلّة، لا الدّليل.

عمليّة البحث التّاريخي		
١	الوصف	كيفيّة ظهور الأمر التّاريخي
٢		كيفيّة تطوّره وتحوّله وتكامله
٣		كيفيّة اكتسابه الشّكل النّهائي
٤	التّفسير	سبب الظّهور في ضوء النّقطة الأولى
٥		سبب التطوّر والتحوّل في ضوء النّقطة الثّانية
٦		سبب الشّكل النّهائي في ضوء النّقطة الثّالثة

الجدول رقم ٨ – ٢ : ست مراحل لعملية البحث التاريخي

٧ – أخطاء البحث التّاريخي :

رغم فوائد البحث التّاريخي، ثمّة أخطاء لايمكن التخلّص منها بمعنى من المعاني، والتي لامناص منها في بحوث كهذه. لكن في وسعنا معالجة بعض الأخطاء من خلال أساليب منطقيّة.

١ – الغفلة النّاشئة عن الانتقائيّة : لا سبيل إلى تجنّب عمليّة الانتقاء في جميع الأبحاث المتداولة؛ سواء في العلوم الطبيعيّة أو الاجتماعيّة. ويعني الانتقاء أخذ أمر أو جانب، وتجاهل أمور وأشياء أخرى، ونتيجة هذه الغفلة عن الأبعاد المتنوّعة للشيء والرّؤية الأحاديّة، وتعزيز ميل المرء نحو الحصريّة. ينبغي للباحث أن يتجنّب الدوغماتيّة ويتّجة إلى ماوراء المعرفة المتبلورة نحو معرفة جديدة أكثر عمقًا.

٢ – تحويل الظّاهرة إلى كائن تاريخي محض : إنّ الظّاهرة أو الفكرة التي يدرسها المؤرّخ، هي أمر تاريخي، غير أنّ ملاحظة الجانب التّاريخي في

موضوع البحث يمكن أن توحي للباحث وتوهّمه بأنّ الموضوع هذا ليس سوى وجود تاريخي. ويؤدّي عدم ملاحظة الجوانب الأخرى إلى إقصائها وتجاهلها، والاختزاليّة في التّاريخ، هي رؤية تفترض أنّ الظّاهرة التي نتناولها لا تمتلك هويّة سوى كونها أمرًا تاريخيًا.

والاختزاليّة التي نشأت عن الاتّجاه التّاريخي في المعرفة، تتّسم بخطورة أكبر في الأبحاث الدينيّة، ذلك لأنّها تعني أنّ الدّين والظّواهر الدينيّة لا تمتلك سوى هويّة تاريخيّة، الأمر الذي يعني بدوره إنكار قدسيّة الدّين التي تمثّل جوهرًا له، وهو ما يحرم الباحث من القراءة الواقعيّة.

٣ - الدّمج بين الدّافع والنّتيجة : إنّ البحث التّاريخي هو دراسة الأسباب والنّتائج في تواصل حيويّ ونجد أنّ مفهومي الدّافع ونتيجة الدّافع، في موضوعنا أبلغ من مفهومي العلّة والمعلول أو السّبب والمسبّب على التّوالي. تعمد الحكومة مثلًا إلى افتعال حدث أو إشاعة فكرة، استنادًا إلى هدف ما تستتبع هذه الظّاهرة سلسلة من اللّوازم والنّتائج على مرّ التّاريخ، فثمّة سلسلة من الدّوافع ونتائجها. تمثّل دراسة الدّوافع إطارًا لاكتشاف نتائجها، كما إنّ فهم النّتائج هذه يمثّل طريقًا للتوصّل إلى فهم أعمق للدّوافع.

لكن ثمّة أخطارًا تنطوي عليها هذه الدّراسة، من أهمّها عدم التّمييز بين الدّافع ونتيجته، حيث يمكن أن يقوم الباحث بتعميم أحكام الدّافع وخصائص السّبب إلى النتيجة والدّافع والمسبّب (بالفتح) أو بالعكس. إنّ هذا اللّون من الخلط والدّمج يمثّل نموذجًا للمغالطة التي تقرّر إنّ «س» نتيجة «ص»، إذن «س» هو«ص» ذاته. إنّ تعميم أحكام الدّافع ونتيجته من أحدهما إلى الآخر، يمثّل على نحو الدّقة، نفيًا لتطوّر الظّاهرة من الحالة السّابقة إلى الحالة التّالية. كما إنّ بعض الآباء لا يستوعبون تطوّر أبنائهم بسبب نظرتهم السكونيّة، ولذلك فإنّ الأولاد يظلّون عند الآباء أطفالًا صغارًا، رغم أنّهم يتقدّمون في السّن ويكبرون. إنّ الإحاطة بهذا الخطأ وعقد العزم على تفاديه أو علاجه،

لايعني النّجاح في ذلك بالضّرورة. يتطلّب الأمر مناهج علاجيّة تؤدّي إلى تغيير الرّؤية المذكورة.

٤ – الدّمج بين الحكم والقيمة : إنّ حضور شخص الباحث في الدّراسة التاريخيّة، بكلّ ما يتملكه من عواطف وإثارات ورؤى، يمثّل أمرًا داخلًا في صميم طبعه ولايمكن تجنّبه، غير إنّ ذلك بعينه يعدّ أمرًا عاديًا في حقول البحث الأخرى. ليس في وسع البحث التّاريخي أن يتفادى إحالة الغايات والأهداف إلى الفاعل الإنسان، وتقديم تعليلات غائيّة. إنّ المؤرّخ في البحث التّاريخي، إنسان يتقوّم بعناصر شخصيّته وانفعالاته وعواطفه، كما أنّ موضوع البحث هو مواقف إنسانيّة تنشأ عن الانفعالات والعواطف، وتحفز الانفعال والعاطفة. «الغضب والشّهوة يصيبان المرء بالحول»

إنّ الغفلة النّاتجة عن الانتقائيّة تستتبع أحكامًا قيميّة، توقّع الباحث في فخّ التّمييز بين الدّافع والنّتيجة، وهما معًا يعزّزان الاختزاليّة التي تؤدّي بدورها إلى تكريس حالة الانتقاء.

الملخّص :

كلّما تمتلك هويّة تاريخيّة، فهو الأمر التّاريخي، سواء كان حدثًا موضوعيًا أو أمرًا من قبيل الفكر والمعرفة. ک هل كان القرآن أمرًا تاريخيًا كي نتناول تاريخه ؟

الأمر التّاريخي يتحرّک في إطار الزّمن ويتواصل فيخلد. أي يتقوّم بامتلاک الحدث وجودًا تاريخيًا، بمعنى الحركة في الزّمن.

دراسة حركة مّا تعني وصف هويّة هذا الحدث العظيم وأبعادها، وتعليلها على أساس مرآة الزّمن وفي ظلّ أحداث المستقبل. أي كيفيّة تطوّر الأمر التّاريخي. تمثّل المصادر والوثائق والمعلومات، أدوات رئيسة في عمليّة الوصف.

على غرار التّفسير، إنّ القراءة التاريخيّة لانهاية لها، إذ لا يمكن تدوين تاريخ نهائي. فيتولّى التّفسير، إيضاح أسباب ذلك التحوّل والتطوّر

عمليّة البحث التّاريخي		
١	الوصف	كيفيّة ظهور الأمر التّاريخي
٢		كيفيّة تطوّره وتحوّله وتكامله
٣		كيفيّة اكتسابه الشّكل النّهائي
٤	التّفسير	سبب الظّهور في ضوء النّقطة الأولى
٥		سبب التطوّر والتحوّل في ضوء النّقطة الثّانية
٦		سبب الشّكل النّهائي في ضوء النّقطة الثّالثة

الجدول رقم ٨ – ٣ : ست مراحل لعملية البحث التاريخي

أخطاء البحث التّاريخي

١ – الغفلة النّاشئة عن الانتقائيّة.

٢ – تحويل الظّاهرة إلى كائن تاريخي محض.

٣ – الدّمج بين الدّافع والنّتيجة.

٤ – الدّمج بين الحكم والقيمة.

تمرين :

١ – ما المقصود من القراءة التاريخيّة لظاهرة ما، وما هي طبيعتها ؟

٢ – ماذا نترقّب من المعالجات التاريخيّة ؟

٣ – ما هي مستويات الحاجة في البحث الدّيني للدّراسة التاريخيّة؛ وما هي أبعادها ؟

٤ – كيف تبدأ القراءة التاريخيّة للظّواهر الدينيّة، وما هي المراحل التي تمرّ بها والآلية المستخدمة فيها ؟

٥ – قدّم بحثًا دينيًا، وأدرس المعوّقات التي تواجهه في هذه العمليّة، وقم بتوجيهها بمثابة مشروع بحثي ؟

الفصل التّاسع

الدّراسات المقارنـة

تمهيد:

يمثّل البحث المقارن، عنوانًا متداولًا مقبولًا يحظى باهتمام الباحثين والعديد من المجالات. تُذكر كلمة (المقارن) أحيانًا لوصف عنوان أو منهج لمشروع بحثي، نظير العناوين التّالية : «محاربة الفساد الإداري في البلدان المتقدّمة والنّامية؛ دراسة مقارنة»، كما تأخذ بعض البرامج مقررًا دراسيًا مستقلًا للاتّجاه المقارن، كالفلسفة المقارنة والفقه المقارن.

فهناك اتّجاهًا ثالثًا يتصوّر أنّ البحث المقارن يصدق على كلّ حالة نضع فيها أمرًا في جوار أمر آخر أو إلى جانبه. فهناك غموض لابدّ من تبديده كي يمكن الإيمان بجدول هذا النّمط من الأبحاث ويجري الاهتمام به.

يتمثّل الغموض الآخر في الموضوع، بعدم تحديد نطاق المقارنة، كيف يمكن أن نحدّد إمكانيّة المقارنة بين (س) و(ص) ؟

ما هو تصوّرنا حول المقياس في إمكانيّة المقارنة ؟

متى يكون البحث المقارن سلوكًا لطريق خاطئ ؟ يتطلّب التّوظيف العملي للبحث، تحديد خطواته العمليّة إلى جانب تعريفه وتحديد نطاقه. فما هي المراحل التي يمرّ بها ؟ وما هي أساليبه ومناهجه ؟

إحدى المزالق في البحث المقارن، تتمثّل بحالات التّشابه والتّفاوت الشكليّين، ولاتميّز بين ظواهر متباينة جذريًا. فنتساءل : كيف لنا تجنّب هذا النّزوع نحو الأشكال والظّواهر ؟

كيف لنا أن نتجاوز الشّبه أو التّباين الشّكلي لنتوغّل في الشّبه أو التّباين الحقيقي ؟

الدّراسات المقارنة

أهداف التعلّم :

- تعريف للبحث المقارن، وتحديد نطاقه.
- تحديد البحث المقارن، وخطواته العمليّة.
- المراحل التي يمرّ بها البحث المقارن؛ أساليبه ومناهجه.
- المقياس في إمكانيّة المقارنة.
- كيفيّة تجاوز الشّبه أو التّباين الشّكلي والظّواهر، لنتوغّل في الشّبه أو التّباين الحقيقي.
- كيفيّة التجنّب للنّزوع نحو الأشكال والظّواهر.

١ - ماهيّة البحث المقارن :

ذهب المتخصّصون في علم الإدارة إلى التّأكيد على الإدارة المقارنة نظرًا لأهميّة البحث المقارن. يعتقد "راغونات"[1] إنّ الإدارة المقارنة تعني في مفهومها، الإدارة بين ثقافات متعدّدة. وقد عدّوا الإدارة المقارنة دراسة لمهنة الإدارة في شتّى الثّقافات والبلدان، تستهدف تحديد القواعد المتداولة ومدى الاختلاف في هذا النّطاق بين الثّقافات.[2]

---

[1] - راغونات، **مديريت تطبيقي، (الإدارة المقارنة)**، ترجمة؛ عبّاس منوريان، طهران، دانشگاه آزاد اسلامي، ١٣٧٧ش.

[2] - ساورد، هيشر، **درك رنج: فرهنگ مديريّت (معرفة الأزمة: ثقافة الإدارة)**، ترجمة؛ محمّد صائبي، طهران، مركز آموزش مديريّت دولتي، ١٣٧١ش، ج١، ص ١٣٢.

إنّ مفهوم الدّراسة القائمة على القياس بين الأشياء، هو أكثر مركزيّة فيما يتّصل بماهيّة البحث المقارن، لكن هناك بضعة ملاحظات يمكن أن ندقّق النّظر فيها :

أولاً : إنّ تعريف البحث المقارن بأنّه «دراسة تقوم على القياس بين الأشياء» هو في حقيقة الأمر تعريف لفظي؛ أي «شرح اللّفظ»

ثانيًا : لولم يتّضح بالكامل ما نقصده بالدّراسة القائمة على القياس بين الأشياء، نقع في الدّور، لأنّ القياس المذكور يعنى المقارنة، والمقارنة تعني القياس بالمعنى المفترض.

ثالثًا : إنّ استخدام تعبير «الدّراسة التي تقوم على القياس بين الأشياء» محفوف بالغموض نسبيًا، وذلك لأنّه ليس من الواضح أنّ الدّراسة تلك هدف للبحث أم أداة ومنهج له! هل هي موضوع أم مسألة ؟ إنّ هدف الدّراسة التي تقوم على القياس بين الأشياء، ليس سوى الفهم والاكتشاف ما يعادل كلمة knowledge وموضوع المعرفة هذه، إمّا أن يكون ظاهرة، أو فكرة، أو أمرًا واحدًا، أو منظومة. نستنتج في ضوء ما مرّ، المفاهيم الأساسيّة للبحث المقارن كما يلي :

١- فهم ظاهرة أو فكرة مّا، وهو هدف البحث المقارن : الدّراسة المقارنة أسلوب للتوصّل إلى فهم متعدّد الأبعاد.

٢- فهم حالات التّباين والاشتراك وتفسيرها : هذا هو الرّكن الثّاني في التّعريف، وهو أسلوب في التوصّل إلى الرّكن الأوّل، فيمكن تحليل مفهوم البحث المقارن كما يلي :

البحث المقارن قراءة ظاهرة أو فكرة في إطار مقارن

(فهم مستويات الاشتراك والتّباين، وتفسيرها)

٢ - دور البحث المقارن :

إنّ الاتّجاه المباشر في فهم الأشياء، يحرم المرء رؤية أبعادها المختلفة ولم يتح له استيعاب الجوانب الخفيّة في موضوع البحث، ويمكن العثور على الدّور

المؤثّر للبحث المقارن في دراساتنا للنّص القرآني. فالقرآن يستخدم أسلوب المقارنة بين الأشخاص بهدف إيجاد تحوّل في الرّؤية وبلورة بصيرة نافذة، الأمر الذي نجده في قوله تعالى ضمن استفهام دالّ : "**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون**".[1] ومن النّماذج الأخرى لهذا الأسلوب الذي يربّي الرّؤية الثّاقبة، مقارنة القرآن بين أهل الإيمان والعمل الصالح، والمفسدين في الأرض، والتّدليل على التّباين بين المتقين والفجّار، ممّا جاء في الآية : "**اَم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدينَ في الأرض اَم نجعل المتّقين كالفجّار**"[2].

إنّ اعتماد الإتّجاه المقارن في البحث، يعكس السّر في أنّنا نتوصّل إلى أسئلة متباينة في حقل معرفي واحد.

٣ - نطاق المقارنة :

تبدأ كلّ الأبحاث بتعريف مسائلها وتحديد الأسئلة الرّئيسة، ولابدّ للباحث الذي يعتمد اتّجاهًا مقارنًا أن يحدّد مسائل بحثه على وجه الدّقة، ثمّ يحدّد نطاق المقارنة. حين نمارس البحث المقارن في الإلهيّات مثلًا، فلابدّ أن نحدّد المنظومة الكلاميّة، أو الإلهيّة، أو الفلسفيّة التي ستكون موضوعًا للمقارنة بالمنظومات والمدارس، أم العلماء والمنظرين ؟

ثمّة عوامل متعدّدة تلعب دورًا في تحديد نطاق المقارنة، نظير المؤهّلات الشخصيّة، وإمكانيّات البحث، والقابليّة على المقارنة و....

ماهي الاشياء التي تتقبّل المقارنة، ولاتقبل ؟ هنالك اتّجاهان في هذا السّياق. يرى الاتّجاه الأوّل أنّه ما من شيئين يكونان متباينين بالكامل بالمعنى الدّقيق للتّباين، فإنّه ممّا لايمكن فهمه أو اكتشافه.

---

[1] - الزّمر / ٩

[2] - صاد / ٢٨

أمّا الاتجاه الآخر فيضع شروطًا عديدة لإمكانيّة المقارنة، كالتّطابق في ما يتأسّس عليه الشّيئان من نظام ومبادئ، ووحدة النّمط أو الحدّ الأدنى من التّناسب. إنّ السّر في إمكانيّة المقارنة بين فكرتين، يتمثّل في وجود نقطة اشتراك وتناسب في بعض الجوانب، كالمسألة التي تدور حولها الفكرة أو الرّؤية، والأساس الذي تقوم عليه، وما تستتبع من لوازم، واتّجاه الفرضيّة، أو النظريّة، أو الحقل المعرفي، و... الخ.

ولذلك فإنّ التّباين الكبير بين الشّيئين لاينفي إمكانيّة المقارنة بينهما. إنّ مارسيل[1] يختلف بشكل كبير في الرّؤية والأسس والمسائل والنظريّات عن ابن سينا، والتّباين الكبير هذا يؤدّي في حدّ ذاته إلى تحقيق مقاربة أكبر لقضيّة معرفة الله، ويمنح رؤية الباحث عمقًا اكبر، وذلك من خلال طرح أسئله نظير : «لماذا نجد أنّ "مارسيل" لم يواجه المسألة الكذائيّة التي واجهها ابن سينا، وبالعكس ؟

أو لماذا لم يطرح ابن سينا نظريّة المعرفة الشعوريّة ؟

وعلى هذا فإنّ مقياس المقارنة يتبلور من خلال ملاحظة الهدف من البحث المقارن. لوكان الهدف هو الكشف عن المساحات المشتركة، فإنّ مقياس المقارنة سيتمثّل بعدم وجود تباين جذري بين النظريّتين. أمّا لو كان هدف البحث استيعابًا أعمق للمسألة والظّاهرة، فإنّ غياب التّباين الكبير أو عدم وجود شبه شديد لن يكون مقياسًا للقول بعدم إمكانيّة المقارنة، بل يساعد على فهم المسألة.

٤ – عمليّة البحث المقارن :

لابدّ لنا أن ندرك الطريق الذي تقطعه الدّراسة المقارنة. من أيّ نقطة تبدأ وماهي المراحل التي تمرّ من خلالها ؟ ما هي السّبل والمزالق ؟ إنّ البحث

---

[1] – لاهوتي وفيلسوف وجودي في الإلهيّات.

المقارن عمليّة تبدأ من تعريف المسألة وتمرّ عبر أربع مراحل جرى تحديدها في الجدول التّالي :

عمليّة البحث المقارن	
١	**تعريف المسألة**
٢	**تحديد نطاق المقارنة**
٣	**تتبّع الحدّ الأقصى من مستويات الاشتراك والتّباين حتّى الشكليّة منها**
٤	**الانتقال من المستويات الشكليّة إلى الحقيقيّة فيما يتّصل بالاشتراك والتّباين**
٥	**تفسير حالات التّباين والاشتراك**

الجدول رقم ٩ – ١ : عمليّة البحث المقارن

تحدثّنا سابقًا عن أسلوب تعريف المسألة وما يتّصل بتحديد نطاق المقارنة. نتولّى الآن دراسة الأشياء التي نعتزم المقارنة بينها، وحين نقارن بين تصوّرات مفكّرين اثنين أو اتّجاهين، ينبغي أن نستوعب مستويات الاشتراك والاختلاف بين الآراء والأسس واللّوازم والنّطاقات المعرفيّة والامتداد التّاريخي، إضافة إلى الفرضيّة واللّغة والمنهج. وكلّما قمنا بإثراء القائمة التي تحصي جوانب الشّبه والتّباين، تضاعف مستوى النّجاح الذي يحقّقه البحث. كما تتضاعف إمكانيّة ملاحظة جوانب الاشتراك والتّباين، بفضل أدوات نظر تحليل بنية النّص، ومناهج الدّلالة الكميّة، والبحث التّاريخي.

تؤدّي وحدة اللّغة في حالات كثيرة، إلى حصول أخطاء في التّقييم، فالحركة الذاتيّة، والحركة الجوهريّة لا يتمايزان على المستوى اللّغوي واللّفظي، بينما نجد إنّ مصطلح الجوهر عند "سبينوزا" وواجب الوجود عند ابن سينا يتباينان على مستوى المفهوم، لكنّهما أمر واحد إلى حدّ كبير. وفي الوقت ذاته فإنّ مصطلح الجوهر عند كلّ منهما يتباين مع الآخر؛ رغم تشابهما على مستوى اللّفظ والمفهوم.

إنّ الغفلة عن التّغاير بين جوهر النظريّة وشكلها، وعدم الإحاطة بالعناصر الذاتيّة والعرضيّة في الشّيء، هو أمر يتسبّب في تأثير التّباين العرضي على الاشتراك الذّاتي، أو تأثير التّشابه الشّكلي على التّباين الجوهري.

يحاول "جيلسون"[1] في كتابه أن يقوم بمتابعة وحدة التّجربة الفلسفيّة في الغرب، رغم مستويات التّباين الكثيرة بين الفكر الفلسفي في القرون الوسطى، والفلسفة الحديثة. ورغم أنّ سعيه الدّائب لتناول الإلهيّات الفلسفيّة بأسلوب مقارن في كتاب (الله في الفلسفة)، هو جهد يثير الإعجاب، لكنّه يتضمّن العديد من المشاكل المنهجيّة والثّغرات.

والعامل الآخر في التوقّف عند المقارنة الشكليّة، هو تحوّل فرضيّة البحث إلى هاجس عند الباحث، الأمر الذي ينوّه به أتباع الاتّجاه الظّاهراتي بنحو أكبر. إنّ باحثًا يخوض في دراسة مقارنة للأديان، من خلال فرضيّة تقرّر وحدة التّجارب الدينيّة جوهريًا، سيكون أقدر على رؤية مستويات الشّبه والاشتراك، منه على ملاحظة مساحات التّباين، ممّا يحصل دون وعي. فإنّ الميل نحو التّوفيق والتّلفيق وتجاهل حالات التّباين، يعدّ كذلك بمثابة دافع نفسي يؤدّي إلى تأويل التّباين دون مبرّر. إنّ ميل الفارابي إلى القول بوحدة الفكر الفلسفي عند أفلاطون وأرسطو، بمثّل الدّافع الأساسي لتدوينه كتاب "الجمع بين رأيي الحكيمين"، الأمر الذي جعل بحثه المقارن يعاني ثغرات عديدة، في ما يتّصل بالتّأويل، والوثائق.

نؤكّد على أهميّة تحديد نطاق المقارنة على أساس المؤهّلات الشخصيّة وما يتوافر من أدوات البحث. لقد نسب كتاب "أفلوطين" "أثولوجيا" إلى "أرسطو"،

---

[1] - إتيان جيلسون (Étienne Gilson) (١٨٨٤ - ١٩٧٨). فيلسوف ومؤرخ للفلسفة الفرنسيّة، واحدًا من الكتّاب البارزين في المدرسيّة الجديدة ومتخصّص في سانت توماس.

كما تصوّروا إنّ "فرفوريوس الصّوري"[1] من أهالي صور تلميذًا لأرسطو، وهذان النّموذجان من العوامل التي أدّت إلى وجود العديد من المشاكل المنهجيّة في كثير من الأبحاث المقارنة في الفلسفة الإسلاميّة.

٥ – حالات الاشتراك والتّباين الحقيقيّين :

إنّ المرحلة الأهمّ في البحث المقارن، تتمثّل بالانتقال من مساحات الاشتراك والتّباين الشكليّة إلى مستويات الاتّفاق والاختلاف الحقيقيّة، فكيف يمكن تجاوز الشّكل والتوصّل إلى الجوهر الحقيقي ؟

كيف يمكن أن ننتقل إلى ماوراء اللّفظ والجسم، والمستويات العميقة من الأفكار ؟ نتحدّث فيما يلي باختصار عن سبعة أساليب :

٥ – ١. السّؤال الرّئيسي والثّغرات المعرفيّة :

النظريّة حصيلة لجهد متواصل يبذله الباحث بهدف تجاوز ثغرة علميّة. وليس المقصود بتحديد التّساؤل الرّئيسي في النظريّة أن نقوم بتحويلها من بنية خبريّة إلى صيغة استفهام، وعلى سبيل المثال فإنّ السّؤال الرّئيسي في نظريّة

---

[1] – وُلِد في صور سنة ٢٣٣ م. وتتلمّذ فيها، وقد ذهب إلى روما سنة ٢٦٤ والتحق فيها بمدرسة الأفلاطونيّة الحديثة التّابعة لأفلاطون، وبلغ الذّروة في دعوته إلى هذه الفلسفة. وقد ألّف كتابًا عن حياة "فيثاغور"، حاول البرهان فيه على قيامه بمعجزات وعجائب كثيرة، كماأنّه هاجم التّعاليم المسيحيّة في إحدى وعشرين كتابًا، ردّ عليها "متوديوس" رئيس أساقفة صور، وقد أحرقت هذه الكتب علنًا سنة ٤٣٥ بأمر "تيودوسيوس الثّاني"، ولم يصل إلينا منهاسوى بقايا مبعثرة في مؤلّفات كثيرة. والأخلاق التي كان يعلمها ويدعو إليها، نشرها في كتابه De abstinentia، داعيًا فيها إلى الإمتناع عن تتبّع اللّذات وتناول الأطعمة الحيوانيّة، وله بحث في هوميروس في إثنين وثلاثين كتابًا، ولكن أهم ماشهر فرفوريوس وكان له تأثير كبير في تاريخ الفلسفة هو كتاب إيساغوجيا أو المدخل إلى المنطق. ولو لم يجمع فرفوريوس مؤلّفات أفلوطين ويصنّفهاويرتّبها في " تاسوعته Enneads " لظلّ أفلوطين إسمًا مجهولاً.

"طاليس"[1] التي تقرّر إنّ الماء هو مصدر الكون لايتمثّل في عبارة "ما هو مصدر الكون" ؟ ما هو أصله ؟ وذلك لأنّ البحث عن التّساؤل الأساسي يعني محاولة العثور على شيء أدّى إلى ظهور التّساؤل أعلاه (ما هو مصدر الكون) وإجابته.

فإنّ هذه الفكرة كانت متداولة قبل طاليس، فثمّة ملاحم حول الخلق والتّكوين تقول إنّ الكون انبثق من الماء وهي تشكّل نمطًا من الفكر الأسطوري. ورد مثلًا في ملحمة التّكوين البابليّة المعروفة باسم "إنوما إليش"[2] في أيّام الخلق الأولى، لم يكن ثمّة سوى الماء. بل إنّ التّساؤل هذا والاجابة التي قدّمها طاليس حياله، يتّجهان كلاهما نحو خلل يحاول "طاليس" معالجته، وهو خلل لم يكتشفه الفكر الأسطوري.

إنّ الاستفهام حول الأسئلة الأساسيّة، يتيح للباحث تجنّب المقارنات الجزافيّة غير المبرّرة. عند مقارنة القضايا التحليليّة والتركيبيّة، بالحمل الأولى والشّائع، نستفهم أهميّة فائقة؛ ولاسيّما في البحث الدّيني المقارن. نتساءل بشأن المسائل الرئيسيّة في المنظومات اللاهوتيّة في علم الكلام، فهل هي متشابهة متطابقة ؟

---

[1] - "طالس الميلسي"، أحد فلاسفة الإغريق قبل "سقراط" وواحد من حكماء الإغريق السّبعة، يعتبره العديد الفيلسوف الأوّل في الثّقافة اليونانيّة وأبو العلوم. عاش في مدينة ميلتوس في أيونيا، بغرب تركيا. ولد حوالي ٦٤٠ ق.م وكان الدّائر على ألسنة النّاس أنّه من أبوين فينيقيّين، وتلقّى معظم تعليمه في مصر والشّرق الأدنى. وفيه يتمثّل انتقال الثّقافة من الشّرق إلى الغرب.

[2] - "إنوماإليش" (Enumaeelish) أو قصّة الخلق البابليّة. اكتشفها "هنري لايارد" في ١٨٤٩م. في آثار مكتبة آشور بانيبال في نينوى العراق. تتألّف القصّة من ألف سطر تقريبًا على سبعة ألواح فخاريّة باللّغة البابليّة القديمة. تعتبر ملحمة "أنوما إليش" أحد أهمّ المصادر لفهم نظرة البابليين للعالم وتظهر أهميّة "مردوخ" وخلق البشريّة من أجل خدمة الآلهة. لكن هدفها الأصلي ليس دينيًا؛ بل لتمجيد إله بابل الرّئيسي "مردوخ" على غيره من آلهة بلاد الرّافدين. (الذنون، عبد الحكيم، **كلكامش الإنسان والخلود**، صفحه ٩-١٠)

لقد واجه الباحثون في اللّاهوت المسيحي الجديد، ثغرات وإشكاليّات محدّدة، فهل كان علماء الكلام المسلمون يواجهون المشاكل ذاتها ؟!الأمر الذي أدّى بما يعرف اليوم بعلم الكلام الجديد، إلى أن يمثّل في الغالب عمليّة انتقاء عشوائي تلفيقي بين أفكار فلسفة الدّين واللّاهوت المسيحي الجديد.

٥ – ٢. التّاريخ والإطار المعرفي :

عند مقارنة نظريّة التّسامح عند العرفانيين، والتعدديّة في الأفكار الدينيّة الجديدة، تكون ملاحظة الأطر التي تكاملت فيها تلك النظريّات، واحدًا من أساليب المقارنة المتاحة لنا. وفي ضوء ذلك فإنّ المقارنة بين شيئين تتطلّب المقارنة بين تاريخهما والأطر المعرفيّة التي تكوّنت فيها النظريات تلك. إنّ استيعاب تاريخ الأشياء، يمثّل واحدًا من الأساليب التي تتيح لنا تجاوز المقارنة المباشرة والذّهاب إلى ما هو أبعد من ذلك، غير أنّ قصر اهتمامنا على ذلك يؤدّي إلى أخطاء متعدّدة، من قبيل اتّجاه الاختزاليّة، والمغالطة التي تقرّر أنّ هذا ناتج عن ذاك، فهو ليس سوى ذاك.

٥ – ٣. المبادئ :

تتأسّس كلّ قضيّة على عدد من المبادئ والقضايا والمفاهيم الأساسيّة، ويمثّل التدبّر في كلّ من المبادئ التصوريّة والتصديقيّة للنظريّة، أسلوبًا لفهم أعمق لها. نجد مثلًا في علم الكلام المقارن، مسألة التّكليف الإلهي والعلاقة التي تتقوّم بالتّكليف بين الله والانسان؛ لها شبهًا شديدًا يبعث على الحيرة، بين ما طرحه المعتزلة والشّيعة حولها ونظريّة "كيركغارد"، فيما يتّصل بالأفق الوجودي للحياة الأخلاقيّة – الدينيّة.

يتطلّب الموقف المنهجي بحثًا عن مبادئ كلّ من النظريّتين تصوريًا وتصديقيًا، ودراستها بهدف الكشف عن جوانب النظريّات وأبعادها، كي تتّضح مستويات حقيقيّة للاشتراك والتّباين بشكل أكبر. لن يعني الاختلاف في

المبادئ، تباينًا بين النظريّات بالضّرورة، بيد أنّه إطار استيعاب أفضل لمستويات الاشتراك والتّباين بين النظريّات.

٥ – ٤. الأدلّة، الاتّجاهات والمناهج :

يكون دليل المرء معبّرًا عن تصوّره حول المدّعى الذي يتبنّاه. وإنّما تجد من زاوية منطقيّة، إنّه لايسعنا أن نأتي بأيّ دليل كان لندعم به أيّ زعم كان، حيث لابدّ للدّليل أن يتناسب مع الزّعم. وعلى هذا الأساس يمكن في المقارنة بين فكرتين، أن نتحاور مع أولئك الذين قاموا بطرحهما، لنقول لكلّ منهم : اكشف لنا عن دليلك، نحدّد لك ما تعنيه فكرتك.

اعتماد اتّجاه معيّن واختيار منهج خاصّ، هو أمر يجري على أساس تصوّر الباحث للموضوع وأبعاده. فإنّ المقارنة بين المناهج تقدّم لنا إطار فهم أعمق للنظريّات. إنّ واحدًا من الأساليب المؤثّرة في قراءة الأشياء، هو التدبّر في لوازمها وآثارها. فالمقارنة بين آثار الأشياء وخصائصها تمنح البحث المقارن عمقًا أكبر. حين ندرس اللّوازم المنطقيّة والمعرفيّة بين الحركة الذاتيّة عند هيغل، والحركة الجوهريّة لدى صدر المتألّهين يتّضح لنا التّباين الجذري لكلّ منهما.

٥ – ٥. البدائل، النّظائر والنّقائض :

تعرف الأشياء بأضدادها، بل بأغيارها؛ وتعبّر هذه القاعدة عن جانب مهمّ في الدّراسة المقارنة. حين يتعذّر الفهم المباشر لموضوع مّا، يمكن أن تجد سبيلًا آخر للمعرفة من خلال فهم ضدّه أو منافسه وبديله أو مثيله. تتضمّن قاعدة فهم الأشياء بأضدادها ونقائضها، دلالتين :

أولاهما : الحثّ على أنّ الفهم المباشر للشيء حين يتعذّر، فيمكن بنحو عام أن تكون مقارنته بأضداده ومثيلاته ونقائضه، أسلوبًا مؤثّرًا.

ثانيهما : حين القيام بدراسة مقارنة لنظريّتين، حاول أن تتولّى إعداد قائمة لكلّ منهما، تحصي فيها نقائضها ومثيلاتها وبدائلها، ثم تجري المقارنة بين قائمتي الأشياء المماثلة، ودراسة قائمتي البدائل.

يستخدم صدر المتألهين في موضوع وحدة الوجود، تعابير من قبيل رأي جهلة الصوفيّة، وهو في حقيقة الأمر يحاول من خلال ذلك تنبيه القارئ أولًا إلى الفارق بين نظريّة وحدة الوجود، ونظريّة الجهلة من المتصوّفة. كما يحثّه ثانيًا على استيعاب نظريّته في إطار مقارن ببعض النظريّات التي تتعارض مع النظريّة التي طرحها.

٥ – ٦. البارادايم والمنظومة الفكريّة :

ليس الشّيئان اللّذان نتولّى المقارنة بينهما، حالتين منفردتين تنفصلان عن المجموعة. يكتشف البعض الشّجرة من خلال أغصانها وأوراقها، التي تتكوّن منهما الفردانيّة في المنهج. بينما يعمد آخرون إلى تعريف الأغصان والأوراق من خلال الشّجرة، عبر المجموعة الجماعيّة في المنهج.

توظيف الاتّجاهات المؤثّرة في المعرفة، بهدف امتلاك فهم كليّ يتحرّك على مستوى المنظومة العامّة، وهذه قاعدة تعلب دورًا هامًا في الاستيعاب المقارن كذلك. يحصل الخطأ نتيجة لمقارنة الأفكار والأشياء، على نحو فردي منعزل دون ملاحظة المجموعة ذات العلاقة بهما، الأمر الذي يؤدّي إلى الشكليّة.

نريد بالمنظومة الفكريّة النّطاق الذي ينتمي إليه البحث وبالتّالي الرّؤية العامّة التي تهيمن على أفكار المرء. تتكوّن النظريّات في إطار نماذج وأشكال، وتتطوّر لتكتسب معناها في ظلّ شتّى تلك الأطر.

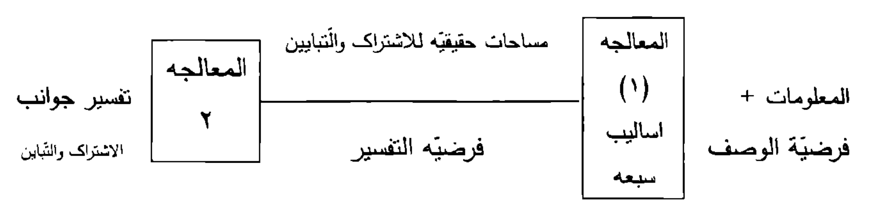
بناء على ما مرّ، يمكن من خلال سبعة أساليب، تتبّع مستويات الشّبه والتّباين الشكليّين، وجوانب الاشتراك والاختلاف الحقيقيّين.

أساليب الانتقال من المستويات الشكليّة للاشتراك والتّباين إلى المساحات الحقيقيّة للخلاف والوفاق	
١	الاسئلة الرئيسيّة والثّغرات المعرفيّة
٢	الامتداد التّاريخي والنّطاق المعرفي
٣	الأسس والمبادىء التصوريّة والتصديقيّة
٤	الادلّة، الاتّجاهات، المناهج
٥	اللّوازم، الآثار، النّتائج
٦	البدائل، النّظائر، الأضداد
٧	النّماذج، المنظومات الفكريّة

الجدول ٩ – ٢: أساليب تحديد المستويات الحقيقية للاشتراك والتباين

تكتمل الدّراسة المقارنة بأن نتوصّل إلى عوامل الاشتراك والتّباين، لامبرّراتهما، من المستوى الشّكلي للوفاق والخلاف، نحو المستوى الحقيقي. هذه المرحلة لابدّ أن نتولّى تفسير تلك المستويات في ظلّ قانون عام. وهي أصعب خطوات البحث المقارن وأكثرها تعقيدًا. يحاول الباحث وفقًا للعلوم التي يتعامل معها، وعبر توظيف القوانين المعرفيّة والتاريخيّة وغيرها، أن يقدّم فرضيّة تفسيريّة والتوصّل إلى إثباتها من خلال خوض الجدل مع التّفسيرات الأخرى.

تتيح لنا التّفسيرات التجريبيّة في هذا الإطار امكانيّة التّقدير والتّنبؤ، وعلى هذا الأساس فإنّ البحث المقارن يتطلّب لونين من معالجة المعلومات وبلورة لفرضيّتين.



الشكل ٩ – ٣ : خطوات الوصف والتّفسير في البحث المقارن

الملخّص :

هنالك اتّجاهان رئيسيان في تحديد ماهيّة البحث المقارن وأهدافه ومناهجه وخطواته، اتّجاه العامّة والاتّجاه العلمي. يمثّل البحث المقارن هدفًا في ضوء اتّجاه العامّة، وهو يقتصر على تحديد مستويات الخلاف تضاف إليها مستويات التّشابه بناءً على رأى آخر، وهذه دراسة تقتصر على الوصف وتنتهي عند استقصاء حالات التّشابه أو الاختلاف.

أمّا في الاتّجاه العلمي فإنّ البحث المقارن يمثّل أداة ومنهجًا يستهدف استيعابًا أعمق للظّاهرة أو النظريّة، وهو يمارس عمليّة التّفسير إضافة إلى سياق الوصف، وتتمثّل الخطوة الأكثر أهميّة في إطاره، بالانتقال من حالات الشّبه والخلاف الشكليّين، نحو مساحات الاشتراك والتّباين الحقيقيّين وتفسير ذلك، وهو ما يتطلّب سبع أدوات رئيسة كحدّ أدنى.

الاتّجاه التّعريف	التّعريف	الهدف	العمليّة	المنهج	النّتيجة
اتّجاه العامّة	تطابق الأفكار المقارنة	اكتشاف التّشابه	الوصف	تتبّع جوانب الاشتراك الشكليّة	تلفيق الأفكار
	قياس الأشياء	تحديد الاختلاف	الوصف	تتبّع جوانب الالتباس الشكليّة	التّمييز الزائف
اتّجاه علمي	فهم الظّواهر أوالأفكار في ظلّ المقارنة	فهم أعمق للظّاهرة أوالفكرة	الوصف والتّفسير	تتبّع المساحات الحقيقيّة للخلاف والوفاق وتفسيرها	التوصّل إلى فهم أعمق

الجدول ٩ – ٤ : اتّجاهان في تحديد طبيعة البحث المقارن

تمرين :

١ – عرّف البحث المقارن، وحدّد نطاقه.

٢ – كيف يمكن تحديد البحث المقارن، وخطواته العمليّة ؟

٣ – ما هي المراحل التي يمرّ بها البحث المقارن؛ ما هي أساليبه ومناهجه ؟

٤ – ما هو المقياس في إمكانيّة المقارنة ؟

٥ – كيف لنا تجاوز الشّبه، أو التّباين الشّكلي والظّواهر، لنتوغّل في الشّبه، أو التّباين الحقيقي ؟ وكيف نتجنّب النّزوع نحو الأشكال والظّواهر ؟

٦ – عرّف عن حالات الاشتراك والتّباين الحقيقيّين مع ذكر الأمثلة لكلّ منها.

الفصل العاشر

ظاهريّات الدّين

تمهيد :

شاعت ظاهريّات[1] الدّين على نطاق واسع في القرون الأخيرة، وقد أكّد علماء كبار على أهميّة اعتماد الاتّجاه الظّاهراتي في البحث الدّيني، ولعبوا دورًا مؤثرًا في تكوين ظاهريّات الدّين. ومنهم ب. د. ساوسه[2] والذي يعدّ مؤسسًا لظاهريّات الدّين؛ ميرشيو إلياده[3]، ومن علماء اللاّهوت أمثال شلاير ماخر[4].

هنالك غموضًا يكتنف مفهوم ظاهريّات الدّين، نظرًا لوجود استخدامات متنوعة. نتساءل :

ما هي الظاهريّات أساسًا ؟

ما هو المعنى الأساسي في كلمة الظاهريّات على حدّ تعبير علماء السّيمانطيقا، وما هو مفهومه الإضافي النّسبى حين يستخدم في الدّراسات الدينيّة فيقال : ظاهريّات الدّين ؟

ومن ثمّ فهل يمكن اعتماد الظاهريّات بمثابة اتّجاه بحثي ؟

---

١ – Phenomenology

٢ – P. D. ASaussaye (١٩٢٠– ١٨٤٨)

٣ – Mircea. Eliade (١٩٠٧–١٩٨٦) كاتب، مؤرّخ أديان، فيلسوف وروائي روماني، شغل كرسي أستاذ تاريخ الأديان في جامعة شيكاغو، وله مؤلفات في تاريخ الأديان وفلسفة الأديان.

٤ – Friedrich Daniel Ernst.Shleiermacker١٨٣٤–١٧٦٨ فريدريش دانيل ارنست اشلايرماخر(١٧٦٨ – ١٨٣٤) فيلسوف ومتألّه بروتستانتي ألماني. يظنّون بأنّه من الأقدمين فى الهرمنيوطيقا الحديثة. يعدّ أبًا للاهوت البروتستانتي الحديث. (جهانبگلو، رامين، **موج چهارم (الموج الرّابع)**، ترجمه؛ منصور گودرزى، نشر ني، الطبعة الرّابعة، ١٣٨٤ش.، ص ٤٩–٥٠.

ما الخطوات والبرنامج البحثي الذي يتقوّم بالظاهريّات في المجال الديني ؟ ما هي طبيعة الدّور الذي تلعبه الظاهريّات في الدّراسات الدينيّة ؟ هل هي اتّجاه أم منهج ؟ هل تمثّل نطاقًا وفرعًا معرفيًا أم مبدأً فلسفيًا نظريًا ؟

هل في وسعنا تدوين ظاهريّات الدّين، كما بادر "ألفريد شوتز"[1] إلى تدوين ظاهريّات العالم الاجتماعي في الدّراسات الدينيّة ؟

يقول شوتز الذي نوّهنا إلى كتابه "ظاهريّات العالم الاجتماعي" : يعدّ المتخصّص في الظاهريّات في بعض الأوساط، قارئًا للفأل أو ميتافيزيقيًا أو أنطولوجيًا بمفهومهما السّيء المنطوي على الإهانة، وبقول عام فإنّهم يتصوّرونه مشاغبًا يرفض ويزدري شتّى الحقائق التجريبيّة والمناهج العلميّة التي تبلورت بهدف رصد وتفسير الحقائق التجريبيّة".[2]

---

[1] - ألفريد شوتز (Alfred Schütz) (١٨٩٩ - ١٩٥٩) درس القانون في جامعة فيينا، ووضع العلوم الاجتماعيّة على أساس الظّواهر. ونشر فلسفة علم الظّواهر في عام ١٩٣٢. وغادر فينا في عام ١٩٣٩ متّجهًا إلى الولايات المتّحدة الأميريكيّة حيث كان أوّل أستاذ محاضر في الدّراسات العليا في كليّة العلوم السياسيّة والاجتماعيّة في المدرسة الجديدة في نيويورك المتخصّصة في علم الاجتماع، وعمله وضع أساسًا لعلم الاجتماع ودراسة النّاس وفهم هيكل التّفاعل الاجتماعي؛ كما قال إنّ العمل الرئيسي للفلسفة هي الظّواهر الاجتماعيّة. من مؤلّفاته : من الظّواهر الاجتماعيّة في العالم؛ على فلسفة الظّواهر والعلاقات الاجتماعيّة.

[2] - لاحظ : شوتز، **چند مفهوم اصلي پديدارشناسى، (بضعة مفاهيم رئيسة في الظاهريّات)**، ترجمة؛ يوسف أباذري، مجلة فرهنگ، ١٣٧١ش.، ص ١١-٣٢.

Schutz.A. **"Some Leading Concepts of Phenomenology"**, Collectwd Papers, I.,P٩٩.

نجد فيما يتّصل بالجهود الغربيّة إنّ "هنري كوربان"[1] حاول أن يقدّم قراءة ظاهراتيّة للتشيّع مستلهمًا أفكار "هوسرل"، وهو يرى أنّ مصطلح كشف المحجوب في التّراث العرفاني ومصطلح التّأويل الوارد في القرآن، يدلّان على الظاهريّات ذاتها.[2] كما مارست "أنّا ماري شميل"، جهودها الاستشراقيّة في الإسلاميّات، معتمدة اتّجاه الظاهريّات كذلك.[3] كما حاول "محمد على أمير معزّى" الأسلوب ذاته في دراسته حول الإماميّة.[4]

---

[1] - هنري كوربن (١٩٠٣ - ١٩٧٨) فيلسوف ومستشرق فرنسي صبّ اهتمامه على دراسة الإسلام الإيراني، وبشكل خاصّ على العرفانيَة الشيعيّة فترجم أهمّ الكتب في هذا المجال من سهروردي إلى صدر الدّين الشّيرازي مرورًا بابن عربي وحقّقها وعلّق عليها. أخذ يهتمّ بعلوم الحكمة والعرفان المنتشرة في إيران. أصبح لكوربن بعد سنوات من البحث والدّراسة في الدّين الإسلامي ميل للإسلام، وبالخصوص الأئمّة الأطهار (عليهم السّلام). فاعتنق الإسلام سنة ١٩٤٥م، وأسّس في فرنسا قسم تاريخ إيران وأُمَمها القديمة. كان يهدف من وراء ذلك نقل التّراث العرفاني الإيراني إلى المهتمّين به في أوروبا والغرب. وكان يقضي معظم أوقاته خلال السّنوات التي قضاها في إيران بمناظرة علماء الشّيعة ومباحثتهم وتبادل وجهات النّظر معهم، مثل العلامّة الطّباطبائي؛ صاحب الميزان في تفسير القرآن، حيث عقدت بينه وبين الطّباطبائي عدّة جلسات، وقد طبعت وقائع هذه الجلسات في كتابين هما "الشّيعة" و"رسالة التشيع". فبعد اعتناقه الإسلام, اختار المذهب الشّيعي الإثني عشري، وكان له إيمان شديد بالإمام المهدي الغائب(عج).(كوربان، هنري، موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بديوي)

[2] - كوربان، هنري، **فلسفه ايراني و فلسفه تطبيقي (الفلسفة الإيرانيّة والفلسفة المقارنة)**، ترجمة؛ جواى طباطبائي، طهران، نشر طوس، ١٣٦٩ش، ص ٢٢ - ٢١.

[3] - ماري شيمل، أنا، **تبيين آيات خداوند: نگاهى پديدارشناسانه به اسلام (تفسير آيات الله : رؤية ظاهراتيّة للإسلام)**، ترجمه؛ عبدالرّحيم گواهى، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ١٣٧٦ش.

[4] - Amir-Moezzi, Mohammad Ali, **The Divine in Early Shi`ism**. Translated by:David Streigt. New York. ١٩٩٤.

ظاهريّات الدّين

أهداف التعلّم :

التعرّف على :

- ظاهريّات الدّين في تعبير السّيمانطيقا.
- على مفهومه الإضافي النّسبي في الدّراسات الدينيّة.
- امكانيّة الإعتماد على الظاهريّات بمثابة اتّجاه بحثي.
- الخطوات والبرنامج البحثي الذي يتقوّم بالظاهريّات في المجال الديني.
- طبيعة الدّور الذي تلعبه الظاهريّات في الدّراسات الدينيّة.

١ - ما هي الظاهريّات ؟

إنّ إستيعاب طبيعة الظاهريّات يتوقّف علي استيعاب دقيق لمفهوم الظّاهرة. كان يقصد الفيلسوف الألماني الذي عاصر "كانط"، "يوهانس هنريس لامبرت"، بالظّاهرة؛ الخصائص المتوهّمة في الإدراك البشري. تقدّم "كانط" خطوة أخرى وأطلق تعبير الظّاهرة على الأشياء كما تبدو أو تظهر لنا، مقابل الشّيء في حدّ ذاته أو النومين[١]؛ الإدراكات البشريّة هي من الظّاهريات.

أنّ "هيغل" دللّ في ظاهريّات الرّوح على الكيفيّة التي تنتقل بها الرّوح في مراحل تطوّرها، من المعرفة الظاهراتيّة بالذّات، إلي المعرفة النومينيّة، أو كما هو الشّيء في حدّ ذاته الظاهريّات بهذا المفهوم، علم يتيح لنا الوعي بالرّوح كما هي في حدّ ذاتها. ثمّ في القرن التّاسع عشر، أصحبت تعني هذا كلّ حقيقة أو كلّ ما يعدّ حقيقة موضوعيّة. قدّم "بيرس" عام ١٩٠٢م. معنى أوسع دائرة للظاهريّات، على نحو يجعلها تشمل البحث في أيّ شيء؛ سواء كان حقيقيًا، أم

---

١ - Noumena الروحانيّات وكلّما تنتمي اليها.

ذهنيًا، أم موهومًا، أم رؤيا ... الخ. ولكن ومنذ أن استخدم "هوسرل"، هذا المصطلح فإنّ الظاهريّات راحت تطلق على أسلوب في التّفلسف يعتمد منهج الظاهريّات.

ينبغي أولًا التّمييز بين الظاهريّات والظاهريّة، أو أصالة الظّاهر والتي تكتسب فيها الأوصاف الحسيّة الظاهريّة طابعًا أصيلًا وتختزل الشّيء في أوصافه المحسوسة الظّاهرة.

إنّ مصطلح الظّاهرة يوهم بأنّ الظاهريّات تعني النّزعة الظاهريّة. ولابدّ من التّمييز ثانيًا بين الظاهريّات النهجيّة والظاهريّات الفلسفيّة؛ فالمفهوم الأوّل عام والآخر خاصّ جديد. فالظاهريّات الفلسفيّة تمثّل فلسفة في حقيقة الأمر، بينما الظاهريّات المنهجيّة اتّجاه عام يمكن استخدامه في الفلسفة وغيرها من قبيل علم النّفس والاجتماع والإلهيّات. فإنّنا نعدّ الظاهريّات في وضعها الأمثل المفيد، مجرّد اتّجاه.

بالظاهريّات بمفهومها المستخدم في الفصل الحالي، تمثّل بحثًا وصفيًا محضًا يتعلّق بموضوع محدّد، يمارس الوصف من خلال إحساس مباشر. ويرى "هنري كوربان" إنّ الظاهريّات هي كشف عن أمر خفيّ غير ظاهر واستخلاصه من أمر ظاهر. ودور الباحث في الظاهريّات تجاوز الظّواهر والتوصّل إلي البواطن.[١]

إنّ التّأويل المتعالي وظاهريّات "هوسرل"، هما نقطة البداية في الخلوات المذكورة. يتطلّب الموقف المعتدل القول بأنّ الظاهريّات اتّجاه وليست علمًا أو منهجًا يتّصل بسياق الوصف، لا التّفسير والتّعليل الجدّي. وهي على غرار

---

[١] – **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة** لقراملكي، ص ٣٣٨؛ نقلاً عن : هنري كوربان، **فلسفه ايراني و فلسفه تطبيقي (الفلسفة الايرانيّة والفلسفة التطبيقيّة)**، ص ٢١.

أسلوب الإشراق في الفلسفة والشّهود والكشف في العرفان، اتّجاه يتعمدّه الباحث لفهم الظّواهر، وهو اتّجاه يمكن القول بأنّه الاكتشاف لا التّقييم والتّبرير.

إنّ سياق التّفسير يستند على سياق الوصف، ولذلك فإنّ أيّ ثغرة في الوصف ستؤدّي إلي إخفاق التّفسير. فالظاهريّات اتجاه وصفي يكون من المفيد توظيفه في نطاقات متعدّدة، ويتمثّل دور الاتّجاه هذا في اكتشاف الجوانب غير المكشوفة في الظّواهر ولا سيّما تلك التي تنطوي على أبعاد متعدّدة.

ينبغي في نقد الظاهريّات ورسم حدود جدواها أن نتساءل : هل نجحت الظاهريّات في وصف الأزمة ؟

هل كانت موفّقة في تقديم آليّات الوقاية والعلاج ؟

هل يوجد اتّجاه بديل لها في هذا الإطار ؟

ففي الإجابة عن هذه الأسئلة نقول : أفرز مذهب "هيوم" في التّجربة، فكرة تقرّر إنّ المعرفة تقوم بالكامل علي ما نستنتجه من التّجربة الحسيّة، وليس هنالك مضمون آخر لها. وهذه الفكرة تؤدّي إلي الشّك وإنكار المعرفة. استخدام "هيوم" في إثباته للرّؤية هذه، استدلالًا مزدوجًا يعرف بالمزدوج الهيومي.[1]

---

[1] - "ديفيد هيوم" (David Hume) (١٧١١ - ١٧٧٦)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصيّة مهمّة في الفلسفة الغربيّة وتاريخ التّنوير الاسكتلندي. كان أوّل فيلسوف في العصر الحديث يطرح فلسفة طبيعيّة شاملة تألّفت جزئيًا من رفض الفكرة السّائدة تاريخيًا بأنّ العقول البشريّة نسخ مصغّرة عن "العقل الإلهي". بدأ تشكيك "هيوم" برفضه هذه "البصيرة المثاليّة" الثّقة المشتقّة منها بأنّ العالم هو كما يمثّله البشر. عارض "كانت" حجج وجود الإله كالحجّة من التّعقيد والحّجة من المحرّك الأوّل، كما رفض الدّيانات والمسيحيّة وكتبها كدليل على وجود خالق. وبدلاً من ذلك رأى أنّ أفضل ما يمكن القيام به تطبيق أقوى المبادئ التجريبيّة والمفسّرة الموجودة من أجل دراسة ظاهرة العقل البشري، فبدأ بمشروع شبه نيوتني "علم الإنسان". قال عنه "كانت"، لقد أيقظني "هيوم" من "السّبات الدوغمائيّ". قامت فلسفة "هيوم" على عدم الثّقة بالتأمّل الفلسفي، ولكنّه آمن أنّ كلّ معرفة جديدة تأتي نتيجة للخبرة، وأنّ كلّ الخبرات لا توجد إلاّ في العقل على شكل وحدات فرديّة من الخبرة، وكان يعتقد أنّ

كلّ ما مَرّ به الفرد مباشرةً من خبرة لم يكن أكثر من محتويات شعوره الخاصّ، أو ما يتضمّنه عقله الخاصّ. كما كان "هيوم" يعتقد بوجود عالم مّا خارج منطقة الشّعور الإنساني.

أطلق "هيوم" على وحدات الخبرة الحيويّة الفعّآلة اسم المدركات الحسّية، أمّا وحدات الخبرة الأقل حيويّة وفعاليّة فقد أطلق عليها اسم المعتقدات أو الأفكار. فالكلمات والمدركات لها معانيها عند الشّخص إذا كانت لها علاقة مباشرة بوحدات الخبرة هذه. وكانت كلّ وحدة من الخبرة منفصلة متميّزة عن بقيّة الوحدات الأخرى جميعها، على الرّغم من أنّ الوحدات عادة مّا تُمارس وتُجرّب على أنّها مرتبطة بعضها ببعض. وطبقًا لما يراه هيوم، فقد ربطت ثلاثة مبادئ الأفكار المتحدّة بعضها ببعض : ١- التّشابه ٢- التّماس أو التّجاور ٣- السّبب والنّتيجة (الأثر). ففي التّشابه؛ إذا ما تشابهت وحدتان من الخبرة، فإنّ التّفكير في واحدة قد يؤدّي إلى التّفكير في الأخرى. أمّا في حالة إذا ما تلازمت وتجاورت وحدتان الواحدة مع الأخرى، فإنّ التّفكير في واحدة قد يثير التّفكير عن الأخرى. وفي حالة السّبب والنّتيجة، فإذا ما سبقت وحدة واحدة باستمرار وحدة أخرى، فإنّ فكرة الوحدة الأولى ستظهر في فكرة الوحدة الثّانية. وقد اشتهر هيوم بهجومه على مبدأ السببيّة. ويقرّر هذا المبدأ أنّه لا يمكن أن يحدث أو يظهر إلى عالم الوجود شيء من غير سبب. وكان "هيوم" يعتقد أنّه بالرّغم من أنّ حدثًا واحدًا (مجموعة من الانطباعات) يسبق دائمًا حدثًا آخر، إلاّ أنّ هذا لا يثبت أنّ الحدث الأوّل سبّب الحدث الثّاني. وقال "هيوم" : إنّ التّزامن المتواصل بين حدثين، ينشئ توقعًا بأنّ الحدث الثّاني سوف يتمّ حدوثه بعد الأوّل. ولكن لم يكن هذا شيء أكثر من اعتقاد راسخ، أو عادة عقليّة علّمتنا إيّاها الخبرة، ولم يستطع أحد أن يبرهن أنّ هناك ارتباطات سببيّة بين الانطباعات، وقد بنى "هيوم" نظريّته عن الأخلاقيّات على الخبرة، رافضًا الرأي القائل بأنّ العقل في استطاعته التّمييز بين الفضيلة والرّذيلة. وقد فحص الظّروف التي كان فيها النّاس يتحدّثون عن الأخلاقيّات. وختم أقواله بأنّ الميزات الفاضلة عند النّاس هي تلك التي كانت سائغة أو نافعة لهم. وكان هيوم يزعم أنّ النّاس جميعًا يملكون عاطفة الخيريّة؛ ومعناها الرّغبة الطيّبة، وأنّ هذه العاطفة كانت أساس الأحكام الأخلاقيّة. من مؤلفاته : رسالة في الطّبيعة البشريّة، مباحث أخلاقيّة وسياسيّة، محاولات فلسفيّة في الفاهمة البشريّة، أو مبحث في الفاهمة البشريّة، مبحث في الأخلاق، محاورات في الدّين الطّبيعي، (من مقدّمة كتاب : **مبحث في الفاهمة البشريّة**، ترجمة؛ د. موسى وهبة، منشورات دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨).

استخدم "كانط" في هذا السّياق أدوات تمثّلت بالقضايا التركيبيّة القبليّة، وعدّت الميتافيزيقا لونًا من الحال لعدم تضمنّها قضايا كهذه. أدّت في هذا الحقل رفض الإلهيّات والمتيافيزيقا من جهة، وتحويل الرياضيّات والمنطق وحتّى الأخلاق، إلى علوم تجريبيّة من جهة أخرى.

يمكن أن نسمّي فكرًا حصريًا كهذا؛ عل حدّ تعبير "أدولف رايناخ"،[1] بفلسفة، أنّ لا وجود لشيء سوى ... والتي أسماها أتباع الظاهريّات باتّجاه الرّد والاختزاليّة من حيث نتيجتها، ونسمّيها نحن بالحصريّة المنهجيّة.

شاعت الاختزاليّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين وألقت بظلالها المؤثّرة علي تصوّر الإنسان لذاته وللطّبيعة والمجتمع والدّين والوجود. يمكن توضيح مفهوم الاختزاليّة عبر التدبّر في بعض نماذجه كما يلي :

- ليست قوانين المنطق سوى قوانين نفسيّة.
- ليست قوانين الأخلاق سوى تجليّات لأخلاق مجتمع معيّن.
- ليست أحكام الجمال سوى تجليّات للذّوق الشخصي.
- ليس الدّين سوى الأخلاق.
- ليس الإنسان إلاّ آلية بالغة التّعقيد.
- ليست التّجربة الدّينيّة سوى تغييرات عصبيّة تحصل داخل الدّماغ.
- ليست الأشياء سوى أوصافها الحسيّة.
- ليس الدّين سوى آيديولوجيا.
- ليس الإنسان سوى لا وعي فردي.

إنّ الاختزاليّة نتجت عن أنّ الباحث لا يحاول فهم ماهيّة الموضوع واستيعاب حقيقته، بل يستلهم قبليّات. وفروضًا مسبقة تمنعه من رؤية حقيقيّة للموضوع.

---

[1] – أدولف رايناخ فيلسوف ألماني ظاهراتي، تناول اوّل درس منظّم لافعال الكلام، مثل الوعد والطلب والامر ... الخ، تحت مسمّى "الافعال الاجتماعيّة".

ويظن أنّ الظّاهرة المبحوثة لابدّ أن تكون كما يتصوّر هو وفق قواعده المسبقة، فلا يعود يرى ما هو كائن؛ بل لا يبصر الشّيء إلاّ على الشّكل الذي يريده هو. ويدفع الباحث في سياق الوصف إلي رؤية الشّيء بنحو أدنى من حالته الطبيعيّة، ولذلك يحصل الاختلاف في وصف أمر واحد.

فاختزال المنطق وتحويله إلي سيكولوجيا، لايمثّل نتيجة لدراسة طبيعة القوانين المنطقيّة على نحو عام، بل ذلك ما ينشأ عن فروض مسبقة أكثر عمومًا، لم تخضع هي إلى الدّرس والمعالجة وعدّت بديهيّة محضة؛ وكما أنّ تحويل الشّعور إلي مجموعة عناصر من الحسيّات والعواطف والانفعالات، لا يمثّل نتيجة للتدبّر الدّقيق في مجموعة الظّواهر التي نسمّيها بالشّعور، أكثر عمومًا حول الكون، وهكذا فيما يتّصل بالعلمويّة أو الغلو العلمي.

أدرك أنّ اتّجاه الظاهريّات الاختزاليّة تحوّلت إلي مركبة عمياء؛ لو لم تجر معالجتها؛ فإنّ حالتها ستتفاقم وتلقي بتبعاتها على كلّ المجالات الفكريّة.

تنشأ الاختزاليّة نتيجة نيل الباحث في ظلّ دوافع مختلفة، إلى فرضيّة عامّة "ماكروثيوري" غير خاضعة للتّجربة؛ فإنّه ينظر إلى الأشياء في شكلها الذي تكتسبه داخل ذلك القالب ويأخذ تمنّي ما ينبغي أن يكون عليه الشّيء؛ فقوانين المنطق على سبيل المثال؛ لن تتحوّل في ضوء التصوّر الهيومي المزدوج، الي قوانين تجريبيّة من نمط القوانين السيكولوجيّة.

النّقطة الخطأ في هذا الإطار هي أنّ الفرضيّات العامّة تؤدّي إلى تقديم وصف غير موضوعي للظّاهرة، فيعثر الباحث على مؤيّد يدعم فرضيّته ويمنحه وثوقًا أشدّ بها. قدّم الظاهراتيّون توصيات وقائيّة وعلاجيّة لذلك وحصيلة توصياتهم هي الدّعوة إلى تجنّب التّنظير والتجرّد عن الميل نحو النظريّات، واعتماد التّشكيك الفلسفي ووضع شتّى التصوّرات والفرضيّات، بين قوسين، إلى جانب الاهتمام بالمضمون الدّاخلي والحذر من الارتهان بالشّكل، وتغيير الرّؤية ... الخ.

٢ - مناهج الظاهريّات في البحث الدّيني

حاول العديد من الباحثين في الحقل الدّيني، أن يستعينوا بأساليب الظاهريّات إدراكهم لأخطار الاختزاليّة في البحث الدّيني. وفي نطاق كهذا تقدّم الظاهريّات شعارات جذّابة في سياق البحث عن باطن الأديان وكنهها. إنّ امتلاك مستوى باطني يمثّل واحدًا من مقوّمات الأديان والظّواهر الدّينيّة.

حاول "أتو" من خلال التّركيز على الأمر المقدّس، أن يدوّن بنية لظاهريّات التّجريبة الدّينيّة العامّة. وكان "ليو" يحاول تأسيس منهج تجريبي للتوصّل إلي الكشف والشّهود والمعرفة المباشرة، ولذلك فقد زاوج بين الظاهريّات والبحث التّاريخي للدّيانات.[١]

وفي هذا الإطار قام "جوكو بليكر"[٢] بإدخال تطوير كبير علي ظاهريّات الدّين، حيث طرح ثلاثة أنماط منها. فثمّة ظاهريّات الدّين الوصفيّة، وظاهريّات الدّين فيما يتّصل بتحديد الأنواع، وظاهريّات الدّين بالمعنى الأخصّ أو الباحثة عن المستوى الذّاتي.

وبكلمة أخرى فإنّ الباحث في الظاهريّات يتولّى تنظيم الأشياء التّاريخيّة، كي يتوصّل إلي دلالاتها الدّينيّة. وفي ضوء ذلك فإنّه يتحرّك في ثلاثة أبعاد للظّاهرة الدّينيّة هي، البعد النّظري، واللّوغوس،[٣] والانتلخيا.[٤]

---

[١] - قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدّينيّة**، ص ٣٤٦.

[٢] - م. ن.

[٣] - Logos، الكلمة أو القانون الكلّي وعند أفلاطون بمعنى مستودع الصّور العليا. ولكن في النّص الدّيني المسيحي يدلّ على الكلمة الإلهيّة أو الكون. (قراملكي، م. ن. ص ٣٤٦ هامش للمترجم).

[٤] - entelechy، من مصطلحات أرسطو وتعني بالكمال، و أحيانًا استخدمها أرسطو بمعنى الصّورة مقابل المادّة. وفي العصر الحديث استخدمت بمعنى الجواهر البسيطة أو الموندادات المخلوقة. ولكن استخدمت في القرن الثّامن عشر عند علماء الأحياء للدّلالة على

على أساس تجريبي، كما أنّه يؤدّي إلى استيعاب مضمون الظّاهرة الدّينيّة ويتوغّل لوغوس الظّواهر في بنية الأشكال المختلفة للحياة الدّينيّة، بينما تتموضع انتلخيا الظّواهر وتتجلّى في المسار التطوّري التّكاملي الملاحظ للجانب الدّيني من حياة الإنسان.

واجهت ظاهريّات الدّين اعتراضات كثيرة؛ من أهمّها عدم جدواها كمنطق لقراءة الدّين ودراسته، ولا سيّما في سياقات التّبرير والتّفسير، وتركيزها علي اتّجاه الاختزاليّة.

الصّورة الباطنة والقوّة الجوهريّة، واستخدمها "فلهم فونت" في القرن التّاسع عشر بمعنى النّفس. (قراملكي، م. ن. ص ٣٤٧ هامش للمترجم).

الملخّص :

	تعريف الظّاهر	تعريف الظاهريّات	الفيلسوف
١	خصائص موهومة في الإدراك البشري	نظريّة التوهَم	لامبرت
٢	الأشياء كما تظهر لنا مقابل الأشياء في حدّ ذاتها	شتّى الوان المعرفة	كانظ
٣	الشّئ كما يبدو لنا والشّئ في حدّ ذاته	ادراك الرّوح تلقائيًا كما هي عليه	هيغل
٤	الحقيقة	بحث وصفي محض يتّصل بموضوع محدّد	الفلسفة المعاصرة
٥	حقيقة الأشياء التي تكون موضوعًا للإدراك المباشر	الفكر الفلسفي من خلال الحسّ المباشر	هوسرل

الجدول ١٠ – ١ : التطوّر التّاريخ المتوازي للظّاهرة والظاهريّات

تمرين :

١ – ما هي طبيعة الدّور الذي تلعبه الظاهريّات في الدّراسات الدينيّة ؟ هل هي اتّجاه أم منهج، وهل تمثّل نطاقًا معرفيًا أم مبدأً فلسفيًا نظريًا ؟

٢ – ما هي الخطوات البحثيّة التي تتقوّم بالظاهريّات في المجال الديني ؟

٣ – حللّ قراءة هنري كوربان لظّاهراتيّة التشيّع الذي استلهمه من أفكار هوسرل.

الفصل الحادي عشر

البحث الدّيني التّجريبي

تمهيد

يتجلّى الدّين دائمًا على شكل حالة ايمانيّة وسلوك فردي، بوصفه حقيقة هامّة تاريخيًا وثقافيًا ونفسيًا، كما أنّ السّلوك ذاته خضع لدراسة وظفت المناهج العلميّة الحديثة. وهكذا فإنّ الدّراسة التجريبيّة للدّين تمثّل جانبًا لصيقًا بالبحث الدّيني على نحو يؤدّي تجاهله إلى استيعاب ناقص أحاديّ للموضوع الدّيني. إنّ للدّين دورًا رئيسيًا في تنظيم الجانب النّفسي في دائرة الأفراد والثّقافات ضمن مختلف النّطاقات الحضاريّة؛ من قبيل علم نفس الدّين وعلم اجتماع الدّين.

فما هو البحث الدّيني التّجريبي، وما هي سمات عمليّات الوصف والتّفسير التجريبيّن للدّين بطبيعتها ؟

ما هي المواصفات والخصائص المعرفيّة لهذا النّمط من الابحاث ؟

ما هي مراحل البحث في الدّراسات التجريبيّة الدينيّة ؟

سندرس في هذا الفصل البحث التّجريبي ومواصفاته ومراحله والخصائص المعرفيّة له.

البحث الدّيني التّجريبي

أهداف التعلّم :

– إنّ الدّراسات التجريبيّة للدّين تمثّل جانبًا لصيقًا بالبحث الدّيني، من قبيل علم نفس الدّين وعلم اجتماع الدّين.

– التعرّف على البحث الدّيني التّجريبي، وسمات عمليّات الوصف والتّفسير التجريبيّن للدّين.

– التعرّف على المواصفات والخصائص المعرفيّة للبحث الدّيني التّجريبي.

– التعرّف على مراحل البحث في الدّراسات التجريبيّة الدينيّة.

١ – الاتّجاه التّجريبي في الأبحاث الدّينيّة :

يتناول البحث الدّيني التّجريبي في معالجاته، السّلوك الدّيني دون الدّين.[١] فإنّ الاتّجاه هذا لا يدافع عن الدّين كما لا يشكّل تحدّيًا له في حدّ ذاته. إنّ الدّراسة الدّينيّة التجريبيّة لا تنتهي إلى إثبات وجود الله أو رفضه، غير أنّ دراسة الدّين عمليًا يمكن أن تتناول عوامل الفهم الشّخصي المنهجي للدّين وخطواته وتبعاته، وتدعم الشّعور والسّلوك الدّينيّين، أو تجعل منهما عرضة للنّقاش.

لقد تكوّن البحث الدّيني التّجريبي وتطوّر بشكل رئيسي في نطاق علم النّفس والاجتماع؛ إلاّ أنّ المنهج والموضوعات المبحوثة في علم نفس الدّين، تتمتّع بطابع فردي وتجريبي أشدّ، بينما تظلّ أكثر عموميّة في علم اجتماع الدّين، وأقلّ قربًا بالطّبع من الموضوعيّة والمناهج العلميّة.

---

[١] – قرباني، نيما، "**روانشناسي دين؛ يك رويآورد علمى چند تبارى**"، (**علم نفس الدّين؛ اتّجاه علمي متعدّد الأصول**)، **قبسات**، عدد ٢ و ٣.

٢ - اللخصائص المعرفيّة :

لا يزال المنهج العلمي قائمًا على التّجربة الحسيّة حتى الآن ويتّسم الفهم العلمي للظّواهر بوصفه حصيلة للمنهج العلمي، بالخصائص التّالية التّي تميّز العلم عن المنظومات المعرفيّة الأخرى :

١ - يقوم المنهج العلمي على أساس التّتبع والملاحظة والتّجريبيّة الموضوعيّة : والمراد بالموضوعيّة هنا الملاحظة والتّجربة التّي تتّسم بكونها عامّة ويمكن تكرارها للجميع. ويخرج عن نطاق العلم ذلك النّوع من التّجارب الشخصيّة والذاتيّة التّي لا تكون عامّة قابلة للتكّرار نسبيًا. عادة مّا تطرح التّجربة العرفانيّة بوصفها نموذجًا للتّجارب غير العالمة والتّي لا تتقبّل التكّرار، ولكن في الحقيقة إنّ الدّراسات العلميّة دللّت فيما يتّصل بالتّجريبة العرفانيّة على ما يلي :

أولًا : إنّ للتّجربة العرفانيّة أبعادًا متماثلة في نطاق الثّقافات المتنوّعة.

ثانيًا : إنّ هذه التّجارب ستكون عامّة وقابلة للتكّرار نسبيًا من خلال القيام بعدد من التّمارين واتّباع محدّدات خاصّة.[1]

٢ - يقوم البحث العلمي دومًا على أساس فرضيّة : وهذا ممّا صرّح به "بوبر" في فلسفة العلم،[2] وقد قدّمت تفسيرات كهذه للنّطاقات الأساسيّة التّي ظهرت فيها البناءات المفاهيميّة لما بعد الحداثة والتعدديّة. يصحّح القول في العلم هذا النّمط من التّفسير بعدم إمكانيّة الفصل بين الذاتيّة والموضوعيّة وعدم وجود موضوعيّة محضة.

٣ - يعتمد العلم منهجًا انتقائيًا : لايمكن الكشف من خلال المنهج العلمي عن رؤية منهجيّة وافتقاد دراسة للتّركيب في ظلّ المنظومة التّي ينتمي لها. فإنّنا نعني هنا بأنّ طبيعة البحث العلمي الانتقائيّة، يمكنها أن تستوعب العناصر

---

[1] - قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ٣٥٥.

[2] - م. ن.

الأوسع والأقلّ، فالفرد في حدّ ذاته مثلًا، هو منظومة وهو عنصر أيضًا ينتمي إلى نظام الأسرة أو المجتمع. يجري في العلم اختيار الفرد أو الأسرة أو المجتمع، ليكون عنصرًا يدور حوله البحث.

٤ – تفسير المعطيات في ظلّ القوانين العلميّة : إنّ النظريّات أسلوب لتنظيم أفكارنا وتصوّراتنا، وتكتسب المعطيات المتبلورة مضمونها في إطار ذلك. يؤدّي تفسير المعطيات في ظلّ القوانين العلميّة إلى اعتبار الوصف والتّفسير في ذلك الاتّجاه، سياقًا تجريبيًا، ولكن ما هي النظريّات والقوانين العلميّة ؟ وكيف تتميّز عن النظريّات غير التجريبيّة ؟

ثمّة ثلاثة مواصفات للنظريّات العلميّة :

أ : إنّها تتولّى تبيين نظام دائم مستقرّ، وهذا ما يشمل كلًا من التّفسيرات القياسيّة والاحتماليّة.[١] إنّ التّفسيرات تعميمات عامّة كونيّة، بينما تقوم التّفسيرات الاحتماليّة التّي تمثّل أساسًا لمبادئ العلوم السلوكيّة والاجتماعيّة على احتمالات؛ وهي حصيلة للاستقراء، وبكلمة أدّق فهي نتيجة لدراسة النّماذج تتملّك مفعولًا جيّدًا في ٧٥ بالمائة من الحالات.

ب : تمتلك النظريّة العلميّة قدرة مشروطة على التنبؤ، أي في وسعها أن تخمن أحداثًا مستقبليّة في ضوء وجود مقدّمات.

ج : إنّ القوانين والفرضيّات العلميّة ترى أنّ من المستحيل حصول بعض الظّواهر في الكون. وبعبارة أخرى فإنّ حصول أحداث معيّنة لابدّ أن يؤدّي إلي إبطال فرضيّة مّا؛ وإنّما قد يتاح نقد الفرضيّات تجريبيًا، على أساس مفهوم إمكانيّة الدّحض هذا. رغم أنّه يمكن بناء فرضيّات لا يمكن دحضها، مثلما

---

[١] – قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ٣٥٧، راجع للمزيد : حيدر علي، هومن، **روش علمى در علوم رفتارى (التعرّف على المنهج العلمي في العلوم السلوكيّة)**، طهران، نشر پارسا.

تتحدّث عن ظاهرة دون تحديد الزّمان والمكان، والحديث عن مستقبل غير محدّد.

٣ – ماهيّة البحث الدّيني التّجريبيي :

يمثّل البحث العلمي جهدًا يتولّى تحديد الظّروف التّي تفرز ظاهرة محدّدة، والظّروف التّي لا تتكّون الظّاهرة في إطارها. إنّ هدف هذا البحث في حقيقة الأمر، التّمييز بين الظّروف الاستثنائيّة والحالات العامّة الخاضعة للقواعد، وفي الوقت نفسه، اكتشاف القاعدة والقانون في إطار العلوم الطبيعيّة، مقارنة بالعلميّة ذاتها في العلوم الإنسانيّة.

ما ينبغي ملاحظته فيما يتّصل بالعلم، هو أن لا ننسى المكاسب الضمنيّة التّي يحققّها العلم في معالجته لشتّى الظّواهر. وفي المقابل فلا ينبغي أن نتجاهل القيود التّي تحدّد حركة هذا المنهج.

فبناءً على ما قلنا، تعريف البحث الدّيني التّجريبي هو :

دراسة السّلوك الدّيني في ضوء مناهج العلوم التّجريبيّة، أي دراسته بين المتغيّرات وتفسير مستويات العلاقة في السّلوك الدّيني، حسب المتغيّرات المهمّة.

٤ – خطوات البحث الدّيني التّجريبي :

يتكوّن البحث العلمي من خلال البحوث الدّيني التّجريبي، ويدلّل الباحث على عدم بطلان فرضيّته. يحاول الباحث أن يتفادى تأثير ميوله الشخصيّة على عمليّة البحث، وهو يأخذ في التّشكيك بصواب الخطوات يتابعها في عمله على نحو منظم. ونستعرض فيما يلي خطوات البحث العلمي ومراحله :

٤ – ١. تنظيم مسألة البحث :

يبدأ البحث العلمي دائمًا بسؤال أو مسألة، وتتمثّل الخطوة الأكثر تعقيدًا في البحث، بتحديد المسألة. فيستعرض الباحث تاريخ المسألة التّي يتناولها على

نحو نقدي، بهدف تحديد ما إذا كانت المسألة المبحوثة قد خضعت للمعالجة والدّرس سابقًا، أو حظيت بإجابة مناسبة.

عدم توفّر معالجات للمسألة المبحوثة في الأعمال البحثيّة، أو فقدان الإجابات التّي قدّمت حتّى الآن حيالها، يؤكّد ضرورة البحث الرّاهن وأهميّة نقده.

٤ – ٢. صياغة الفرضيّة :

بعد التدبّر في المسألة وملاحظة المعالجات حيالها إلى جانب التّجارب أو الملاحظات الشخصيّة؛ ينتقل الباحث إلى صياغة إجابة مؤقّتة للمسألة المبوحثة، وهو ما يعرف بالفرضيّة.

إنّ الوسط العلمي عادة يبدي تمنّعًا حيال الفرضيّات أو الأبحاث التّي لا تتمتّع بآصرة منطقيّة مع بنية البحث المسبقة. يشير "ماك كيغان"[1] إلى أنّه من الممكن معالجة الفرضيّة وأن تتمتّع ببساطة منطقيّة وتتّجه نحو معالجة مسألة خاصّة، ويمكن إدراكها بسهولة وأن تكون لها معطيات في نطاق واسع. فإنّ البحث الذي يجري توجيهه بواسطة الفرضيّات، سيتمتّع برصانة نظريّة أكبر.

٤ – ٣ . اختبار الفرضيّة :

يحدّد الباحث في هذه المرحلة منهجه في الدّراسة وتصميمة لشكل البحث، في ضوء طبيعة الفرضيّة ونمط السّؤال المبحوث. يتمّ جمع المعطيات في إطار منهجي من الملاحظة والاختبار، وتعني الملاحظة تسجيل حدث مّا على نحو موضوعي دقيق، كما يعني الاختبار تلك الملاحظة التّي تتكّون لدى الباحث أو يتدخّل الباحث في تغييرها. يستنتج الباحث غير معالجته الاختباريّة، حكمًا ويمارس اكتشاف سبب المتغيّرات.

---

[1] – قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ٣٦٢ نقلاً عن :

Mc. Guigan,F.J. **Experimental Psychology**, USA,printice – hall.

وحيث إنّنا نتناول السّلوك الدّيني في البحث الدّيني التّجريبي، فإنّ هذا اللّون من الأبحاث بحاجة إلي أشخاص بمثابة عيّنات اختبار، أو متطوّعين في البحث، ومن الطّبيعي أنّ نمط عيّنات الاختبار يتحدّد في ضوء لون الفرضيّة أو الدّراسة؛ والاستقراء هو أساس هذه الممارسة، أي أنّه يجري اختيار مجموعة من الأشخاص على أساس لون البحث وفرضيّته وفق أسلوب خاصّ. وفي الظّروف المثاليّة، فمن الأفضل أن يجري اختيار العيّنات الاختباريّة عشوائيًا من وسط معيّن، لكي تكون النّتائج قابلة للتّعميم.

ثمّة زاوية أخرى، وهي تعريف الجانب العملي في المتغيّرات أو الظّواهر المبحوثة. وفي هذه العمليّة تخرج المتغيّرات المبحوثة عن شكلها النّظري أو المفهومي، ويجري تعريفها على نحو عملي، فتنتقل من مستوى النظريّة – الفرضيّة، الي مستوى عمليّات الملاحظة والاختبار. ففي دراسة أشكال الإيمان والالتزام الدّيني، يمكن أن يعرّف الباحث أشكال الإيمان ويحدّدها على أساس تقييم الدّوافع الداخليّة والخارجيّة عمليًا.

٤ – ٤. التّحليل الإحصائي :

إنّ توظيف علم الإحصاء هو واحد من الأدوات الضروريّة للباحث في تحليله للمعطيات. فبعد جمع المعطيات يستعين الباحث بالنّماذج والمناهج الإحصائيّة ليعيد ترتيب معطياته وتلخيصها. ومن المهمّ هنا تحويل الفرضيّة إلي صياغة كميّة على شكل أعداد وأرقام، حيث يستخدم على الاحصاء في وصف المعطيات وتحليلها وتفسيرها.

ينبغي توظيف اختبارات الإحصاء الاستنتاجي، كي نحدّد ما إذا كان الفارق الملاحظ في البحث الواحد، حقيقيًا، أم إنّه نتيجة للصّدفة وحسب. يجري تحديد الاختبار المناسب لمختلف الحالات البحثيّة، في ضوء نمط المعطيات والشّكل العام للاختبار؛ وعلى أساس هذا يمكن أن نحدّد ما إذا كان الفارق الملاحظ في البحث حقيقيًا، أم إنّه نتيجة لمجرّد الصّدفة.

٥ – تعميم النّتائج وعمليّة التنييم :

حتّى يكون الفارق الملاحظ في البحث، حقيقيًا علي أساس التّحليل الاحصائي، يمكن تعميم النّتيجة المستخلصة على باقي أفراد الجماعة التّي تنتمي إليها عيّنات الاختبار. وفي هذه الحالة فإنّ الفرضيّة المبحوثة تحظى بدعم الاختبار دون أن يؤدّي ذلك إلي إثباتها. ولكن في الوقت نفسه، فإنّ كلّ بحث يقوم بتعميم نتائجه بنحو أو بآخر، وستنتج قواعد عامّة من المعطيات البحثيّة.

إضافة إلى التّعميم المذكور، فإنّ الفرضيّة التّي يجري دعمها وفقًا لنتائج الاختبار، يكمن أن توظّف في التّنبؤ بأحداث معيّنة والخروج بتقديرات فيما يتّصل بنجاح أعمال معيّنة.

٦ – بلورة النظريّة :

تجري بلورة النظريّة في نهاية المطاف؛ وحيث تكتسب معطيات الأبحاث شلكها المنظّم ومضمونها المبلور. والشّيء الوحيد الذي يمكن استنتاجه من البحث، هو ما إذا كانت النظريّة أو الفرضيّة الخاصّة؛ بوصفها وعاءً وبنية؛ تتلاءم مع النّتائج الملاحظة؛ بوصفها مضمونًا للبنية؛ أم لا. لأنّ من المكن أن لا تنسجم النّتائج الملاحظة في بحث آخر مع النظريّة المذكورة؛[١] وإنّما يطرأ التحوّل علي العلم في ظلّ عمليّة كهذه.

يمكن القول في ضوء الخصائص المذكورة بأنّ البحث الدّيني التّجريبي جهد يقوم علي مناهج العلوم التجريبيّة ويتولّى الكشف عن متغيّرات مهمّة وفهم العلاقات القائمة بينها، بغية تفسير الأواصر القائمة بين مستويات السّلوك الدّيني.

---

[١] – قراملكي، **مناهج البحث في الدّراسات الدينيّة**، ص ٣٦٨. لاحظ للمزيد : سرمد، زهره، وآخرون، الهه، روشهای **تحقيق در علوم رفتارى (مناهج البحث في العلوم السلوكيّة)**، طهران، نشر آگه.

الملخّص :

تعريف البحث الدّيني التّجريبي: دراسة السّلوك الدّيني في ضوء مناهج العلوم التّجريبيّة، أي دراستها بين المتغيّرات وتفسير مستويات العلاقة في السّلوك الدّيني، حسب المتغيّرات المهمّة.

الخصوصيّات المعرفيّة للبحث التّجريبي :

١ – الإستناد إلى الملاحظة، التّجربة الموضوعيّة، الطّابع العام والقابليّة على المعالجة.

٢ – الاستناد إلى الفرضيّة.

٣ – الانتقائيّة.

٤ – تفسير المعطيات في ظلّ النظريّات والقوانين العلميّة.

خصائص النظريّات والقوانين التجريبيّة :

١ – التّعبير عن نظام دائم مستقرّ.

٢ – القدرة على التنبّؤ المشروط.

٣ – تحديد استحالة وقوع بعض الظّواهر.

مراحل البحث التّجريبي :

١ – بلورة مسألة البحث.

٢ – صياغة الفرضيّة.

٣ – اختبار الفرضيّة.

٤ – التّحليل الإحصائي.

٥ – تعميم النّتائج وعمليّة التنبّؤ.

٦ – بناء النظريّة.

تمرين :

١ – اشرح الخصوصيّات المعرفيّة للبحث التّجريبي بذكرها في مثال.

٢ – اشرح خصائص النظريّات والقوانين التجريبيّة.

٣ – قدّم مشروعًا بحثيًا دينيًا حسب مراحل البحث التّجريبي.

الفصل الثّاني عشر

الدّراسات البينيّة للمواضيع

تمهيد

تتّسم الأبحاث الدينيّة بتنوّع اتّجاهاتها وتعدّد مناهجها. فإنّ كلّ علم يتعدّد في أنماط مسائله، فإنّ مناهجه تتعدّد طبقًا لتلك الأنماط. فنلاحظ مثلًا إنّ مسألة الوحي والنبّوة قد بحثت من خلال اتّجاهات متعدّدة، كلاميّة وفلسفيّة وعرفانيّة، وفي اتّجاهات علم التّفسير وعلم الحديث. كما تجترح لها مفاهيم وتصوّرات متعدّدة بتعدّد هذه الاتّجاهات. هل يمكن أن نلجأ في كلّ حالات التّقاطع والخلاف إلى قاعدة تقرّر إذا تعارضا تساقطا ؟

ما هو المنهج الذي ينبغي اعتماده حين تتقاطع الاتّجاهات ؟

يكمن أن نحللّ تساؤلنا حول آليّة التّعامل مع المناهج المتعدّدة في الأبحاث الدينيّة، إلي مسألتّين؛ هما : المسألة المنطقيّة، والسّؤال التّاريخي. يتصل السّؤال التّاريخي بآليّة تعامل الباحثين والمشتغلين في حقل الأبحاث الدينيّة، مع تاريخ الفكر الدّيني. كيف تعامل الباحثون في هذا الحقل مع تعدّد المناهج ؟ وهذا ما يمثّل مسألة وصفيّة.

أمّا المسألة المنطقيّة فهي على عكس ذلك معياريّة؛ وهي تتساءل حول الأسلوب المناسب في التّعامل مع تنوّع المناهج.

ما هي السّبل والمعوّقات في هذا الإطار ؟ الحصرية أم لا ؟

ندرس في هذا الفصل تعدّد المناهج في الأبحاث الدينيّة، إلي جانب تبعات ذلك ومعطياته.

الدّراسات البينيّة للمواضيع

أهداف التعلّم :

- التعرّف على تنوّع الإتّجاهات وتعدّد المناهج.
- اختيار المنهج الذي ينبغي اعتماده حين تتقاطع الاتّجاهات.
- دراسة آليّة التّعامل مع المناهج المتعدّدة في الأبحاث الدينيّة؛ أي : المسألة المنطقيّة، والسّؤال التّاريخي؛ وكيفيّة التعامل في هذا الحقل.
- المسألة المنطقيّة معياريّة؛ وتتساءل حول الأسلوب المناسب في التّعامل مع تنوّع المناهج. فنتعرّف على السّبل والمعوّقات في هذا الإطار.

١ - الحصريّة المنهجيّة :

يمثّل اتّجاه الحصر المنهجي اهتمامًا بعلم محّدد وتجاهل سواه من العلوم والاتّجاهات في تحليل المسائل. فدارس الفلسفة يتملّك خبرة في الإطار الفلسفي في معاجلة المسائل، بينما يجهل التّحليلات المتداولة في غير ذلك من العلوم.

وهكذا هو الحال مع المتكلّمين الذين يرون أنّهم مصيبون؛ بينما يصفون الآخرين بالخطأ. "**كلّ حزب بما لديهم فرحون**".[١]

أدّت الدوغماتيّة إلى ازدهار الاتّجاه الحصري وتبعاته؛ ونجد أنّ تعصّب الباحث لما يتوافر في حقله وفي إطار أبحاثه، يدفعه إلي اتّخاذ مواقف خاطئة ترفض ما تأتي به شتّى الحقول الأخرى.

ونجد أنّ معظم الإنتقادات المكتوبة نشأت عن فهم خاطيء للنظريّات المنتقدة؛ الأمر الذي يقوم على النّزعة الحصريّة، فريق يرى في رؤية الفريق

---

[١] - المؤمنون / ٥٣ و الرّوم / ٣٢

الآخر مخالفة للعقل، دون أن يكون في صدد فهمها، كما إنّ الفريق الآخر يعتقد بخطأ رؤية الفريق الأوّل، دون أن يتجشّم عناء استيعابها بنحو صحيح. يرى هذا الآخر مناهضًا للعقل، وذلك يري الأوّل مخالفًا للشّريعة والدّين.

ثمّة عوامل شخصيّة ونفسيّة أدت للتّعصب. لقد تسارعت الحصريّة في العصر الحديث وأدّي تطوّر العلوم بايقاع متسارع، إلي ظهور نزعة التخصّصات، فجرى تقسيم كلّ علم إلى فروع عديدة، وتكوّن علم جديد في إطار كلّ من الفروع تلك، وانشبعت منه فروع أخرى.

ثمّة عامل آخر، وهو الانتقائيّة في العلم التّجريبي. فالدّراسات التجريبيّة تتّسم بطابع انتقائي على مستوي المنهج، لأنّ انتقاء بعد من الظّاهرة سيعني تخليًا عن سواه من الأبعاد.

وتؤدّي الانتقائيّة إلى توسيع نطاق الجهل وتعميمه إلى مختلف المجالات، كما يعمل العداء القائم على الجهل على رفض الاتّجاهات الأخرى؛ فالنّاس أعداء ما جهلوا.

يعاني البحث الدّيني المعاصر نزعة حصريّة، فالباحثون في علم نفس الدّين لا يصغون إلى ما تفرزه اتّجاهات علم الاجتماع، كما إنّ الباحثين في تاريخ الدّيانات لايحفلون بالتّحليل الفلسفي للظّواهر الدينيّة.

ونادرًا ما يكون لدى الباحثين في فلسفة الدّين، اطّلاع على الدّراسات التجريبيّة التّي تتناول الدّين.

١ – ١. الاختزاليّة نتيجة للحصريّة :

تتمثّل أسوأ تبعات الحصريّة، في خطأ الرّد أو الاختزاليّة[١]، والمقصود بهذا، اختزال ظاهرة وردّها إلى أمر أقلّ منها وملاحظة جانب من الشّيء بدلًا من

---

١ – reductionism

حقيقته وكنهه. وقد صاغ علماء المنطق المسلمون هذا الخطأ بشكله السّاذج في مغالطة الكنه والوجه.

إنّ البحث في ظلّ الحصريّة يظلّ بمثابة رؤية في الظّلام، وهكذا هو حال المعرفة التّي تتحرّك من خلال منظور مليء بالفرضيّات المسبقة؛ لأنّه يمنع الباحث من رؤية الحقيقة. إنّ التّاريخانيّة التّي تمثّل نموذجًا للاتّجاه الحصري، أدّت إلى ظهور اتّجاهات الانثروبولوجيا الاختزاليّة والأنطولوجيا الاختزاليّة والأبحاث الدينيّة الاختزاليّة القائمة على محوريّة التّاريخ.

وقد أدّت الحصريّة في البحث الدّيني المعاصر إلى ظهور تصوّرات مشوّهة حول الدّين والظّواهر الدينيّة. فالدّين ليس شيئًا سوى الاخلاق، وهو ليس سوى آيديولوجيا، وليس سوى المعرفة الدينيّة. وهذه نماذج من تشويه الدّين بمشارط الحصريّة وأدوات الاختزاليّة الناشئة عنها.

يعتقد أتباع الظاهريّات بأنّ اعتماد اتّجاهات نظير علم اجتماع الدّين وعلم نفس الدّين وتاريخ الدّيانات يؤدّي إلي ظهور الاختزاليّة في البحث الدّيني وشيوعها، بينما يمثّل اعتماد اتّجاه الظاهريّات في فهم حقيقة الدّين والظّواهر الدينيّة، السبيل الوحيد للوقاية من ذلك ومعالجته.

والإتّجاهات الأخرى تحول دون أدراك الباحث لحقيقتها وأبعادها. ولكن أنّ اعتماد الاتّجاه التّاريخي أو الاجتماعي والنّفسي في دراسة الدّين، ليس العامل الوحيد في ظهور الاختزاليّة، بل يتدخّل في ذلك أيضًا الأسلوب الحصري في التّعامل مع الاتّجاهات المذكورة. لولم يقترن اعتماد الاتّجاه التّجريبي في الدّراسات الدينيّة، بالنّزعة الحصريّة فإنّ الاتّجاه هذا لن ينتهي إلى الاختزال.

٢ - الدّراسات البينيّة للمواضيع هي برنامج وقائي :

إنّ الدّراسات البينيّة للمواضيع هي بمثابة برنامج بحثي، يرتكز علي التعدّد المنهجي، وتقوم بتجنيب الباحث الحالة الحصريّة حيال العلم الواحد، وتدفعه نحو الإصغاء إلى علوم مختلفة تعالج مسألة واحدة، فما هي آليّات تنفيذها ؟

٢ – ١. تعريف الدراسات البينيّة للمواضيع :

إنّ هذا اللّون من الأبحاث يتمتّع بتعدّد في المناهج والأدوات في مقابل الأسلوب الذي يعتمّد منهجًا واتّجاهًا واحدًا. إنّ تعدّد المنهج يكون على نحوين، فهو أحيانًا تابع لتنوّع المسألة، فثمّة علم واحد يعتمد مناهج متعدّدة تبعًا لتنوّع مسائله. مثل علم الكلام، وهو يفيد بالتّالي من مناهج مختلفة في معالجة مسائله. فغالبًا ما يقتبس الأشاعرة مثلًا، مناهج متعدّدة في طرح المسألة، حتّى أنّهم يأخذون أساليب الإستدلال اقتباسًا كاملاً من خصومهم، الأمر الذي جرى بطريقة تجزيئيّة ولم يتحوّل إلي نموذج تركيبي منظم في الفكر الكلامي. ذلك لأنّ المتكلّمين غالبًا ما يأخذون المسألة من خصومهم أوّل الأمر، ثمّ يتوصّلون إلي ما يلائمها من مناهج حيئذ وفقًا لطبيعة المسائل.

ليس المقصود بالتعدّدية المنهجيّة في تعريف الدّراسات البينيّة للمواضيع مجرّد تعدّد في المنهج، بل المقصود هو تعدّد المنهج في معالجة المسألة الواحدة من خلال مناهج متنوّعة.

فملاحظة التعدّد بهذا المعنى على نحوين، حيث يحاول الباحث أحيانًا بجمع المعلومات، اعتمادًا لشعار "الجمع مهما أمكن أولي من التّرك" ويسعي إلي جمع الآراء المختلفة والمتقاطعة في تحليل المسألة الواحدة، بيد أنّه يظلّ دون أيّ منهج منطقي. إنّ تعددًا كهذا يؤدّي إلى انتقاء الأفكار تلفيقيًا والخلط بين الأسس، وليست تبعات ذلك بأقلّ خطرًا من تبعات الحصريّة المنهجيّة.

كثيرًا مّا نلاحظ إنّ عددًا من بطاقات المعلومات المبعثرة تجمع من علوم مختلفة وتدور حول مسألة واحدة، ثم يجري تدوينها بأسلوب تأليف الكتب كي تقدّم بعد ذلك بوصفها بحثًا وعملاً مؤلّفًا. لكن وجود معلومات واسعة، لا يمثّل سوى شرط ضروري في الدّراسات البينيّة للمواضيع، بل لابدّ من وجود منهج منطقي لمعالجة المعلومات تلك وتحويلها إلي رصيد منتج. وألاّ يتحوّل إلى عامل سلبي يؤدّي إلى الخلط بين الأسس والانتفائيّة المشوّهة للأفكار.

وتكون التعدديّة الممنهجة من حيث نوع برنامج البحث على نوعين، فهناك تعدديّة تستند إلي برنامج آلي، وأخري إلى برنامج ديناميكي. فيتناول الباحث في النحو الأوّل آراء مختلفة من شتّى العلوم، ومن خلال خطّة مسبقة يأخذ كلًا من تلك الآراء في منظومة معرفيّة معيّنة.

فيجعل من آراء بعض النّطاقات بمثابة جذر لمنظومته المعرفيّة، ومن آراء نطاق آخر بمثابة الجذع والهيكل، ويأخذ مجموعة تابعة لنطاق ثالث؛ فيجعلها في موقع الفروع والأغصان في تلك المنظومة. ويوظّف الباحث في هذا الأسلوب، وجهات نظر متنوّعة مبتعدًا عن الحصر المنهجي، ولكن توظيفاته هذه لعلوم مختلفة تستهدف مجرّد بناء نظام معرفي محدّد.

يعدّ "كارل ماركس" نموذجًا بارزًا لهذا الاتّجاه والاهتمام بعلوم مختلفة، حيث أخذ الاقتصاد من "سان سيمون"، والماديّة من الأفكار الماديّة المتداولة في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر، كما أخذ الماديّة الميكانيكيّة والديالكتيكيّة إلي جانب التّاريخيّة من "هيغل"، غير أنّه عمد إلى الافكار المقتبسة من نطاقات مختلفة، وحوّلها في نهاية المطاف إلى منظومة جديدة بالكامل هي الماركسيّة.

امّا التعدديّة المستندة إلى مخطّط ديناميكي فهي أساسًا ليست في صدد جمع الآراء، بل تعمد في الواقع إلى آراء مختلفة وتتصرّف فيها وتقوم بتركيبها بأسلوب حيوي ديناميكي حتّى تصل في إطار ذلك إلي وجهة نظر أكثر عمقًا. وتعتمد اجراء حوار بين الأفكار وإدخالها في دائرة جدليّة فاعلة، ممّا يسمّى بالتعدديّة الديالكتيكيّة، أو الجدليّة، أو الدّراسات البينيّة للمواضيع.

إنّنا لا نرى في الأفكار الأخرى مقولات جوفاء باطلة لا طائل منها، بل نشعر بحاجة إلى التّعامل معها على نحو مبرمج، فنلجأ في إطار ذلك إلى منهج تطلق عليه اسم الحوار الفاعل. فغالبًا ما لا يكون عند الطّرفين سوى تفنّن

في القول وحذاقة في الكلام. ولذلك فهم لا يجيدون الإصغاء وممّا يكرّس صناعة المغالطة بالتبكيت الخارجي، ولا سيّما الخلط بين الدّافع ونتيجته.

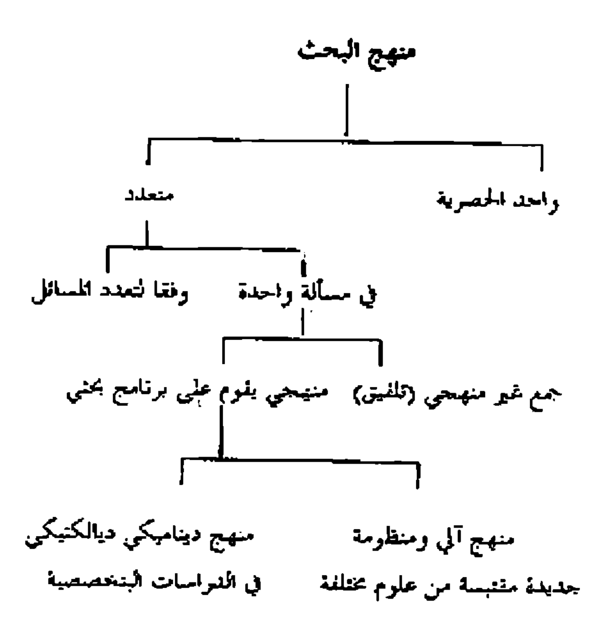
كيف يسع باحثًا كهذا أن يصغي إلى وجهة نظر النّقاد ؟ فهو يحاول الاصغاء إلي النّقد، ينهمك وحسب في محاولة الرّد والنّقض والتملّص من النّقد، ويظلّ عاجزًا عن فهم ما يقال له.

يحرص الباحث الذي يؤمن بأهميّة الدّراسات البينيّة للمواضيع على خوض حوار فاعل مع أفكار الآخرين. حوار كهذا، للاستفادة على نحو انفعالي من وجهات نظر الآخرين.

لا تتوقف الدّراسات البينيّة للمواضيع عند جمع وجهات النّظر، بل وتؤدّي إلى تكوين اتّجاه أكثر عمقًا نتوصّل من خلاله إلى رؤية معيّنة فتتحاور وتتفاعل جدليًا بوصفها معطىً لممارسات متنوّعة بهدف الكشف عن نقاط القوّة والضّعف في كلّ الإتّجاهات، كي يتوصّل الباحث إلي الاتّجاه المعمّق.

وعلى هذا الأساس تكون الدّراسات البينيّة للمواضيع تعددًا منهجيًا يستند إلى حوار جدلي فاعل بين النّطاقات العلميّة في معالجة مسألة واحدة. وبكلمة أخرى فإنّ فهم الظّاهرة يكون في ظلّ الجدل البنّاء بين اتّجاهات حقول مختلفة.

والهدف من تعبير "في مسألة واحدة" هو : إنّ الاستناد إلى حوار جدلي بنّاء يميّزها عن الجمع غير الممنهج والتعدديّة الآليّة.



٢ – ٢. أهميّة الدّراسات البينيّة للمواضيع في البحث الدّيني :

لسنا ملزمين باعتماد اتّجاه البينيّة للمواضيع في كلّ معالجاتنا للمسائل، وإنّما نحتاج إلي ذلك في تناول المسائل متعدّدة الأصول؛ غير إنّ تعريفنا لتعدّد الأصول يبدّد هذا التوهّم. إنّ المسألة متعدّدة الأصول هي تلك التّي تتّصل بظاهرة ذات جذور تمتدّ في حقول معرفيّة متعدّدة لكونها مستندة إلى عوامل متعدّدة أو لأنّها تستتبع آثارًا متعدّدة.

القول بأنّ المسائل متعدّدة الأصول يمكن أن تكون بمثابة الكبرى في التّدليل علي أهميّة الدّراسات البينيّة للمواضيع في البحث الدّيني. ونحن بحاجة إلى مقدّمة أخرى كصغرى لإكمال الدّليل فنتساءل : هل تمثّل مسائل البحث الدّيني، مسائل متعدّدة الأصول ؟ سنحصل على إجابة بنعم من خلال التدبّر في الظّواهر الدينيّة.

لقد كان الدّين منذ ظهور الإنسان ورافقه دائمًا؛ حيث كان الدّين والإنسان يتفاعلان على نحو التّأثير المتبادل. وعلى هذا الأساس تمتدّ جذور الظّواهر

الدينيّة في مجالات شتّى وعلى مستوى البناء التّحتي لحضارة الإنسان، الأمر الذي يدلّل على أنّ للظّاهرة الدينيّة جوانب متعدّدة ومستويات مختلفة.

إنّ الجانب الوظيفي في الدّين مسألة يتطلّب وصفها الكامل وتفسيرها الدّقيق، مناهج من قبيل ما يتداول في علم النّفس والاجتماع والتّاريخ والحضارة وفلسفة الدّين والإلهيّات ... الخ.

تدلّل الأصول المتعدّدة للمسائل في نطاق الأبحاث الدينيّة، على أهميّة اعتماد الدّراسات البينيّة للمواضيع، ويؤدّي تجاهل هذا الاتّجاه في معالجة مسائل هذا الحقل المعرفي وقراءة الظّواهر الدينيّة إلى الاختزاليّة.

يلزم الباحث في الدّراسات البينيّة للمواضيع بالمبادئ التّالية :

١- ربما كان لدى الآخرين حظّ من الحقيقة أيضًا.

٢- إنّنا بحاجة إلي الاتّجاهات المتداولة لدى الآخر من أجل تكوين فهم دقيق ومعرفة متكاملة.

٣- ينبغي أن نصغي إلي ما يقوله الآخر بتفهّم، واستيعاب نقدي في الوقت ذاته (فنّ الاصغاء).

٤- إنّ الجدل بين الآراء يتيح فرصة للجدل بين الاتّجاهات.

٥- يمكن في إطار الجدل بين الاتّجاهات، توظيف مناهج البحث المقارن.

الملخّص :

تعريف الدّراسات البينيّة للمواضيع :

١ – تعدديّة منهجيّة قائمة على جدل بنّاء بين الحقول في تناول مسألة واحدة.

٢ – قراءة ظاهرة مّا في ظل جدل بنّاء بين اتّجاهات علوم شتّى.

– نحتاج إلى باعتماد الاتّجاه البينيّ للمواضيع في تناول المسائل متعدّدة الأصول.

– إنّ المسألة متعدّدة الأصول هي التّي تتّصل بظاهرة ذات جذور تمتدّ في حقول معرفيّة متعدّدة لكونها مستندة إلى عوامل متعدّدة أو لأنّها تستتبع آثارًا متعدّدة.

- إنّ الجانب الوظيفي في الدّين يتطلّب مناهج من قبيل ما يتداول في علم النّفس والاجتماع والتّاريخ والحضارة وفلسفة الدّين والإلهيّات وغيرها.

يلزم الباحث في الدّراسات البينيّة للمواضيع بالمبادئ التّالية :

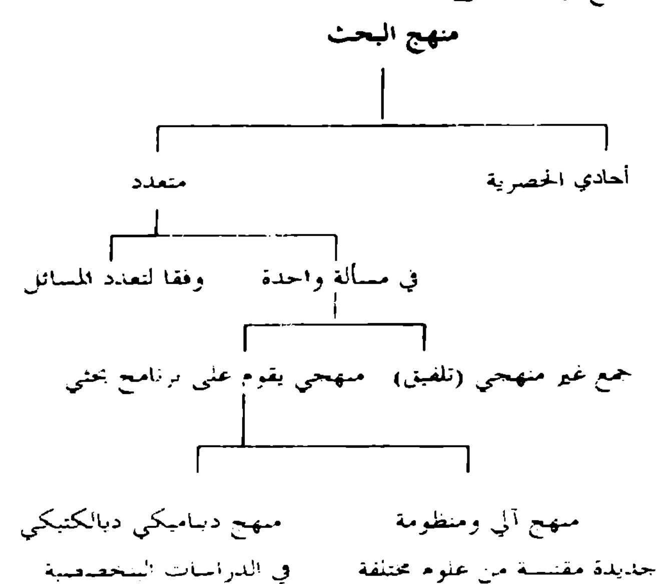
١- لدى الآخرين حظٌ من الحقيقة.

٢- إنّنا بحاجة إلي الاتّجاهات المتداولة لدى الآخرين.

٣- اصغاء لما يقوله الآخرون مع استيعاب نقدي.

٤- الجدل بين الآراء.

٥- توظيف مناهج البحث المقارن.



تمرين :

١ - ما هو المنهج الذي ينبغي اعتماده حين تتقاطع الاتّجاهات ؟

٢ - كيف يتعامل الباحثون بالسّؤال التّاريخي في حقل الأبحاث الدينيّة مع تعدّد المناهج ؟

٣ - ما هي السّبل والمعوّقات في المسائل المنطقيّة في الأبحاث الدينيّة مع تعدّد المناهج ؟

٤ - بماذا تنتهي الحصريّة في البحوث الدّينيّة المعاصرة ؟ اشرح الموضوع.

٥ - قدّم مشروعًا بحثيًا للدّراسات البينيّة للمواضيع في التّراث الإسلامي.

الملحق

كلمة موجزة حول تنفيذ البحث العلمي

١ – مراحل اعداد البحث العلمي :

١ – ١. تحديد المشكلة واختيار الموضوع.

١ – ١ – ١. القواعد الأساسيّة في تحديد المشكلة :

وهي صياغة مشكلة البحث بشكل واضح، ولا يتمّ ذلك إلاّ بتحديد العلاقة بين عاملين أو أكثرإ ومن ثمّ تصاغ الإشكاليّة بشكل سؤال يتطلّب إجابة محدّدة.

١ – ١ – ٢. توضيح المصطلحات لكي نعبّر عن أفكارنا بمفاهيم مشتركة من أجل ايصالها للآخرين. تشترك في المصطلحات الظّواهر والحوادث دون تعيين حادثة أو ظاهرة معيّنة.

١ – ١ – ٣. صياغة الفرضيّات. الفرضيّة هي إجابة مبدئية عن السّؤال الأساسي الذي يدور حوله موضوع البحث؛ فما هي إلاّ تخمينات، أو توقّعات، أو استنتاجات. يتبنّى الباحث الفرضيّة مؤقتًا لحل مشكلة البحث، ولا تحمل الصّدق أو الكذب إلاّ عبر نتاج البحث. ينبغي أن تتميّز الفرضيّة بالصّفات التّالية :

– أن تكون موجزةً وواضحةً ويسهل فهمها.

– أن تكون مبنيةً على الحقائق الحسيّة، والنظريّة والذهنيّة لتفسير جميع جوانب المشكلة.

– أن تكون قابلةً للإختبار والتّحقيق.

– أن لا تكون منافيةً ومتناقضةً مع سائر الفرضيّات و الثّوابت العلميّة.

– أن تتيح تغطية جميع الإحتمالات للمشكلة باعتماد فروض متعدّدة لها.

للفرضيّة جوانب عامّة كـ :

- حل محتمل لمشكلة البحث.

- تخمين ذكيّ لسبب أو أسباب المشكلة.

- رأي مبدأي لحلّ المشكلة.

- استنتاج مؤقّت للباحث.

- تفسير مؤقّت للمشكلة.

- اجابة محتملة على سؤال المشكلة.

١ – ٢. البحث عن الوثائق العلميّة المتّصلة بالموضوع.

نستنقي البحوث من الوثائق، فهي ركن عظيم من البحث وتنقسم إلى قسمين :

١ – ٢ – ١. الوثائق الأصليّة والمباشرة؛ وهي التّي تتضمّن المعلومات المستندة اليها من دون استعمال وثائق ومصادر وسيطة؛ فنطلق عليها "**المصادر**"، (مأخوذة من الصّدر والصّدارة)؛ كـ : المواثيق القانونيّة، مقرّرات المؤسّسات السياسيّة والشّرعيّة والتنفيذيّة، التّشريعات، العقود والإتفاقيّات المبرمة رسميًا، الشّهادات والمراسلات الرسميّة، الأحكام والمبادئ والاجتهادات القضائيّة، والإحصائيّات وماشابهها.

١ – ٢ – ٢. الوثائق غير الأصليّة وغير المباشرة، أي "المرا جع". تستمدّ قوّتها من مصادر أصليّة ومباشرة. مثل : الكتب الأكاديميّة، الدوريّات والمقالات العلميّة، منشورات وزارة العدل، المنشورات المتخصّصة، الرّسائل الأكاديميّة والموسوعات ودوائر المعارف والقواميس.

١ – ٣. القراءة والتّفكير؛ حتّى يتولّد لدى الباحث النّظام التّحليلي للموضوع ويجعله مستوعبًا لجميع أسراره وزواياه. من شروط القراءة أن تكون منظّمة وأن تتم في أماكن مريحة.

١ – ٤. تقسيم وتبويب الموضوع : تقسيم الموضوع يعني تحديد الفكرة الأساسيّة وتقسيمها إلى أفكار فرعيّة؛ بحيث تتشكّل هيكليّة البحث، ثمّ القيام بإعطاء العناوين الفرعيّة. من الإقتراحات للعناوين نورد : الأجزاء، الأقسام، الأبواب،

الفصول، الفروع، المباحث، المطالب. ثمّ : أولاً، ثانيًا، ثالثًا و... أو أ. ب. ج. ... أو ١، ٢، ٣ و ... .

١ – ٥. جمع وتخزين المعلومات. تعتبر المعلومات ركيزة محوريّة للبحث، خاصةً إذا جمع الباحث أكبر عدد من المعلومات بالشّفافيّة والمصداقيّة والمنطقيّة. أهم مصادر المعلومات هي :

- الأجواء الإفتراضيّة.
- الدوريّات االمتخصّصة.
- المؤتمرات والنّدوات العلميّة.
- الرّسائل العلميّة من الماجستير والدّكتوراه ومابعدها.
- الكتب العلميّة المتخصصّة؛ مثل القواميس ودوائر المعارف والمخطوطات.

الخطوات لغربلة المعلومات هي :

- إعطاء الأولويّة للمصادر وتقديمها على المراجع.
- الإعتماد على المصادر والمراجع الأكثر حداثةً.
- حذف المصادر والمراجع المكرّرة.
- البعد عن التعصّب أو التحيّز لمعتقد خاصّ أو عاطفة وحماسة.
- البعد عن النكّات والمعلومات غير العلميّة.
- البعد عن الملومات غير المتعلّقة بموضوع البحث.

١ – ٦. الصّياغة والكتابة : تستهدف هذه المرحلة إعلام القارئ بحصائل ومجهودات البحث ونتاجه. ينبغي أن يتوفّر في الكتابة المواصفات التّالية : سلامة اللّغة ووضوحها، الإيجاز، عدم التّكراروالإطناب، عرض المعلومات بطريقة منطقيّة وبأدلّة أقوى، التّماسك بين عناصر الموضوع، احترام قانون الإقتباس والتّوثيق، التقيّد بأخلاقيّات الأمانة العلميّة، عدم الإعتقاد بأنّ الآراء هي نهائيّة وغير قابلة للنّقاش، حسن الإقتباس وما يتّصل به، عدم المبالغة في المقتبسات، إبتكار واكتشاف حقائق جديدة.

١ – ٧. توثيق المصادر : المصادر هي مستندات الدّراسة، وكأنّها أدلّة وبراهين للبحث.

ولكن بالنّسبة للمواد الأخرى كالجداول، البيانات، القوائم، الصّور والخرائط فالأجدر تدوينها في نهاية البحث، مع الإشارة اليها بالهامش.

١ – ٧ – ١. كيفيّة التّوثيق :

أ. الكتب المقدّسة :

- القرآن الكريم : اسم السّورة / رقم الآية.
- الإنجيل والتّوراة : اسم الكتاب : الفصل المقتبس منه : رقم الآيه.

ب. سائر الكتب :

هناك قسمين لترقيم المصادر؛ أحدهما في الهوامش، والثاني في نهاية البحث. فبغض النّظر عن هذا، يكون توثيق المصادر عادةً حسب الآتي :

شهرة المؤلف، اسمه، **عنوان الكتاب** (بولد)، المجلّد، الجزء، دارالنّشر، رقم الطّبعة، دولة أومدينه الطّبع، سنة الطّبع، رقم الصّفحة.

في حالة تعدّد المراجع التي تعود لمؤلّف واحد (منفردًا) ترتّب زمنيًا، الأقدم فالأحدث.

في حالة تعدّد المراجع الخاصّة بالمؤلّف الواحد (مشاركًا)، ترتّب هجائيًا حسب اسم المؤلّف الأوّل، يليه المشارك، ثم زمنيًا حسب تاريخ النّشر.

ج. المقالات والدوريّات :

اسم العائلي للمؤلف، اسمه، **عنوان المقال** (بولد)، عنوان المجلّة، بلد ومدينة الطّبع، السّنة، رقم العدد، تاريخ النّشر، رقم الصّفحة.

د. الرّسائل الجامعيّة غير المنشورة : شهرة المؤلف، اسمه، عنوان الرّسالة، درجته العلميّة (ماجستير أو دكتوراه أو مابعدها)، اسم الجامعة أو الكليّة، تاريخ النّقاش، رقم الصّفحة.

هـ. الأبحاث المقدمة للمؤتمرات العلميّة :

اسم المؤلف، عنوان البحث، موضوع المؤتمر(بين قوسين)، مكان انعقاده، تاريخ الانعقاد.

١ – ٨. أجزاء البحث : تتركّب هيكليّة أجزاء البحث العلمي كالآتي :

أ. العناوين، دقيقة، شاملة، قصيرة، مثيرة وواضحة.

المقدّمة؛ وهي مدخل رئيسي للموضوع وجوانبه المختلفة، وتتضمّن المحاور الأساسيّة للبحث بصورة موجزة. تشتمل المقدّمة على المواضيع التّالية :

تعريف الموضوع، أهمية البحث وأسباب اختياره، اشكاليّة البحث والتّساؤلات المطروحة حوله، فرضيّة البحث، أهداف البحث، صعوبات البحث، خلفيّة البحث فى الدّراسات السّابقة وابداعات الدّراسة ومميّزاتها، منهجيّة البحث، محتويات الدّراسة.

ب. جذع البحث

ت. الخاتمة، وهي عرض موجز للبحث، كيفيّة اعداده وانجازه، واالنّتائج التي تواصل اليها، أي الجديد في البحث.

ث. الملاحق :

ترقم الجداول ترقيمًا مسلسلاً على امتداد البحث، وتوضح مسمّياتها وأرقامها فوق كلّ جدول، ويشار إلى المصادر أسفل الجدول مباشرة.

ترقم الأشكال ترقيمًا مسلسلاً على امتداد البحث، وتوضح مسمّياتها وأرقامها أسفل كلّ شكل منها.

ج. الفهرس

القراءة والتّصحيح النّهائي.[١]

---

[١] – استفدنا في الملحق كثيرًا من كتاب : الخطيب، علي عبد الحسين، خريسان، باسم علي، **أسس منهجيّة البحث العلمي في الدّراسات القانونيّة**، لبنان، الجامعة الاسلاميّة، كليّة الحقوق، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠.

المصادر والمراجع :

أ. العربيّة والفارسيّة :

١ - القرآن الكريم

٢ - الآمدي، عبدالواحد بن محمد التّميمي، **غررالحكم ودرر الكلم**، نشر دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٣٦٦ ش.

٣ - الازيرجاوي، فاضل، **أسس علم النّفس التّربوي**، وزارة التّعليم العالي، جامعة الموصل، دار الكتب للطّباعة والنّشر، الموصل، ١٩٩١م.

٤ - أنطوان خوري، **مدخل إلى الفلسفة الظاهراتيّة** (دار التّنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤)؛

٥ - الأصبهاني، محمود، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، دار المدني، ١٤٠٦هـ ، ٣ أجزاء.

٦ - ابن سينا، **الإشارات والتّنبيهات**، تعليق؛ سليمان دنيا، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٦٦هـ.

٧ - ابن سينا، **عيون الحكمة**، شرح؛ محمّد الفخر الرّازي، حقّقه؛ احمد حجازي، مؤسّسه الصّادق، طهران، ١٣٧٣ش.

٨ - إسترن، جوزف بيتر، **نيتشه**، ترجمة؛ عزت الله فولادوند، طهران، طرح نو، ١٣٧٣ش.

٩ - ايزوتسو، توشي هيكو، **خدا و انسان در قرآن، (الله والانسان في القرآن)** ترجمة؛ أحمد آرام، طهران، نشر مكتب فرهنگ اسلامي، ١٣٨٦ش.

١٠ - بديوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، ، المكتبة الاسلاميّة، ١٩٩٢م.

١١ - بلانتشارد، كنت، **مديريت بر قلبها، (ادارة القلوب)**، مترجم؛ عبدالرضا رضائي نجاد، طهران، انتشارات سازمان مديريت صنعتي، ١٣٧٩ش.

١٢ – بوبر، كارل ريموند، **حدسها و ابطالها (تخمينات والدّحوض)**، ترجمة؛ احمد آرام، طهران، شركت سهامي انتشار، ١٣٦٣ش.

١٣ – البيلي، محمّد عبد الله وعبد القادر الصّمادي، **علم النّفس التّربوي وتطبيقاته**، ١٩٩٧م.، ط١، مكتبة الفلاّح للنّشر والتّوزيع، الإمارات العربية المتحدة.

١٤ – تفتازاني، سعد الدّين، **شرح المقاصد**، طبع بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.، ج٥.

١٥ – توق، محيي الدّين وعبد الرحّمن عدس، **أساسيّات علم النّفس التّربوي**، دار جون للطّباعة والنّشر، الأردن، ١٩٨٤م.

١٦ – جزني، نسرين، **مديرييت منابع انساني، (ادارة المصادر البشريّة)**، طهران، نشر ني، ١٣٧٨ش.

١٧ – جهانبگلو، رامين، **موج چهارم (الموج الرّابع)**، ترجمه؛ منصور گودرزى، نشر ني، الطبعة الرّابعة، ١٣٨٤ش.

١٨ – الحائري اليزدي، مهدي، **متافيزيك (الميتافيزيقيا)**، إعداد؛ عبدالله نصري، طهران، نهضت زنان مسلمان، ١٣٦٠ ش.

١٩ – حيدر علي، هومن، **روش علمى در علوم رفتارى (التعرّف على المنهج العلمي في العلوم السلوكيّة)**، طهران، نشر پارسا، الطبعة الأولى، ١٣٩١ش.

٢٠ – خاكي، غلامرضا، **روش تحقيق در مديريّت (منهج البحث في الإدارة)**، طهران، مركز النشر العلمي لجامعة آزاد الإسلاميّة، ١٣٧٩ش.

٢١ – الخطيب، علي عبد الحسين، خريسان، باسم علي، **أسس منهجيّة البحث العلمي في الدّراسات القانونيّة**، لبنان، جامعة الاسلاميّة، كليّة الحقوق، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠.

٢٢ – خندان، سيد علي اصغر، **منطق كاربردى، (المنطق التّطبيقي)**، طهران، سمت، ١٣٧٩ش.

٢٣ – دهخدا، علي اكبر، **لغت نامة (قاموس دهخدا)**، اشراف : محمّد معين، جامعة طهران، سازمان لغتنامه دهخدا، الطّبعة الأولى، ١٣٦٤ش.

٢٤ – دي بونو، ادوارد، **تعليم التّفكير**، ترجمة؛ عادل عبد الكريم ياسين وإياد احمد ملحم، الكويت، مؤسسّة الكويت للتقدّم العلمي، ١٩٨٩م.

٢٥ – ديكارت، رينة، **گفتار در روش به كاربردن عقل (قول في منهج استخدام العقل)**، ترجمة؛ محمّد علي فروغي، طهران، نشر پيام، ١٣٥٥ش.

٢٦ – ديوي، جون، **منطق تئوري تحقيق (المنطق النّظري للبحث)**، علي شريعتمداري، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٩ش.

٢٧ – الذّنون، عبد الحكيم، **كلكامش الإنسان والخلود**، كويت، دار المعرفة، ١٤٠٨=١٩٨٨.

٢٨ – الرّازي، فخرالدّين، **الملخّص**، نسخه خطيّة في مكتبة مجلس الشّورى الإسلامي، ايران – طهران، رقم ٨٥٦.

٢٩ – راغونات، **مديريت تطبيقي، (الإدارة المقارنة)**، ترجمة؛ عبّاس منوريان، طهران، دانشگاه آزاد اسلامي، ١٣٧٧ش.

٣٠ – زرّين كوب، عبد الحسين، **يادداشتها وانديشه ها (ملاحظات وافكار)**، طهران، اساطير، ١٣٧١ش.

٣١ – ساورد، هيشر، **درك رنج: فرهنگ مديريّت (معرفة الألم: ثقافة الإدارة)**، ترجمة؛ محمّد صائبي، طهران، مركز آموزش مديريّت دولتي، ١٣٧١ش، ج١.

٣٢ – سبحاني، جعفر، **إرشاد العقول إلى مباحث الأصول**، موسّسة امام الصّادق، قم، ٤ مجلّدات، الجزء الثاني ١٣٨٩ش.

٣٣ – السّبزواري، ملاّهادي، **اللئالي المنتظمة**، الطّبعة الحجريّة المشهورة بالناصريّة. تبريز – ايران.

٣٤ – سرمد، زهره، وآخرون، الهه، روشهاى **تحقيق در علوم رفتارى (مناهج البحث في العلوم السلوكيّة)**، طهران، نشر آگه، ١٣٨٩ش.

٣٥ - شلتوت، محمود، **من هدى القرآن**، القاهرة، دارالكتب للطباعة والنّشر، ١٣٨٨هـ. ق.

٣٦ - طاهري، شهنام، **كارسنجي وروش سنجي (تقييم المنهج والعمل)**، طهران، نشر آوين، ١٣٧٨ش.

٣٧ - الطوسي، نصير الدّين، **قواعد العقائد في تلخيص المحصّل**، طهران، ١٣٠٣ش.

٣٨ - الطوسي، **شرح الإشارات**، موقع المكتبة العربيّة، ج١، نسخة بي دي اف على الموقع.

٣٩ - الطّوسي، نصيرالدّين، **جوهر النّضيد في شرح منطق التّجريد**، مجمع ذخائر الإسلاميّ، قم، ١٣٧١ش.

٤٠ - عبدالهادي، نبيل ويوسف شاهين، **تطوّر التّفكير عند الطفل**، ٢٠٠٠م.، عمان، ط١، مركز غنيم للتصّميم والطّباعة.

٤١ - غانم، محمود محمّد، **التّفكير عند الأطفال**، ٢٠٠٤م.، ط١، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الأردن.

٤٢ - الفارابي، **عيون المسائل فى المنـگق**، المكتبة السلفيّة، مطبعة المؤيّد، لا مكان، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م.

٤٣ - قراملكي، أحد فرامرز، **برهان التّمانع**، دانشنامه جهان اسلام، ج٣، موسسه دائرة المعارف الفقه الاسلامي، طهران، ١٣٧٣ش.

٤٤ - قراملكي، أحد فرامرز، **منطق، (المنطق)**، طهران، جامعة بيان نور، ١٣٧٤ ش.، مجلّدين، ج٢.

٤٥ - قراملكي، احد فرامرز، **مناهج البحث في الدراسات الدّينيّة، سرمد الطّائي**، معهد المعارف الحكميّة، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٤٦ - قطامي، نايفة، **تعليم التّفكير للمرحلة الأساسيّة**، ٢٠٠١م.، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، الأردن.

٤٧ - كانط، عمانوئيل، **نقد عقل محض، (نقد العقل المجرّد)**، نشر خمسة، ج٢، ١٣٧٩ش.

٤٨ - كوربان، هنري، **فلسفه ايراني و فلسفه تطبيقي (الفلسفة الإيرانيّة والفلسفة المقارنة)**، ترجمة؛ جواى طباطبائي، طهران، نشر طوس، ١٣٦٩ش.

٤٩ - كهر، ساسان، **مقدمه اى بر بهبود سازمان، (تمهيد لتطوير المؤسّسات)**، طهران، مركز آموزش مديريت دولتي.

٥٠ - ماري شيمل، أنا، **تبيين آيات خداوند: نگاهى پديدارشناسانه به اسلام (تفسير آيات الله : رؤية ظاهراتيّة للإسلام)**، ترجمه؛ عبدالرّحيم گواهى، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ١٣٧٦ش.

٥١ - ملاصدرا الشّيرازي، محمّد بن ابراهيم، **التّنقيح في المنطق**، نشر حسينيّة الإرشاد، طهران، ١٣٨٤ش.

٥٢ - ملاصدرا الشّيرازي، محمّد بن ابراهيم، **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة**، نشر بيدار، قم، ج١، ج٦.

٥٣ - نادري بور، محمود، **برنامه ريزى و كنترل پروژه، (خطة المشروع والإشراف عليه)**، طهران، منشورات سازمان برنامه و بودجة، ١٣٧٢ش.

٥٤ - نراقي، سيف، ونادري، **روشهاي تحقيق در علوم انساني (مناهج البحث في العلوم الإنسانيّة)**، طهران، ناشر مؤلف، ١٣٥٩ ش.

٥٥ - نويا، بول، **تفسير قرآني وزبان عرفاني (التّفسير القرآني ولغة العرفان)**، ترجمة؛ اسماعيل سعادت، طهران، مركز نشر دانشگاهي، ١٣٧٣ش.

٥٦ - وهبة، موسى، **مبحث في الفاهمة البشريّة**، منشورات دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.

٥٧ - هلتون، ملكم، **جامعه شناسي دين (علم اجتماع الدّين)**، ثلاثة مترجمين، طهران، تبيان، ١٣٧٥ش.

٥٨ - هوسرل، ادموند، **فكرة الفينومينولوجيا**، ترجمة؛ فتحي إنقزو؛ الناشر: المنظّمة العربيّة للتّرجمة، ٢٠٠٧.

٥٩ - هوسرل، ادموند، **تأمّلات ديكارتيّة، المدخل إلى الظاهريّات**، ترجمة وتقديم؛ د. نازلي إسماعيل حسين، القاهرة، ١٩٦٩.

٦٠ - هيك، جون، **فلسفة دين، (فلسفة الدّين)**، ترجمة؛ بهرام راد (سالكي)، طهران، انتشارات بين المللي الهدى، ١٣٧٢ش.

٦١ - يونغ، غوستاف كارل، **روان شناسي و دين، (الدّين وعلم النّفس)**، ترجمة؛ فؤاد روحانى، الطّبعة الثّالثة، طهران، شركة سهامى كتاب‌هاى جيبى، ١٣٧٠ش.

ب. الدوريّات

٦٢ - حكيمي، محمدرضا، **مكتب تفكيک، (مكتب التفكيک) كيهان فرهنگى**، سنة التاسعة، العدد١٢، اسفند ١٣٧١.

٦٣ - شوتز، **چند مفهوم اصلي پديدارشناسى، (بضعة مفاهيم رئيسة في الظاهريّات)**، ترجمة؛ يوسف أباذري، **مجلة فرهنگ**، ١٣٧١ش.

٦٤ - قرباني، نيما، "**روانشناسي دين؛ يك رويآورد علمى چند تبارى**"، **(علم نفس الدّين؛ اتّجاه علمي متعدّد الأصول)**، **قبسات**، عدد ٢ و ٣.

٦٥ - لغنهاوزن، محمّد، اقتراح، **مجلّة نقد ونظر**، العدد الثاني، ربيع ١٣٧٤ش.

٦٦ - واطسون، بل، وقرباني، نيما، **روان شناسي دين در جامعه مسلمين، (علم نفس الدّين في المجتمعات الإسلاميّة)**، ترجمة؛ بونه بناكار، **قبسات**، اعداد ٨-٩، ١٣٧٧ش.

ج. المواقع الإلكترونيّة

٦٧ - أزرقان، عبدالحي، **الوظيفة التأسيسيّة للذّات عند هوسرل**، ملتقى ابن خلدون، ٢٠٠٩-١١-١٥.

٦٨ - دائرة المعارف بريتانيكا، ٢٠١٢م.

المصادر اللاّتينيّة

٦٩-Amir-Moezzi, Mohammad Ali, **The Divine in Early Shi`ism**. Translated by:David Streigt. New York. ١٩٩٤.

٧٠ -Ayer,A.J.**Language, Truth, and Logic**, New York: Pover Booles, ١٩٥٢.

٧١ - Copi,Irving, **Introduction to Logic**. Macmillan publisher co.,New York, ١٩٢٧.

٧٢ - Mantzavinos, C. "**Naturalistic Hermeneutics**" Cambridge University Press.

٧٣ - Mc. Guigan,F.J. **Experimental Psychology**, USA, printice – hall.

٧٤ - Mitchell, Basil (ed), **The Philosophy of Religion**, Oxford University Press, ١٩٨٦

٧٥ - Piaget, J., ١٩٥٧, **Logic and Psychology**, New York, Basic Books,

٧٦ - Robinson, Richard,**Definition**, Oxford, ١٩٢٧.

٧٧ - Russel, B., Philosophy of Libniz, London, George, Allen and Anwin L _ TD Musum Street, ١٩٥٨.

٧٨ - Schutz.A. "**Some Leading Concepts of Phenomenology**", Collectwd Papers,

٧٩ - Weingartner, Rudolph.h, "**Historical Explanation**" Encyclopedia of Philosophy, P. Edwards (ed). Vol ٤,

٨٠- **Wulf.D,Psychology of Religion**: Chassic and **Contemporary**, New York, ١٩٩١.

الفهرست